قضية الذات والموضوع في شعر فاروق شوشه

دراسة

د. محمود محمد عيسى

لم تعد قضية الأصالة والمعاصرة تعنى التقابل الحاد بين طرفيها كما كان الأمر إبان نشأة الشعر المعاصر ، حيث تطرف من لم يدرك عمقه وأطلق فى وجهه حكما جائرا حين وصفه بأنه انتهاك للتراث الفكرى ، وشاء الخيال المحدود أن يصور لهؤلاء : أن انتهاكا أعم وأشمل آت لا محالة ، وأن حركة الشعر المعاصر ليست إلا بمثابة جس النبض لمعرفة أبعاد ردود الفعل ثم ينطلق المرجفون لينالوا من كل القيم المتوارثة من أجل خلخلة قوائم الانتماء إلى العروبة وإلى الدين .

وقطع الجدل حول الاتهام والتبرئة شوطا بعيدا أسفر فى النهاية عن التفرقة بين نوعين من الشعر المعاصر :

نوع يعد امتدادا طبيعيا للتراث ، وتأصيلا له ، بثا للحياة فيه ، وإعادة لتشكيله من جديد ، ليستوعب الأبعاد المعاصرة فكرية وفنية ، وهو ما يستحق أن يطلق عليه « الشعر المعاصر » .

ونوع آخر ــ وربما كان السبب فى إثارة المحافظين ، بل وأكثر النقاد معاصرة - يتوهم أصحابه أن الاتجاه الجديد يسمح لهم أن يلغزوا ويغربوا باسم الحداثة ، والتجديد ، والتجاوز ، غير مدركين أن للأداء التعبيرى العربى قيما فكرية ، ولغوية ، وموسيقية ، ترحب لتستوعب التجديد الذى يطوعها ويتسق معها ، لا ليهدمها أو يخرج عليها .

غير أن التيار الأول وهو الأصيل - يبقى ممثلا « لحقيقة الشعر العربى المعاصر فى قدرته على التجديد والتمثل والإضافة وتحقيق الاتصال ، دون انقطاع »[1]

وقد حرص الشعراء الذين يؤمنون بهذا الاتجاه على أن يكشفوا عن موقفهم إزاء التراث ومنهم الشاعر « فاروق شوشة » فهو يؤكد إيمانه بالجديد ، وفى الوقت نفسه ينتمى إلى القديم انتماء الغصن الرطيب الى الجذور الموغلة فى الأعماق . . .

يقول : « كان التيار الجديد فى الشعر والفن والثقافة ، يدب ويتدفق من حولى ، ويكسب كل يوم أرضا وموقعا وساحة ، وكانت أصوات (السياب) و (البياتى) وه نازك » و(صلاح عبد الصبور) و(حجازى) أكثر الأصوات الشعرية تألقا بالنسبة لجيلنا ، مرتبطة بإعادة تشكيل وعى المجتمع كله ، وإعادة صياغة فورته القومية والفكرية ، وكانت قوائم الكلاسيكية فى أعماقى تهتز بشدة ،وتخلخل ، ولقد وجدت كما وجد كثيرون غيرى فى هذا الشعر الجديد ما كنا نبحث عنه : الطريق والطريقة ، وانجرفت لأصبح واحدا (من هؤلاءالشعراء) . . . دون أن أفقد هذا الانتماء العميق لشجرة الشعر العربى ، فى عطائها المستمر ، والمتجدد عبر العصور . . . فالوجهان يمثلان حقيقتى الشعرية ، وحقيقة انتمائى لهذه الشجرة ، وما تنبته من غصون ، من خلال موقف يعى تراثنا فى امتداده وتطاوله »[2]

وقد سار الاتجاهان فعلا فى شعر « فاروق شوشة » فقد كتب أول قصيدة فى قالب الشعر الجديد فى منتصف الخمسينات ،

وهى قصيدة « ضاع فى الزحام »[٣] دون أن يتخلى عن الشكل التقليدى « كما كانت القصيدة - أحيانا - تحمل معالم التيارين معا : التقليدى والجديد . . .

ومع أن معظم الشعراء لا يجيدون التنظير النقدى قدر إجادتهم للإبداع الشعرى ، إلا أن « فاروق شوشة » كشاعر مثقف - تقاسم وجدانه : الإبداع الشعرى ، وتتبع مظاهر عبقرية اللغة الجميلة ، استطاع أن يبدع فى إطار الأسس النقدية التى تكشف فى العمل الشعرى عن جوانب الجودة من حيث : القدرة على معايشة قضايا المجتمع ، وتأصيل جذورها ، ومن حيث التشكيل الجمالى فيه لغويا ، وموسيقيا ، وخياليا .

وقد كان الشاعر على وعى بأن « القيم الاجتماعية التى يحاول مجتمعنا تبنيها هى خلاصة تجارب الإنسان المعاصر ، وميراث الأجيال الماضية ، والحاضرة على السواء »[٤]

ونتيجة لذلك ، ارتبط الشعر المعاصر بكل العلوم :
كعلم الفسلفة ، وبخاصة فى إدراك نسبية الزمن لارتباطه بحركية الإنسان الذى لا يكف لحظة عن التغير .

وعلم النفس ، فى بحثه فى النماذج الأصلية ، أو القيم المطلقة « وفى بحثه فى تحليل الرغبات وطرق التطهر منها » وفى طريقة اندفاع (الأنا) لتحقيق ذاتها .

وعلم الوظائف الأعضاء ، الذى يتصل بالأداء اللغوى .

كما ارتبط كل الفنون .

وبخاصة فنى الرسم والموسيقى ، على غير ما كان عليه فى الماضى :
فقد ارتبط الشعر الكلاسيكى بالرسم ، وكذلك كانت نشأة الواقعية فى أول أمرها ، وارتبط الشعر الرومانسى بالموسيقى[٥].

ومن ثم أصبحت القصيدة المعاصرة ذات بناء مركب (يتضافر فى تشكيله الواقع والتراث ، والحاضر والماضى والذات والموضوع [٦] .

وهو بناء جدلى لا يهتم بالفرد فحسب ، بل الإنسان ، ولا يهتم بالقضية وإنما يهتم بالموضوع فى شموله . واهتمامه بالإنسان والموضوع يشكل قضية (الذات والموضوع) عند معظم الشعراء المعاصرين ، ومنهم « فاروق شوشة » .

وهى قضية أثيرة عنده ، فمن خلال الموقف الجدلى بين الذات والموضوع يستدعى الشاعر بالتراث ، ويجعله لصيقا بالواقع . وتصبح الحقيقة متشعبة الأبعاد غير أنها متسقة السمات وهى فى تشعبها وفى اتساقها تحتوى الذات كفرد من أفراد الموضوع .

ومعنى هذا : أن الذات حين تتحرك لتعبر عن كيانها ، فإنها لا تظل منغلقة على نفسها بل ترحب لتشغل الموضوع ببعديه : الواقعى والتراثى . . . وقد يكون ذلك من خلال شخصية تراثية ، أو حدث تراثى له دلالة عامة ، ومن ثم تصبح الذات كمايصبح الموضوع ماثلين فى الكيان الذاتى ، والشخصية والحدث : التراثيين أو الواقعيين .

والشاعر حينئذ يكون قد تخلص من فرديته ، وتنبه إلى جوهر الحياة ، حيث تتصارع فيها عناصر الوجود ويقع هو أسير الصراع بين قوى الخير والشر .

وعلى ذلك تكون حركة الذات ثم شمولها الموضوع - وإبراز ما بينهما من توتر مثيرة للحركة النفسية ، التى تتولد عنها المفارقة الدرامية .

وقد تكون المفارقة الدرامية ناشئة عن تحرك الواقع وإثارته حركة الذات الداخلية فتبحث عن نفسها من خلال الموضوع ، فإذا هى فى تقابل معه ، ورفض له ، وتنطلق من ثم لتعبر عن الرفض والتقابل اللذين يكونان أهم محور من محاور الشعر عند فاروق شوشة .

والذات فى شعر فاروق شوشة ليست الذات الفردية ، وإنما الذات الإنسانية ، وهى سمة من السمات الفارقة بينه وبين معظم الشعراء المعاصرين ، الذين ترتبط ذواتهم بعوالم فردية خاصة بهم ، حتى ليصعب إدراك أبعاد العوالم ، لشدة خصوصيتها .

وليس معنى هذا أنها تفقد تماما صلتها بالعالم الخارجى ، فأمثال هذه التجارب لا وجود لها [٧] .

أما فاروق شوشة فهو فى أشد الحالات تعبيرا عن نفسه ، مرتبط بالعالم الخارجى ، لأن ذاته ـ كما قلنا ـ ذات إنسانية ، ينفعل فرديا بما ينفعل به الإنسان من حيث هو إنسان . ولهذا كان شعره أكثر اتساقا ، لأن الذات عنده تكون بعدا من أبعاد الموضوع العام .

وإذا كان لأغلب الشعراء المعاصرين منطلقان للتعبير عن الصلة بين ذواتهم والموضوع الخارجى :
ـ حين ينطلقون من الذات انطلاقا يشى بالموضوع ويستدعيه
ـ أو ينطلقون من الموضوع بحيث يستثير ويحرك كوامنها .
فإن فاروق شوشة ينطلق دائما من الذات ليلتحم من خلالها بالموضوع أى أن ذاته تشكل نقطة الانطلاق إلى الخارج .

وهذه السمة تجعل الانفعال حادا إلى جانب الصدق فى التعبير ، حين تعبر عن الموضوع الخارجى من خلال التوتر النفسى ، وتعيد تشكيل الخارج وفق صدق الانفعال الداخلى .

وفاروق شوشة حين يبدأ من الداخل لإعادة تشكيل الخارج من خلال ذاته الإنسانية ، يشكل التراث كذلك تشكيلا جديدا ، فيخضعه لذاته ، ويخلع عليه منها ، بعد أن يسقط منه بعض ملامحه التى لاتدخل فى إطار الهدف من استدعائه . فتصبح الرموز التراثية قضايا معاصرة تتشكل وفق شخصية الشاعر . بعد أن كان الشاعر التقليدى يشكل نفسه وفق الخارج ويخضع فى التعبير نفسه ـ لأنماط وضعت ، قد تلائم فكره ، وقد يُفسر هذا الفكر ليلائم تلك الأنماط .

والشاعر فى تشكيله الخارج وفق داخله ينشد الكمال ، ويرفض عبثية الواقع واهتراءه ، لأن كوامن الذات عنده تنتمى إلى العالم السحرى البرىء : عالم القيم والبراءة ، الذى ينتمى إليه منذ كان صبيا يتخذ لنفسه « مأوى فوق إحدى شجيرات الزيتون ، صنعه بنفسه . . يقرأ فيه ، ويتوحد حتى الغروب ، وتشاركه الطبيعة الحية بأصواتها وألوانها سطور الشعر المنسابة على الورق » ويخلق عالم الشعر فى نفسه رؤى وخيالات ومشاعر وأحاسيس وصورا تحلق به وتدفعه إلى بعيد »[٨] ويرتطم هذا العالم السحرى برزايا الواقع من حوله ، مما يؤدى إلى رفض هذا الواقع ، واستشراف عالمه فيما يشبه الحلم ، ويصبح عالمه الخير بديلا عن عالم الواقع المرير ، وقد لا يكون الواقع بهذه البشاعة ، غير أنه أضفى عليه من الأبعاد ما جعله مقابلا تماما لعالم البراءة والحقيقة .

وهو لذلك يشد رحاله إلى عالمه . ومع أن الرغبة قد استبدت به ، غير أنه غير واثق من قدرته على الانفكاك من أسر الواقع الخارجى ، ويتوتر الصراع بين الرغبة فى الرحيل إلى عالمه ، وإحساسه بعدم القدرة ، إلى أن يحسم الأمر ، حيث لم يعد بد من الرحيل فقد باح بمكنون نفسه ، ومكنون نفسه لا يعايش من حوله :

وحواره النفسى يؤكد انفراده فى إطار الرغبة عن الرحيل عن عالم الناس ، مع أن الناس جميعا يتوقون إلى ما تاق إليه ، ولكن ليس لهم إرادته ولا يملكون إصراره ، يقول فى قصيدة (الرحلة فى بحار العشق)[٩] .

ـ تسافر ؟
ـ هذا زمان القرار
هذا زمان الذين يروحون لا يرجعون
زمان الذين يقيمون لا يبرحون
زمان جميع النوايا
فعجّل
وخل الطريق وراءك
إن الحبيب أمامك ، إن الظلال تشير

. . . . . .

ـ تظل قعيدا ؟
تسائل صمت الرمال ، تحاور صوت المحال
وبينكما خطوة فاخطها ، قبل أن تفسد الأرض
يختنق الكون حولكما بالرزايا
وتشتبك الرغبات بخيط المنايا .

الرزايا تملأ الكون ، وقد فسد كل ما فيه ، والرغبة فى تركه حلم الشاعر ، وليس بينه وبين تحقيق الحلم سوى صمت الرمال ، ومطاردة صوت المحال ، وهو إذ يجد الأمر هكذا يستهين بالصعاب من أجل الراحة ، ويخلف وراء فزع الحياة من أجل الأمان . . . . . ويضاعف من رغبته أن سقط حجاب الوهم وباح بسر العشق :

يامحبوبى
وحدى ، بعدك ، أعبر هذا الليل الموحش
أجتاز الفجر الكاذب ، هذا الوجه الممرور من الدنيا
أعدو نحو شعاعة وعد من عينيك
وأنهل ، ما يتساقط من فيض الرؤيا
فامنحنى بعض أمان حين أطير إليك .

. . . . . .

هاخذ بيدى
فأنا طوفت طويلا ، ياكم شرقت وغربت
يثّاقل فى صدرى مكنون محبتنا

. . . . . .

غفرانك قد وقع المحظور
تمتمت بذكرك فى خلواتى
وجهرت بحبك فى صلواتى
وأبحت السر برغمى ، فارحم ضعفى ، واستر زلّى ،

فالظمأ الروحى هنا هو محور حركة الذات ـ وكما قلنا الذات ذات إنسانية ترحب لتشمل الواقع والتراث اللذين يلتقيان عند تخومها ، كحركتين متقابلتين :

الواقع يمثل القهر ، وعبثية المحاولة ، والتراث يمثل الحركة فى اتجاه الخلاص ، وهى حركة روحية حين أشار الشاعر إلى

مأساة الحلاج الذى أفشى سر الصحبة بينه وبين الله تعالى ، فأباح الله دمه ، وكان فى ذلك حقه . وحركة فكرية حين « سالت بأعناق المطى الأباطح »[10] رغبة فى لقاء الأحبة بعد أن نأت بهم الديار :

فذات الشاعر . والواقع - وفى مقابلته الإشارتان التراثيتان - عناصر تجربة كانت نتيجة لحركة الذات تجاه الواقع واستدعائها من التراث ما يتفق معها ، ويقابل الواقع فى الوقت نفسه .

ولأصالة التجربة وعمق دلالتها ظواهر أخرى جمالية ، إلى جانب الدلالة الفكرية .

وهذه الدلالة الجمالية تتمثل فى : الأصوات ، والألفاظ ، والتصوير ففى مجال التعبير عن الذات تميل الأصوات إلى الرخاوة (أنهل من فيض الرؤيا) وكذلك فى البعد المماثل من التراث الفكرى (تسيل الأباطح) وفى التراث الروحى « مكنون محبتنا » .

أما فى مجال التعبير عن الواقع فللأصوات طبيعية أخرى فى « يختنق الكون » فالقاف حرف مجهور ، مما يوحى بتسلط الواقع وتبجحه

والألفاظ : أنهل ، ومحبتنا ، وإشارة الظلال فى « أنهل من فيض الرؤيا) و « مكنون محبتنا » و « أن الظلال تشير » ترتبط بعالم الصفاء والقيم . أما لفظ « يختنق » فله دلالة عدمية تعنى التخريب وليس البناء .

وفى مجال الصورة : تتبع الصور التى تعبر عن الذات ، وعن التراث ببعديه الفكرى والروحى ، من معين واحد :

فالبطاح تسيل بأعناق المطى لأن العائدين ، وسرعة المطى أصبحتا كسيل يندفع إلى غاية فيها منتهاه ومأربه . أما يثاقل فى صدرى مكنون محبتنا « فهى دلالة إيجابية على الامتلاء بكل ما ينتمى إلى عالم الحق .

ثم تجىء الصورة المقابلة (يختنق الكون) فتعبر عن ملاحقة العدم الحياة فى محاولة عنيدة لا ستئصال جوانب الحق فيها .

ولا شك فى أن الشاعر لم يقصد إلى همس الأصوات أو جهريتها ، أو إلى شدتها أو رخاوتها كما أنه لم يقصد إلى اختيار الألفاظ من حيث الإيحاء ، وهو كذلك لم ينتق مكونات الصورة وإنما حدث ذلك كله بطريقه لا إرادية ، ارتبطت بموهبته الشعرية من ناحية ، وبوعيه النقدى كشاعر مثقف من ناحية أخرى .

والشاعر لم يفكر فى الهرب ، والانزواء إلى عالمه إلا بعد أن أخفق فى جذب الواقع من هوة السقوط ، لأن فى هذا الواقع أعنى « البشر » إرادة داخلية تدفعه إلى هذه الهوة ، وقد عجز الشاعر عن منحه إرادة أخرى بها يعيد تشكيل قيم جديدة شبيهة بقيم العالم الذى هبطت منه الروح . والشاعر حين يهرب فإن يقع هروبه فى إطار التحفز لإعادة صنع واقع أفضل ، ونأيا بذاته عما فى هذا الواقع من مباذل :

ماذا لو أغرقنى الموج ؟ انهالت فوقى سافية الرمل ،
التاثت ذاكرتى فى عدم الرؤيا
هأنذا أقترب من الصحو وأصغى
تتردد حولى ، أشجان الدنيا ، أصوات الباعة
آلات العصر ، وأصداء الثكلى والنائحة المأجورة
فلمن أصغى ؟
أنسمع .....
- هذا صوت لا يهدأ حين ينوح
أتسمع أكثر
- هذا صوت تخنقه التخمة
أتسمع أكثر ، لكنى يعوزنى الفهم الناصع
- هذا صوت يعتاد ركوب الأصوات الممرورة
حتى يبدو دوما فى قلب الصورة
.....
يامن تصغون معى ، تبكون معى
.....
يكفى ما قدمنا من ماء الوجه ، وما
أسلفنا من عطش الروح ، ومـــا
أذللنا من كبر الإنسان :[11]

العالم خارج ذاته موبوء ، الإنسان لم يعد إنسانا ، انعدم التكافل ، واصطدم الجوع والتخمة ، وفشت الوصولية ، واستعمر الجمر فى مضاجع المفكرين ، وعصفت بهم الأحزان ، بعد أن خيل إليهم أنهم قادرون على تغيير وجه الحياة العفن بسيف الفكر الذى آمنوا به :

ياحد السيف المرهف والقاطع
ها ، خذ فى القوم براحك لا تتردد
واقذف برؤوس حان قطاف ذوائبها
.....
هذا عصر الوالغ فى كأس أخيه
العارض سوءته فى سوق أبدا لا تنفد
.....
واخفض صوتك
حتى لا يسمعك الحمقى ، والسفلة قد يستقصونك
واحذر قدرك
يترصد ما بين الكلمات

لو تدرى الغيب الكامن فى المجهول
لا خترت العيش طليقا وبعيدا
لكن هاأنت تدور وتسقط فى شرك المقدور
مقتولا برصاص قصيدة(١٢)

فالتقابل قائم بين ذات الشاعر الإنسانية والواقع المعيش ، وهما فى تقابلهما يؤكدان طهر الذات وعفن المجتمع . الذات تحدق فى النور ويداخلها زهو الرؤيا ، حين تبددت الأسداف . والواقع الذى يساقط حمما فوق الناس فيعيشون ساعات جهمة .

وهذا التقابل هو مصدر الحركة التراجيدية الكامنة فى توتر الصراع ويزداد الصراع توترا حين تدرك الذات إيجابيتها ، ومع ذلك يعتريها القلق .

فعقيدتها صواب فى مقابلة الممارسة الخارجية الخاطئة ـ وهذه أولى درجات الصراع ـ غير أن الشعور المأساوى يزداد حين ترى الخطأ يطارد الصواب وينتصر عليه .

فالذات تنتشى بما هى عليه من إيمان بقدرة الكلمة ، وتروم الإصلاح غير عابئة باختيار الأسلوب ، وليكن تعرية الدمامة ، وإزالة الوحل ، وردع الوالغ فى كأس أخيه . غير أن المفكر ما يلبث أن يكتشف خطورة ما هو قادم عليه فيعتريه القلق : هل يمضى فى هدم الأخطاء ، أم ينسحب بعيدا ؟ وقبل أن يتخذ القرار يقع ضحية رصاص كلامه .

ومع إيمانه بأن مقتله يكمن فى دعوته ، فإن هذا ليس مصدر ألمه ، وإنما الذى يؤلمه ، أن كلماته لم تنبت نبتا ، فهى صحراء (قاحلة الجدب عقيما) ولهذا يظل غريبا ، يدعو الناس (من يثقب ظلمة هذا الليل) ؟ ولا أحد يجيب :

كلماتى
ياصحراء قاحلة الجدب عقيما
ياقدرا أحمل حديه المغلولين
جريئا أو رعديدا
وحدى أرقب هذى الأفلاك الأرضية
وأتابع دورتها المنهومة

. . . . . .

وحدى أتلفت بينكمو ، يامن أنتم حولى
أزعم أنى أبدا أول حرف فى سفر التكوين

. . . . . .

أدعوكم ياأصحابُ ، ويأحبابُ ، ويافقراءُ :
من يثقب ظلمة هذا الليل ؟

وهكذا يتضح لنا بعض سمات الذاتية عند فاروق شوشة ، فهى تظل على وعى بطبيعتها ، ؛ وطبيعة ما يقابلها عبر التجربة الشعرية كلها ؟

. . . . .

غير أن الذات قد يخفت صوتها أمام الموضوع :

بمعنى أنها تذوب فيه فى حالة التماثل ، وتصبح وإياه شيئا واحدا . أما فى حالة التقابل ، فإن خفوتها يعنى معاناتها الهزيمة فى صمت ، حين تغيب البطولة ، ويغيب الحب ، وتهدر معانى الإنسانية . فالذات حينئذ ترصد وتنزف ، ورصدها ونزفها دليل احتفاظها بطبيعتها المقابلة لطبيعة الواقع حولها ، غير أنها لم تجد عن الانزواء بديلا ، لا عن رضى ، ولكن لأن القهر أعم وأعنف وصوتها الصارخ لن يحدث فى البرية ضجيجا .

موضوعية فاروق شوشة إذن موضوعية خاضعة لتصور الذات ، وملامحها فى أغلب الحالات من نسيج الذات ، فتتماثل معها ، أو تفارقها .

وقد لجأ الشاعر فى طرح هذه القضية الى توظيف أقنعة تراثية أو واقعية شخصيات كانت أو أحداثا . وهو بهذا يؤكد على إيمانه بأهمية التراث بالنسبة للواقع من الناحية الفكرية ، وقد أكد من قبل إيمانه به فنيا وجماليا .

والقناع فى الشعر المعاصر يرحب مدلوله ليحمل ملامح هموم الواقع المعاصر ، دون الاقتصار على دلالته الفكرية تاريخيا ، أو دينيا ، أو واقعيا .

والشاعر عندما يوظف قناعا من الأقنعة له فى ذاكرتنا دلالة فكرية ، إنما يذهب بنا فيما يشبه الحلم الفكرى إلى عصر غير العصر ، فتتصور أحداثه وموقع هذا القناع فيه ، وفى سلسلة من الارتدادات الفكرية ندرك التماثل أو التقابل مع أحداث الحاضر ، وذلك عن طريق الإيهام ، الذى يبدو من خلاله التاريخ واقعا ، أو الواقع تاريخا ، وليس فى ذلك غرابة ، فالتاريخ والواقع يشكلان بعدين متصلين من أبعاد الزمن ، أحدهما :

الماضى الذى كان يوما ما واقعا حيا ، والآخر : الحاضر الذى سيصبح تاريخا مرويا . وعلى هذا يعد توظيف التاريخ للتعبير عن الحاضر ظاهرة طبيعية ، ودليلا على وحدة التجربة الإنسانية التى تتكرر فى حياة الإنسان ، متخذة أشكالا متعددة ، نشأ تعددها من الملامح الخاصة التى تكتسبها من ظروف المحيط الحضارى سياسيا ، واجتماعيا ، كما تؤثر فيها التيارات الفكرية والانفعالات النفسية المرتبطة بكل العوامل السابقة ، ودور الإيهام إذن : ينحصر فى عملية التجاوز التى

تضفى على التاريخ ملامح ليست منه ، أو تكسب الواقع أبعادا لم تكن فيه .

والشاعر يختار شخصيات تركت على صفحات التاريخ آثارا لا تمحى ، حمية وبطولة وذكاء ، ويتناول هذه الشخصيات تناولا فنيا على نحو فريد :

وذلك حين يسقط أحلامه أو ضيقه على شخصية تاريخية مثلا ، ومن خلال هذا الإسقاط يعبر عن ضيقه النفسى الذى يستبد به ، ويتخذ أحد الملامح التراثية معبرا يعبر به إلى الحاضر ، ويتحدث بضمير المتكلم ليكشف لنا مدى تمزقه بين حدى التاريخ والواقع ، ويتضح ذلك من خلال قصيدته « أصوات من تاريخ قديم »[١٣]

أدخل حلب الشهباء ، طعنا أو منصورا
. . . . . .
أدخل فى ركبك ياسيف الدولة ، خلف غبار الفتح
تحت لوائك ياسيف الدين
تثقلنى باقات النصر ، وتحملنى أعناق المنصورين
تدفعنى موسيقى ، لم تعزفها أرض بلادى منذ سنين
وأنادى . . . . .
من قاع الحزن أنادى
ـ فأنا ياسيف الدولة دمع فى عين بلادى
ياسيف الدولة :
كل سيوف العرب تصلصل فى الأغماد
ياسيف الدولة :
كل خيول العرب تحمحم فى الأوتاد
وتصهل فى نوبات التذكار
تحمل تاريخا مذعورا
فلعل الفارس يصحو ، ينهض من كبوته
يمسح صدأ الحزن
ويغسل عار الأشعار
. . . . . .
ياسيف الدولة
أبناؤك ـ ياللعار ـ
فى سوق الهلكى باعوك
وعلى أسوارك فى يافا ـ آه يايافا ـ صلبوك

فالشاعر يلتحم بالرمز التراثى ، ويصبح فردا من أفراد جيش الفتح فى عهد سيف الدولة الحمدانى : العرب منتصرون ، والروم مذعورون ، وقلوب المسلمين تخفق بخفق رايات النصر ، والموسيقى تعزف لحن العزة :

ويسترسل الشاعر فيما يشبه الحلم ، ولا يوقظه إلا صوت الموسيقى ويكون هذا الصوت هو العنصر الذى أعاده إلى الواقع ، حيث افتقدت موسيقى النصر فى رأس العرب منذ زمن . ومع أن عنصر الموسيقى يتشله ، ويسلمه إلى الواقع المرير ، فإنه يسترسل مرة أخرى فيما يشبه الحلم كذلك ، فى وصف واقعه : فالسيوف العربية المعاصرة تصلصل لكن ليس خارج غمدها ، وصلصلتها لها نغم خاص حيث صدئت لطول حبسها ، والخيول تحمحم فى الأوتاد ، ولا تصهل إلا حينما تتذكر مجدا غابرا . ومعلوم أن الحمحمة ـ عادة ـ تكون لطلب العلف ، والصهيل : يكون فى المعارك . وحين تصهل الخيل تستدعى التاريخ المشرق الذى يذعر أمامه الواقع ، المخزى . وصهيلها يكون رغبة فى صحو فارسها الذى نام طويلا .

ثم يستدعى الحديث عن سيف الدولة حديثا عن شاعره المتنبى الذى منحه خليفته وأبطال عصره مادة تبث الحياة فى شعره :

« وأبو الطيب فى صدر المجلس يختال بقافية عنقاء »
ويقارع غربان الشعر وأنصاف المغمورين
ويرد سهام الموتورين بنار من كلمات
كلمات غضبى . . . . . عربية »
المادح أغفى . . . . . والممدوح
لكن الخلق جميعا ، سهروا يختصمون ، ويحتكمون »
وسراياك تدك قلاع الروم ، تدك عروش الروم
وتعود بوجه النصر ، ووجه الشعر .
لكنا نحن سقطنا عن صهوات المجد
وعن صهوات الشعر .

والشاعر هنا يلتحم بأبى الطيب ويتماثل معه فى أن كليهما يرنو إلى تمجيد النصر العربى وتحدى الغربان من غير العرب ، غير أن هذا التماثل يحمل عنصرا مفارقا . لن يستطيع شاعرنا المعاصر تجاوزه ، وهذا العنصر يكمن فى : وفرة دوافع تحقيق الذات فى الماضى ، وانعدامها فى الحاضر ، إذ كيف تتحقق له قدرة إبداع شعر يستحق أن يقول قائله :

أنام ملء جفون عن شواردها
ويسهر الخلق جراها ويختصمو

وهو لا يملك بطولات ينسج منها تاريخ بلاده ، وملاحم شعره ،

ثم يمزج الشاعر العنصرين معا : فكما سقطنا عن صهوات المجد ، سقطنا عن صهوات الشعر ، فلم يعد لدينا شعر حيث انعدمت البطولة التى توحى به .

وحين يتناول شخصية تراثية كشخصية أبي العلاء المعرى ، يلتمس لعمى بصره واعتزاله فى محبسه سببا لصيقا بذاته ، ومعبرا عن معاناته . وكأن ذاته تلتصق بهذا الرمز التراثى الذى يمثل الموضوع الخارجى . ومع أن الرمز التراثى يحمل إسقاط الذات فإنه يظل ذا ملامح تند عن إمكان إخضاعها لتصور هذه الذات ، وتظل الذات معبرة عن ملمح من ملامحه ، ولكن رحابته تحوى ذواتا أخرى لها طبائع مختلفة . والشاعر يعبر عن هذا الإسقاط بقوله : (١٤)

ياشيخنا ، ياشيخنا الضرير
ماذا رأيت من وجوهنا فاخترت راحة البصر
ويقظة البصيرة
ماذا سمعت من حديثنا العبوسى ، فاعتزلت .
منقّبا صحيفة الزمان عن أثر . .

. . . . . .

هل آن للإنسان أن يجاوز الآلام
مهاجرا من عالم الملال والسآمة
إلى صفاء « المحبسين »
وعالم النقاء والكرامة .

ويستدعى الحديث عن البطولة شخصية أخرى هى شخصية « عنترة العبسى » وشخصية عنترة لها أكثر من ملمح :
فهو الفارس ، والمحب والانسان .
وتكون حياته فدى لحبه بفروسيته :

فداء وجه عبلتى يهون كل شىء
فداء ثغرها الباسم أستدير للخوف
مقبلا ، معانقا

. . . . . .

ياعبل ياحريتى
ياأملا رف ودار واستدار فى خفوق مهجتى
كما تكون فدى لإنسانيته :
من أجلهم من أجل عينيك الجميلتين
لبست ثوب الموت ، وأدّرعته مسربلا بالدم

وهذه القيم الثلاثة : الفروسية ، والحب ، والإنسانية لم يعد لها وجود :

عنترة الفارس : كان هاهنا وغاب
عنترة العاشق : عاش هاهنا وغاب
عنترة الإنسان : كان واحدا منكم وغاب :

وقد استطاع الشاعر أن يحمل هذا الرمز التراثى أعباءه النفسية حين وجد نفسه يعيش فى أرض خربة افتقدت فيها كل معايير الحق والخير والبطولة .

. . . .

ثم يختار الشاعر شخصية عامة اتخذها قناعا يدين الواقع العربى من خلاله وهى شخصية نمطية ، اعتدنا أن نسمع قصص البطولة على لسانها . وهى شخصية « شاعر الربابة » غير أن الشاعر يركز على جانب من جوانب شخصية هذا القناع ، وهذا الجانب هو من خلق الذات الشاعرة وإضافتها ، إذ لم يعرف أن شاعر الربابة يختم بعد سرده القصص البطولية حيث أصبحت تاريخا خياليا بلا معادل واقعى : (١٥)

ويقتلك الهم
تقتلك اللحظة القاسية . . . .
وقد هرمت فى يديك الربابة
وشاخت حكاياتها . . . . . .
وتفرق أبطالك الفاتحون
وأطرقت وحدك :
أين البطولة ؟
أين معارك كانت تدير الرؤوس ،
وتملأ كل العيون انبهارا عنيفا ، وجذبا
وأنت . . وأبطالك الراحلون . .
صنعتهمو بيديك .
خلقتهمو من عناء الليالى وكد السنين الشحيحة
وأطعمتهم جوعك العبقرى

الأسى الواقعى والجوع الفكرى والخواء البطولى يدفع شاعر الربابة إلى خلق التاريخ مرة أخرى ، وإضفاء بطولات خيالية تند عن حجم البطولات التاريخية الحقيقية ، لأن هذا الشاعر يسقط جوعه العبقرى ، وتشوقه الروحى وخواءه الفكرى على تلك الشخصيات ، وقد كان يجب أن يبدع فكرا وخيالا لشخصيات تحسّسها بيده ، وملأت عينه ، وأفعمت روحه ومع أنه أعاد خلق الشخصيات ومنحها ما لم يكن فيها ، غير أنه ما لبث أن أسقط فى يده وأدرك أن كل ما فعل ليس سوى محض خيال . وشخصية الشاعر هى شخصية شاعر الربابة كلاهما أسى وحزن عندما يتذكر ما مضى ويرى ما هو واقع .

ولشخصية الشاعر جانب آخر فهو من السامعين لقصص البطولات على لسان شاعر الربابة ، وهو إذ يسمع ينطلق وراء حدود المحال حين يغوص شاعر الربابة بأحشاء الجميع ،

ويرهف التّصل فيهم ، فيلوذون إلى أعماق الماضى :

نصير رجالا
ونحلم أنا كبرنا
وأنا امتطينا سحابة
وأنا عبرنا الهضاب الشوامخ
جزنا العصور الخوالى
لبسنا عباءة كل المغاوير
سقنا إليك الزمان نصفى حسابه
لبسنا رداء القياصر
. . . . . .
ونصحو . .
فلا حلم يمسكنا . . . . . أو صبابة
ونسقط من فوق ظهر الغرابة

فهم ليسوا رجالا إلا فى الحلم ، وهم صغار فى الواقع ، وفى حلمهم يجوزون كل العصور ، ويتنافسون كل المغاوير . .

وعندما يصحون ، يسقطون من فوق كل القمم التى صنعوها فى أحلامهم .

والتمزق النفسى ناشئ عن المفارقة فى داخل شخصية الشاعر ، وإذا كان السامعون يسقطون مرة ، وشاعر الربابة يسقط مرة ، فإن شاعرنا يتمزق مرتين ، مرة عندما سمع وحلم ثم صحا فسقط .

ومرة عندما أبدع وصور راكبا أجنحة الخيال ثم التفت فافتقد فاطرق .

فإذا أمكن أن نقول إن هناك تماثلا بين شخصية شاعرنا وشخصية شاعر الربابة ، فان هناك أيضا تماثلا بين شخصيته وشخصية السامعين من جانب . ولكن المفارقة بينه وبينهم أعمق ، ومن ثم تكون ذاته فى التحامها بشخصية شاعر الربابة مفارقة لشخصية كل السامعين الذين ما زالوا يحلمون دون أن يشعروا بالسقوط .

المنيا : محمود محمد عيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هوامش

(١) الأعمال الشعرية الكاملة ـ فاروق شوشة مطبعة أطلس سنة ١٩٨٥م ص١٤
(٢) الأعمال الشعرية الكاملة ص١٢ ، و١٣
(٣) المصدر السابق ديوان لؤلؤة فى القلب ص ٣٢٥
(٤) د . عز الدين اسماعيل . الشعر العربى المعاصر . قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية دار العودة ـ بيروت ج ١ (سنة ١٩٧٢ ص ١٤) .
(٥) انظر : د. طه وادى : جماليات القصيدة المعاصرة ـ دار المعارف ـ مصر ص ٩
(٦) المرجع السابق ص ٧
(٧) انظر فى ذلك قصيدة (حدائق رفيقة) للسياب . ديوانه : المعبد الغريق ص ١٧ ففيها يرتد الشاعر إلى أعماق شعوره ، ويعبر عن الرغبة فى الحياة ، على أن تكون ذات معنى ، وعن الخوف من المرض الذى أخذ يطارد جسده ، فالصراع قائم بين الرغبة فى الحركة ، والخوف من الشلل ، ولا شك أن ذلك مرتبط بقضية موضوعية عامة وهى : الخوف من الفقد عامة وعموميتها مصدر الفزع منها . انظر تحليل القصيدة فى بحثنا « التوظيف الدرامى فى الشعر العربى المعاصر» ص ٢٥٨ .
(٨) الأعمال الشعرية الكاملة ص ١٠
(٩) ديوان (فى انتظار مالا يجىء) ص ٣٤١ من الأعمال الكاملة .
(١٠) وهو قول ينسب لكثير ، ولعفة بن كعب بن زهير انظر دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجانى ص ١١٢ والأبيات هى :

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهارى رحالنا
ولم ينظر الغادى الذى هو رايح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطى الأباطح

(١١) الأعمال الشعرية الكاملة . من قصيدة (حال من العشق) ص ٣٤٨
(١٢) المصدر السابق ص ٤٥٨
(١٣) الأعمال الشعرية : الكاملة ص ٢٣٨ .
(١٤) أصوات من تاريخ قديم ص ٢٤٥
(١٥) ص ٣٨٩

السّيد من حقل السبانخ

رؤية مستقبلية

دراسة: للروائى صبرى موسى

طلعت رضوان

ما هو شكل المجتمع الإنسانى بعد أربعمائة سنة ؟

فى روايته « السيد من حقل السبانخ » يقدم الروائى المصرى الكبير صبرى موسى رؤيته . من الصفحات الأولى يتحدد الهدف : محاولة تقديم رؤية مستقبلية عن مصير الإنسان بعد أربعة قرون .

ولنا أن نتخيل ــ كما فعل الكاتب ــ القفزات الهائلة للتطور العلمى والتكنولوجى بعد هذه القرون الأربعة .

لقد تغلب العلماء على الكثير من المشكلات التى تعرقل تطور البشرية . فما هى المشكلة التى تطرحها الرواية ؟ وما هو التناقض المتصور داخل هذا المجتمع الجديد ؟

تفترض الرواية أن حربا ألكترونية قامت فى بداية القرن الواحد والعشرين ، وأن بضع مئات من العلماء قد نجوا من هذه الحرب التى دمرت كل شىء . وعبر قرون أربعة « من الاستخدام الحضارى للإلكترونات وتطوراتها ، وصلت الإنسانية إلى نظام عام لتوزيع العمل والطعام والدفء السكنى والتعليم والفن والكماليات الوفيرة . وقد أمكن القضاء على جميع الميكروبات ، وأسباب الحروب ، وأمكن تنظيم عمليات الوفاة والولادة ، وأصبح الإنسان حرا ، ولم يعد النظام العام الذى يدير الحياة فى حاجة إلى أى نوع من أنواع الرقابة أو المباحث أو المخابرات ، لمراقبة الناس وضمان تصرفاتهم . إن كل شىء قد أصبح يدار بإحكام شديد ، وجميع النتائج والثمار ، توزع على المواطنين رخاءً ورفاهية ، بطريقة عادلة .

ولم يعد الإنسان يحمل همّ الطعام أو حتى طهيه ، حيث تنتشر أنانيب الطعام الساخن والبارد فى كل مكان . ولا يحمل همّ ملابسه ، وأصبح يتمتع بحوالى مائتين وخمسين يوما من الأجازات مدفوعة الأجر ، ويتولى الإنسان الآلى مهمة النظافة وكل أعمال المنزل ، وتخلصت المرأة من متاعب الحمل والولادة ، بعد تعميم نظام الولادة المعملية بعيداً عن رحم الأم . ولم تعد ثمة ضرورة لمبدأ العقاب « حيث انتهت جميع مبررات الجريمة » . وأن أى خطأ يحدث يمكن « معالجته وليس معاقبته » . وكان آخر انجاز علمى تختتم به الرواية هو نجاح العلماء فى انشاء ذرية من الخلايا الجسدية للكائن الحى بدلا من الخلايا الجنسية .

هل نحن إزاء رواية من روايات الخيال العلمى ؟

لا نحن أمام رواية مستقبلية ، رغم ما تحفل به الرواية من إلمام صاحبها واحتشاده المعرفى بالتطورات العلمية والتكنولوجية وإمكاناتها المستقبلية .

وهذه هى الميزة الأولى لهذه الرواية .

إنها الرواية الأولى فى العالم العربى ــ فيما أعلم ــ التى تستخدم إمكانات العلم المستقبلية ، لا من أجل الإبهار ، بل لرسم رؤية عن مصير الإنسان ، من خلال بناء روائى متكامل ، بعد هذا التقدم العلمى والتقنى ، ومع هذا لم يهتم بها أحد ، رغم صدورها فى حلقات بمجلة صباح الخير من أغسطس ٨١ إلى يناير ٨٢ ، وحتى صدورها فى كتاب فى يناير ١٩٨٧ .

تناقض هومو مع التقدم التقنى :

تبدأ الرواية ببطلها السيد هومو لحظة انصرافه من حقل الاستنبات الضوئى لإنتاج أوراق السباتخ الخضراء ، إلى السيارة الهوائية التى تنقله ، مع باقى الشغيلة ، إلى سكنه . فماذا حدث ؟ لقد انتابته لحظة من التفكير . . لحظة من الشرود . . من التوقف . . من التلكؤ ، فلم يركب السيارة .

السيد هومو ـ ضمن حالات أخرى يتنابها نفس الشىء ـ قد خرج عن النظام الذى لا يخرقه أحد .

المسئولون عن النظام العام يبحثون كل حالة على حدة لمعرفة السبب .

والسيد هومو يهتم بمعرفة السبب .

فى البداية يشعر بلذة وهو يسير مستخدما قدميه حتى يصل إلى ميدان السفر الخارجى . تقلق السيدة زوجته عليه ، فتدير مفتاح جهاز الاستخبار الشخصى ، وتضبط قناته على شقة صديقه دافيد فلا تجده ، فتضبط الجهاز على موظف الاستخبارات فى المركز الفرعى لا ستخبارات القطاع السكنى وتبلغه بغياب زوجها . بعد أن يسألها الموظف عن رقم زوجها ، يبدأ فى البحث عنه من خلال الشاشة الكبيرة على جهاز الاستخبارات الذى يعمل عليه ، ويعثر عليه فى ميدان السفر الخارجى .

فى الصباح يتوجه السيد هومو إلى مكان عمله ، فيرى الضوء الأحمر فى لوحة التعليمات أمامه ويقرأ على شريطها السيليلويد تلك العبارة « السيد مطلوب للاستجواب فى مركز التحقيق الآلى » . وهو استجواب يتم عن طريق شاشة تليفزيونية ، توجه إليه الأسئلة من مندوب النظام العام أو مندوب الصحة أو مندوب الأمن المركزى . ومن حق السيد هومو أن يمتنع عن الكلام ، لأن الذبذبات التى تصدر عن حرارته الجسدية فور انفعاله بالأسئلة ، سوف ينقلها المقعد المجهز إلى أعضاء اللجنة عن طريق العديد من الأجهزة الألكترونية المركبة فى المقعد نفسه وفى الأرض وفى الجدران ، بل وفى سقف الغرفة نفسها .

وعندما يُسأل عن الخلل الذى أصاب جهازه النفسى وجعله يتصرف بهذه الطريقة غير المنضبطة ، لم يتمالك السيد هومو نفسه ، وتناسى الامتيازات التى أخبره بها موظف غرفة الاستجواب ، والتى تعطيه الحق بأن لا ينطق . فقال غاضبا :

ـ أيتها اللجنة الموقرة . . ليس هناك خلل أو مرض . . كل ما هنالك أننى تصرفت بطريقة عفوية . . على سجيتى . . أليس من حقى أن أتصرف مرة بطريقة عفوية . . على سجيتى ؟؟

كان المتبع ـ فى الحالات السابقة ـ أن اللجنة تسمى هذه الحالات ب « توقف تيار الحياة اليومى » . وإذا تعذر على صاحب الشأن إيجاد التبرير لحالته ، أو جدته له اللجنة ، وهو غالبا السأم من الحياة الزوجية ، وفى هذه الحالة تتولى لجنة ترتيب المجتمع تزويجه من امرأة أخرى ، أو منحه إجازة مدفوعة الأجر ـ مهما طالت مدتها ـ ليفكر فى أمر نفسه ، ولكن السيد هومو يصيح فى الموظف الذى أخبره بذلك « لا أظن أن اللجنة بهذا المستوى من الحماقة » . وفى موضع آخر يقول « أيها الأخ الموظف . . أنا لست متضايقا من العمل . . ولست متضايقا من السيدة زوجتى . . لست متضايقا من شىء على الإطلاق » . وحتى عندما تعرض عليه زوجته أن يذهب إلى صالون الحب ، الذى يشرف عليه النظام ، لأن هناك فتيات بارعات متخصصات فى فنون الحب وقتل السأم ، فإنه يرفض ويصرح لها بأنه لا يشكو من هذه المسألة .

فما هى مشكلة السيد هومو ؟

فى ملهى المناقشات العامة ، والذى أقامه النظام تحت كل برج سكنى ، يجتمع كل محبى الكلام ، فرغم الثورة الأوتومية العالية ، لم يتخلص الإنسان من هذه اللذة الناتجة عن الكلام . وفى هذه الملاهى يناقشون كل شىء ، الفردى والعام ، بما فى ذلك نقد النظام .

تتم مناقشة حالة السيد هومو ، ونتعرف على شخصية الدكتور بروف ، الذى يتبنى حالة السيد هومو وكل الحالات المماثلة ويدافع عنهم بحماس شديد ويتهم النظام بقتل الملكات الفردية للإنسان بسبب سيطرة العبيد الآليين ، الذين أصبحوا ـ فى حقيقة الأمر ـ هم السادة ، وتحول الإنسان إلى عبد ، ويصيح أنه إذا كانت أول ثورة اجتماعية هى ثورة العبيد ضد السادة ، فلتكن ثورتنا هى ثورة الإنسان ضد العبيد الآليين . ويشخص حالة السيد هومو بأنها ليست قضية الحرية ، بل إنها قضية الجمال .

يشعر النظام بخطورة الموقف ، لأن حالة السيد هومو لم تكن الأولى . فيدعو إلى اجتماع عام بالصالة المعلقة ، وهى تحفة معمارية ، تتسع لآلاف الأشخاص ، ومجهزة بكل وسائل الاستمتاع والترفيه ، حتى الحمامات وتغيير الملابس . فى هذا الاجتماع يدعو مندوبو النظام إلى الاقتراع على البرنامج الثورى التالى :

١ ـ بالنسبة للحالات العارضة التى ظهرت خلال السنوات الأخيرة متمثلة فى الانقطاع أو التوقف عن تيار الحياة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المرسوم ، فإنه يجب البدء فورا بمعالجة عقولها كيميائيا عن طريق حقن الخلايا العصبية ، لتصويب عمليات الاستقبال أو الشعور ، بحيث تعود لهؤلاء الأشخاص السيطرة العاقلة على أنفسهم .

٢ ـ التوقف عن خداع النفس وإعلان إلغاء الزواج ، الذى انتهى دوره الاجتماعى اقتصاديا وسياسيا منذ عدة قرون ، والذى لم يبق منه الآن سوى لا فتته فقط . وبالتالى فإن النظام يقترح إلغاء المساكن واستبدالها بالفنادق المجانية ، يذهب إليها أى إنسان فى أى وقت يشاء ، وهناك ينام ويأكل ويستبدل ملابسه . . الخ .

٣ ـ إن هذا المشروع تمهيد ضرورى حتى يتخلص الإنسان من كل نوازع الملكية الفردية تماما تمهيدا للانتقال إلى الكواكب الأخرى .

يتزعم الدكتور بروف جماعة المعارضين . . جماعة محبى الطبيعة أو حرس الطبيعة . . . يدافع بروف عن وجهة نظره ويرفض مشروع النظام . ولكن التصويت يأتى لصالح المشروع ، فماذا يفعل بروف وزملاؤه ؟ إنهم يرفضون معالجة عقولهم كيميائيا . فما هو البديل ؟ يطرحه بروف قائلا : « الخروج » . . اسمحوا لنا بالخروج إلى الطبيعة .

فما هى تلك الطبيعة ؟

بعد الحرب الألكترونية الأولى استطاع العلماء تغطية مساحة من الأرض بغطاء زجاجى هائل ، وما دون ذلك تُرك على حاله .

كانت رغبة بروف وزملائه هى خوض تلك التجربة المثيرة . بداية تكوين حياة جديدة .

انزعج مندوبو النظام . ولكن بروف أصر على رأيه .

هل كان بروف وزملاؤه يجهلون تماما طبيعة الجزء المتروك على حاله وغير المغطى بقبة الزجاج الهائلة ؟

كانت لجان الإعلام والثقافة تذيع على المواطنين بعض الأفلام عن النشاط الإشعاعى الكثيف الذى غطى الأرض القديمة نتيجة للانفجارات الذرية والهيدروجينية فى الحرب الألكترونية الأولى ، وكيف أدى النشاط الإشعاعى إلى تغيرات رهيبة فى الأرض والمحيطات ، فبعض الصحارى المتماسكة أصبحت هشة لا تتحمل وقوف بعوضة عليها دون ان تبتلعها ، وبعض المحيطات والبحار تفتتت قيعانها الصخرية وصارت المياه عجينة رخوة من الطمى تسبح فيها أنواع غريبة من الوحوش الطينية . وظهرت إلى الوجود كائنات حية غير مألوفة ، فى طفرة بيولوجية هائلة ، مثل الأشجار التى تتغذى على البروتين وتأكل كل ما هو متحرك حولها ، أو الحيوانات الأرضية ذات الأجنحة الضخمة والتى تستطيع الطيران بسرعة شديدة رغم أجسامها الهائلة .

كانوا يعرفون . ومع ذلك قرروا الخروج .

بدقة علمية فائقة ، وبلغة فنية ، يصف لنا الكاتب رحلة الخروج ، والأهوال التى تعرضت لها مجموعة محبى الطبيعة ، حيث صراع الكائنات الحية من أجل البقاء ، وقانون البقاء للأقوى مجسدا ، وحيث الأشجار العملاقة تأكل الكائنات الحية ، وهجوم البقر الوحشى على سيارات الجماعة المجهزة ضد كل الأخطار . تزايدت أعداد الضحايا . فى اليوم الثالث يقرر هومو العودة ، ويصيح فيه بروف أن يتجلد ويتماسك ، ولكن هومو يصرُّ على العودة ، فيعود فعلا إلى البوابة الضخمة التى بنيت خصيصا من أجل رحلة الخروج ، وعلامة على الديمقراطية . ولكن لا أحد يستجيب لنداءات هومو الآلية بالنجدة . وكانت امرأة تتنزه مع رجلها قرب البوابة ، وعندما تتعرف عليه من خلال الزجاج السميك ، وقد صارت الهيئة تقول بأسف : « أما زال يدق الباب ؟ هل نسى أن الزمن لا يعود إلى الوراء ؟

بهذه الجملة تنتهى الرواية ويبدأ التساؤل :

ما هى رؤية الكاتب المستقبلية ؟

ترتكز الرواية على محورين ينبثق منهما التناقض المتصور لهذا المجتمع الجديد .

الأول صورة هذا المجتمع من خلال ثلاثة مستويات :

المستوى الأول : التقدم العلمى التقنى ، الذى وفر للإنسان كافة سبل الراحة ، ومنه امتد وقت الفراغ ، ليكون حبلا حول عنق الإنسان ، بدلا من أن يكون أداة للاستمتاع .

المستوى الثانى : عدالة اجتماعية مطلقة .

المستوى الثالث : احترام حرية الفرد من خلال نظام ديمقراطى حقيقى .

تتداخل المستويات الثلاثة لتكوّن جبهة المحور الأول فى مواجهة المحور الثانى : الإنسان ؛ فرغم هذا المجتمع اليوتوبى المنشود ، يظل الإنسان هو الإنسان : لا العدالة الاجتماعية ، ولا الحرية الفردية ، ولا التقدم العلمى ، لا شىء على الإطلاق يستطيع أن يمتد إلى الخاصية الأساسية للإنسان ويقتلها : أن يقلق ، أن يتوتر ، يرفض ويعترض ، يبدو مهموما ، يتشوق إلى شىء مفتقد ، يحلم ، حتى لو كان الحلم ارتدادا للماضى .

طوال صفحات الرواية ، يلاحق القارىء هذا السؤال : ما الذى يجعل السيد هومو وأمثاله يتوقفون عن تيار الحياة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المعتاد ، رغم هذه اليوتوبيا الجميلة ، التى لا تحلم البشرية بعُشر أمثالها ؟

إننا أمام روائى يفهم صنعته جيدا : تكثيف التناقض بحدة قاطعة . فالمواطن لا يعانى من أية مشكلة تتعلق بأمور المعيشة . والأهم أنه يتمتع بحرية حقيقية . فالسيد هومو ــ رمز التناقض أو التعارض ــ يصيح أثناء التحقيق الآلى : « أنا لا أدافع عن قضايا خاسرة ، إننى أدافع عن حريتى » . فيرد عليه مندوب الأمن المركزى « إننا لا يمكن أبدا أن نبقيك هنا رغم إرادتك . . ويمكنك أن تنهض وتنصرف فورا محملا بكل حريتك ، تنطلق بها كيف تشاء فى المعمورة على اتساعها : دون أن يستوقفك أو يوجه إليك الأسئلة أحد .

بل إن الموظف يخبره أن لجنة التحقيق على استعداد أن يستمر التحقيق شهورا طويلة « إلى أن تقنعهم أو يقنعونك » .

وعندما يطرح مندوب الصحة اقتراح علاج الحالات الخارجة عن النظام ، بعلاج عقول أصحابها كيمائيا ، فإن السيد بروف يطلب الكلمة وينديد « بأساليب القهر والاستبداد التى انقرضت من قرون وتوشك أن تطل برأسها على البشرية من جديد » .

ولكن مندوب الأمن المركزى يرد عليه قائلا : « أنتم محظوظون لأنكم لم توجدوا فى عصور القهر والاستبداد فعلا ، حيث كان من السهل اعتقالكم جميعا وإلقاؤكم فى غياهب المعتقلات والسجون بتهمة العمل ضد النظام » .

وتكون الصدمة ــ لبروف وللقارىء ــ حينما يعلن مندوب النظام أنه كان من اليسير « إلتقاط تلك الحالات ــ لرجل السبانخ وأمثاله ــ ومعالجة عقولها كيمائيا أولا بأول ، دون أن يشعر بذلك أحد ، ولا حتى هم أنفسهم ، وكنا قد وفرنا كل هذا الوقت الضائع . . وكل هذه المناقشات التى نخوضها منذ ليال ثلاث » .

وإزاء إصرار بروف وجماعته على رحلة الخروج إلى الطبيعة فإن مندوب النظام يعلن « إن الابتهاج الذى نشعر به جميعا إزاء الإجماع شبه الكامل على مشروع تطوير الغرائز ، والقضاء على المشاعر الفردية ، تمهيدا للهجرة النهائية من الأرض ، يجب أن يشوبه بعض الحزن ، لأن أخوة لنا ، وإن كانوا قلة فى العدد ، قد رغبوا فى الخروج عليه ، لأنهم لا يستطيعون قبوله أو التأقلم معه .

ليس هذا فقط ، بل إنه يضيف . « إننى بشكل شخصى ، أشعر باحترام شديد وتقدير للسيد بروف وزملائه ، هؤلاء الذين أتصور أنهم يتصرفون عن شجاعة ، وعن ضمير حى مخلص . . ولكنه بكل أسف ، ضمير يعمل طبقا للحسابات القديمة . . وشجاعة من النوع القديم ايضا ، لا يمكننا تقديرها أو الإعجاب بها فى هذا الزمان » .

وفى نهاية الاجتماع يطلب بروف إبطال مفعول التعقيم لجماعة الخارجين ، رجالا ونساءً ، حتى يمكن لهم الإنجاب وخلق ذرية من صلبهم فى حياتهم الجديدة . وتكون المفاجأة عندما يعلن مندوب النظام « لك أن تطمئن ياسيد بروف ، فنحن لا نضمر لكم أية نوايا سيئة ، لقد كان زميلى مندوب الصحة العامة يقول بتلقائية ودودة قبل أن أصعد إلى المنصة لإنهاء هذا الاجتماع . . إنه من الضرورى أن نعيد إليكم بقدر الإمكان ، كل ما يمكن إعادته من قدراتكم الطبيعية الفطرية . . ما دمتم ذاهبين لمواجهة طبيعة فطرية » .

ما هى المشكلة اذن ؟

مجتمع علمى عادل ديمقراطى بهذا الشكل ، ومع ذلك يظل التمرد قائما . هل هناك تبرير آخر غير تلك الطبيعة الإنسانية التى ترفض « التقولب » حتى فى مجتمع شبيه بالجنة ، مجتمع عصر العسل ، كما تسميه الرواية ؟

هل السبب أن الإنسان يرفض أن يتحول إلى مجرد رقم كما ذكر المعترضون فى الرواية هل لأن هومو يرى ما لا يراه الآخرون حينما يصيح فى لجنة التحقيق « أيها السادة » إنكم تقتلون الأحاسيس الخلاقة فى المواطنين . . إنكم تقتلون الحرية الشخصية داخل فكرة الانضباط ، وتمنعون النزوات ، وتعوقون الخيال الإنسانى المقدس عن الانطلاق الجامح الذى تولد منه العبقرية الخلاقة » .

وعندما يوضح له مندوب النظام أن جميع العبقريات موجودة ، وتولَدُ حسب الطلب فى المعامل « عبقريات متنوعة وخلاقة فى العلوم والفنون والهندسة والرياضة . . تقوم على أكتافها أعباء النهضات والتطورات الحديثة فى المعمورة الأرضية ، بل وتضع الأساس الآن فى الفضاء الكونى لإنشاء المعمورات البشرية فى بعض الكواكب المجاورة لنا » .

فإن هومو يصيح « إنها عبقريات مزيفة . . عبقريات صناعية مختلفة وباردة . . لا إنسانية » . هل هى رغبة الإنسان الدائمة فى العفوية رغم أى تقدم علمى ؟

هل تقدم الرواية صيحة إنذار من سيطرة الآلات ، حتى لا يتحول الإنسان إلى ضحية لها ؟ هل تظل رغبة الإنسان فى حب العمل اليدوى قائمة رغم أى تقدم علمى ، بل سيظل يؤرقه دائما ضرورة استخدام يديه . يصيح بروف فى هومو

« إنهم مجرمون ، هؤلاء السادة مسئولو النظام . . إنهم جميعا يعرفون جيدا أن علاج حالتك هو أن تعود إلى استثمار جميع إمكانياتك البشرية بطريقة طبيعية . . أن تعود إلى العمل بيديك . . وإلى مواجهة التحديات بعقلك وليس بواسطة هذه الآلات اللعينة » .

هل سيادة التنظيم فى مجتمع ما ، يحول البشر إلى حشرات منظمة ، وبالتالى فهو يمثل خطورة على عقل هذا المجتمع البشرى ؟ يصيح بروف ضد مشروع النظام « إننى ارتعب الآن خوفا من الوصول إلى حالة تفوق حتى خيالنا فى دقة تنظيمها وسيطرتها الكاملة على الأفراد ، إذا ما نجح النظام فى الحصول على الأصوات اللازمة لتمرير برنامجه الثورى هذا للقضاء على ما بقى من المشاعر الفردية . . بحجة الانتقال إلى الفضاء . . ثم تلازمنا تلك الحالة بعد ذلك ولا تتغير أبدا ، كما حدث فى مملكة النحل ، لأن التنظيم يتطلب ويؤدى إلى مزيد من التنظيم . . وهكذا نكون قد قطعنا هذا الشوط الطويل فى مسيرة التطور ، لكى نصل إلى نموذج حياتى قديم ، من عالم الحشرات » .

هل يدافع الأستاذ صبرى موسى عن جماعة محبى الطبيعة والعودة للماضى فى مواجهة هذا المجتمع اليوتوبى الجميل ؟

لا أظن ذلك لسببين :

الأول : نجاح الكاتب فى جعل القارىء يتعاطف مع هذا النظام الاجتماعى المتكامل ، بل وتمنيه لو عاش فى ظله ، لأنه يسعى لا رتقاء الإنسان من خلال تطور ملكاته العقلية فى مقابل التخلص من بقايا الغرائز .

الثانى : لأن الرواية تنتهى بانتصار مشروع النظام ، وفشل رحلة الخروج ، بل وعودة هو مو نفسه ، مما يعنى استعداده للتأقلم مع مجتمعه الخارج عليه .

بل إن الكاتب يعلنها صراحة ـ على لسان مؤيدى النظام ـ أن بروف ورفاقه ، لديهم ميول تخلفية ، وأن غرائزهم القديمة لا زالت تسيطر على عقولهم الحديثة .

تنطلق الرواية ـ بوعى كاتبها ـ من أن أى مجتمع ـ مهما كان شكل نظامه ـ لابد وأن يكمن التناقض والصراع بداخله . فما هو التناقض المتصور داخل مجتمع عصر العسل ؟

إن الكاتب يخرق المألوف .

فإذا كنا ـ بحسابات القرن العشرين ـ ننطلق من مقولة أن قوى المعارضة هى قوى التقدم فى مقابل النظام الاجتماعى السائد الذى يكرس للتخلف ، فإننا إزاء نظام اجتماعى يسعى للتقدم فى مقابل قوى معارضة تنادى بالعودة للوراء .

فما هى المشكلة ؟

من هذا السؤال يبدأ الطرح الفلسفى فى الرواية .

هل يكون العيب ـ دائما ـ فى النظام الاجتماعى ، أم من الممكن أن يكون فى الأفراد أنفسهم ؟

تجيب الرواية أن العيب ـ فى عصر العسل ـ يكمن فى بعض الأفراد الخارجين على النظام ، المطالبين بالخروج إلى الطبيعة حتى ولو كانت فى عنفوانها الأول .

ولأن قوى التقدم هى التى تنتصر فى نهاية أى صراع ، فإن مشروع النظام ـ فى هذه الصورة المقلوبة ـ هو الذى ينتصر ، كحتمية تاريخية ، وتندحر قوى التخلف إلى الأبد وإذا كان هو السيد هومو يصور رغبته فى العودة إلى الطبيعة وحبه للعفوية على أنها دفاع عن حريته فقد كان مندوب النظام العام على حق وهو يرد عليه قائلا : « إن العودة إلى الوراء تعنى التخلف ، والدفاع عن التخلف يعنى الدفاع عن الفوضى ، وبذلك فإن الدفاع عن الحرية ، فى هذه الحالة ، يعنى الدفاع عن التخلف » .

وقد يتوقف القارىء أمام قسوة مندوبى النظام ، لرفضهم الاستجابة لنداء هومو ـ الذى عاد طائعا مختارا بعد فشل تجربة الخروج ـ وقد يتساءل ـ القارىء ـ لماذا وقف الكاتب هذا الموقف من هومو ؟

أتصور أن التعامل مع الرواية على أنها رواية طرح لقضايا فلسفية ، يزيل هذا اللبس ، ويجعلنا نرى هومو فى صيغته الرمزية ، لا الإنسانية .

فنهاية الرواية تضع الطرح الفلسفى الثانى ، قانون التضحيات :

المجتمع البشرى مقابل بضعة أفراد ، قوى التقدم فى مقابل قوى التخلف . إن قوانين الطبيعة والعلوم والاجتماع تجيب بانتصار المجموع على الأفراد ، وقوى التقدم على قوى التخلف إن التضحية قانون حتمى . ولنا أن نتوقف أمام مثال واحد ، قانون التناسل الطبيعى : ملايين الحيوانات المنوية كى تختار البويضية أقواها وأسرعها ، ولم يتوقف شخص واحد ليقول هذا ظلم وهذه قسوة .

وسأكتفى بضرب مثالين من الرواية نفسها :

الأول : فى ملهى المناقشات العامة يدافع أحد المواطنين عن وجهة نظر النظام ضد فكرة الخروج والعودة إلى الطبيعة قائلا ، « إن هومو يرفض النظام الذى هو القانون الطبيعى للكون ، ألم يتأمل فى نظام المجرات ؟ ألم يتابع النظام الدقيق للأفلاك منذ بدأ هذا الكون ؟ إن كل نجم يخرج عن مداره يحترق ويهوى فى الفضاء اللانهائى » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثانى : وهو تأكيد الكاتب على أن هومو تجسيد للرمز ، ففى الصفحات الأخيرة من الرواية يدخل هومو إلى صالة العقل الألكترونى الشامل ، الذى يجيب على أى سؤال ، يسأله هومو من أنا ؟ يجيب العقل الألكترونى :

ـ أنت الذى قتلت أخاك هابيل . . وخنت أباك . . ودفنت أختك فى رمال الصحراء وهى وليدة أنت لست فردا ياهومو . . ولم تكن أبدا فردا . . حتى فى تلك الحضارات التى تصرفت فيها كفرد ، وأشعت الفدرية من حولك ، ولو ثت تاريخك بالدم والخراب ، ولم تكن تفعل ذلك بوحى من فرديتك إنما بوحى من غريزة المجموعة القديمة التى كنت تنتمى إليها منذ ملايين السنين » .

نأتى إلى الطرح الفلسفى الثالث والذى يعتبر جوهر الرواية ، وهو : العقل فى مواجهة الغرائز .

تؤكد الرواية على أن تطور المجتمعات البشرية رهين بتطور ملكات الإنسان العقلية والروحية ، وأن ارتقاء العقل لم يتم إلاّ عبرالتخلص من الغرائز ، وأنه كلما تراجعت الغرائز كلما ارتقى الإنسان سلم التطور .

يضرب مسئولو النظام ضربتهم الأخيرة ، فلا زالت الغرائز تتحكم فى سلوك البعض ، ولعل غريزة التملك هى الغريزة الجامعة لكل شوائب الغرائز ، ولعل مؤسسة الزواج هى المرتع الأخير لذلك الميكروب ـ التملك ـ حيث امتلاك الرجل لا مرأة بعينها أو العكس . يقول مندوب الصحة العامة « لقد كانت المرأة هى الحاكمة فى المجتمعات الشيوعية الأولى فى عصور الصيد ، وبظهور الملكية الفردية انتقلت السيادة للرجل ، فامتلك المرأة وفرض عليها التخصص له ، بينما احتفظ لنفسه بحق التعدد . فى ذلك الزمن الموغل فى القدم ، ولدت مؤسسة الزواج ، التى اعتقد الإنسان الذكر أنه قد استطاع من خلالها أن يمتلك المرأة ، دون أن يمتلكها أبدا فى الحقيقة لأن امتلاك كائن بشرى هو تفكير خاطىء من الأساس »

وفى عصر العسل ـ بعد أن تخلصت البشرية من كل عيوب مؤسسة الزواج ، والمتمثلة أساسا فى التملك ، وبعد أن أصبحت المرأة حرة والرجل حرا ، فقد آن الأوان للتخلص من هذا الإطار الشكلى للزواج ، وإعلان إلغاء تلك المؤسسة نهائيا ، حتى لا يرتبط الحب بإنسان معين ، هو الزوج أو الزوجة ، ولا يتوجه ـ الحب ـ نحو الأبناء وحدهم ـ وإنما ينمو الحب ـ جدليا ـ فى إطار المجتمع البشرى بأسره ، وهذا يتسق مع هدف النظام نحو وجود بشر عقلانيين .

وتتميز الرواية ـ رغم الأطروحات الفلسفية ورغم الاحتشاد المعرفى بالعلوم والتكنولوجيا وإمكاناتها المستقبلية ـ ببنائها الدرامى ، فالرواية تبدأ بأزمة بطلها ، التوقف عن سير الحياة المعتاد ، اقتناعه بالتقدم الذى يقوده النظام ، ورغبته فى استخدام حريته الشخصية ، عفويته بل تمرده ، حتى وإن كان العودة إلى الطبيعة . . إلى الماضى ، حيرته وترددده ، رحلة الخروج ، ثم العودة ، ثم رفض النظام الإصغاء لنداءاته . بل إن الشخصيات ، رغم كونها تجسيدا لرموز فلسفية ، يقدمها الروائى متسقة مع نفسها كما لو كانت شخصيات طبيعية ؛ فإن هومو وبروف وكل جماعة محبى الطبيعة والخارجين على النظام لا يترددون على صالونات الحب الحر ويرتبطون عاطفيا بالأشياء مما يعنى وجود الميل إلى الامتلاك .

هذا هو التناقض الذى اختاره الكاتب للمجتمع البشرى بعد أربعة قرون : وربما يكون ثمة سؤال : هل إنسان عصر العسل ، مع كل التقدم العلمى والعدالة الاجتماعية الديمقراطية ، يفكر بأسلوب هومو وبروف ؟ هذا مجرد تساؤل لا نملك الإجابة عليه ، لأننا أمام عالم روائى من صنع خيال الكاتب ، بل قد نتجاوز عن السؤال ونحن نسمع صيحة بروف « إذا كانت أول الثورات هى ثورة العبيد ضد السادة ، فلتكن ثورتنا هى ثورة الإنسان ضد العبيد الآليين » وعندما نكتشف أن تمرده من أجل رحلة سبق أن قطعها الإنسان منذ ملايين السنين ، ولم يكن أمامه سبيل آخر ، أى أنها رحلة حتمية ، انتفى مبرر وجودها فى القرن الرابع والعشرين ، ألا يدعونا ذلك إلى التوقف وتأمل صيحة بروف لتكون ترجمتها : إذا كانت أول ثورة ثورة تقدمية ، فإن آخر الثوارت هى ثورة رجعية ، مآلها الاحتراق فى الفضاء اللانهائى ، مثل أى نجم يخرج عن مداره ؟

إن رواية « السيد من حقل السبانخ » عمل فريد من نوعه فى الأدب العربى عامة ، ويكفيها أنها مشحونة بالتوتر الدرامى من صفحاتها الأولى ، ولهذا فهى ليست رواية خيال علمى ، ويكفيها أنها تضع رؤية مستقبلية عن مصير البشرية ، وأنها تضع أطروحات فلسفية ، تبقى مع القارىء ، وتضيف إلى وعيه وتمس روحه ، وذلك فى بناء درامى ، شديد الإحكام ، بالغ الجمال .

القاهرة : طلعت رضوان

تنحدر صخور الوقت إلى الهاوية

رفعت سلام

لا . . لا شيء
ما الوقتُ الآنْ ؟

كان الأفقُ ينامُ على خاصرةِ الأرضِ ، فيوصدُ فى
وجه طيورِ البحرِ شبابيكَ الترحالْ .
أكان الصيفُ إذ انتصفَ الزمنُ الواعدُ فى جسدينا . .
فاشتعلا ، أم أن غيومَ النومِ انفلتت فى الطُرقاتْ .
أتذكُرُ .
حقاً . . ؟
لكن قليلاً من ثرثرةِ الليلِ تُزيلُ عن القلبِ همومَ اليومْ .
هل يمكن حقاً لقليلٍ من ثرثرةِ الليلْ
أن يصلحَ ما أفسدَه اليومْ ؟
تنعقدُ الكلماتُ دخاناً يتكاثفُ
يصَّاعدُ حتى يصدمه السقفُ فيرتدْ
تصدمه الأرضُ ، فيرتدْ
يتصادم بالجدرانْ
يتحرش بزجاجِ الشباكِ الموصودِ ، فينحلُّ
يذوبْ
يتكثَّف قطراتٍ تجرى فى المنحدراتِ إلى البالوعاتْ .

كان الأفقُ ينامُ ، فتصحو الأشياءُ الليليةُ والثيرانُ

الوحشيةُ وطنينُ الأرضِ يُدوّم فى الساحاتِ المهجورةِ
كان الصيفُ جميلاً حين ركضنا للبحرِ . . العَسَسُ
المنتشرون بلا ظلٍ . . ورذاذُ الضوءِ المائىُ يُلوّن
خطَّ الجسدِ ، البحرُ الثيرانُ الوحشيةُ فى رقدتها
تتململُ والأفقُ على خاصرةِ الأرضِ ينامْ .

قُل لى .
هل ألقاها ثانيةً
أم يوغلُ هذا الليلُ بلا شطآنْ ؟
هل تدرى ؟
ــ كنتِ تخافين الظلمةَ إذ ينتصفُ الليلُ
فترتجفين بصدرى :
أخشى أن أُغمضَ عينى
حتى لا ينفجر الرعبُ المتربصُ فى الأركانْ
وتنزلقين .
فإلى أين تغوصُ خطاكِ
وهذا الليلُ بلا شطآنْ
هل حقاً يتسعُ الوقتْ ؟
كان الإيقاعُ الليلىُ يُداعى خَدَراً قطنياً ، وطيورُ
البحرِ مُسجّاةٌ فوق الرملِ . . وكان الوردُ البحرىُ
على صدركِ ينمو . . العسسُ المنتشرون بلا ظلٍ فى
خوذاتِ الحربِ ، وحشرجةُ الموتى الليليةُ تلتفُ
سحاباتٍ فى واجهةِ الصمتِ المصقولِ..قرونُ الثيرانِ
تشدُّ الأفقَ إلى الجرحِ المفتوحِ أنرحُل فى
الماءِ الناعمِ ، أم أن الجسدَ النارى فسيحٌ وطيورُ
البحرِ حصىً فى الريحِ الرمليةِ ، والساحاتُ خرابْ .

لا . .
ليس الأمرُ كما يبدو
فلماذا أُبصر ما يتوترُ فى الأفقِ القادمْ
والأوفقُ . . أن نتحرّى فى البدءِ حدودَ الألفاظِ
المشتبهةِ والمشتبكةْ .
كان الجسدُ خليجاً يهفو للأمواجِ الشبقةْ .
وأنا
وترٌ يتراخىَ
والإيقاعُ يضيعْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأضيعْ
فهل حقاً يتسعُ الوقتْ
أم يوغلُ هذا الليلُ بلا شطآنْ

يمتد الليلُ بحاراً دون ضفافٍ ، يتراخي . .
فتمدُّ خيولُ الرعبِ الأعناقَ . . وعذْواً نحو الماءِ
حرابُ العَسَس المنشورةُ غاباتٍ فى الليلِ وحشرجةُ
الموتى تصّاعد غيماً يمطرُ أشلاءً وصديداً . . وكمهرةِ
عشْقى تنفلتين وثيرانُ الليلِ تقومُ على مهلٍ والأفقُ
على جرحِ الأرضِ ينامُ . . فتنفجرُ الصرخاتْ
واضيعْ
وتضيعْ
فـآهٍ
آه . .
وتنفلتينَ كمهرةِ عشقى ، غامضةً كالحُلمِ ، وعاريةً كالماءْ

فهل حقاً . . فاتَ الوقتْ ؟
سوف يكونُ الموتْ !
وهذى الظلمةُ موغلةٌ كصحارى دونَ سرابْ .
فلماذا يطفو وجهكِ فى ذاكرتى
ثم يغيبُ
ليطفُو
ثم يغيبْ
ويغيبْ
فهل حقاً . . فات الوقتْ ؟

وأخلع فيكِ رسومى والظلمةُ وطنٌ من خيلِ الرعبِ
الجامحِ فى الطرقاتِ ، العسسُ الليلُ يجوسُ وئيداً ،
صخرٌ دون الماءِ ، هل انفلتت فى الساحاتِ غيومُ
النومِ أم انفجرت ثيرانُ الليلِ عن الموتِ القادمِ
والأشلاءُ تنزُّ دماً أو قيحاً لزجاً ، والموتى يشتعلون
عن الرقصاتِ المجنونة ، والوطنُ المتسربُ فى الكفينِ
سرابْ .
قد يتسعُ الوقتْ .
قدْ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حتى ينمو الأبدُ وئيداً فى جسدى
لكنْ . .
هل من غفرانٍ يُرجَى ؟
إذا تنفلتينَ مراوغةً ، موغلةً ، تشتعلينَ على حدِّ
الحُلمِ النارىِّ ، فينفلتُ الزمنُ دخاناً وتراباً ،
تنحدرُ صخورُ الوقت إلى الهاويةِ ، وتنفلتينَ :
فينفلتُ الأبدُ المائىُّ إلى جسدى المنهوكِ صُراخاً
وعويلاً مجنونا .
وتروغينْ .
فهل أخلعُ جسدِى عنِّى
أم يمتدُّ الأبد المائى وئيداً دون عناءْ ؟

لا شىءَ إذنْ
لا شىءَ !

تنفلتينَ إلى جسدِى ، والموتى يشتعلُون ، بلا ماءٍ
والأمطارُ الحجريةُ تهمى ، ينكشفُ العسسُ الليلىُّ
عن الدمِ والأشلاءِ المبقورةِ فى الطرقاتِ ، الظلمةُ
كتلةُ صخرٍ موغلةٌ ، يتراخَى وإلى جسدِى تنفلتين
رويداً وحرابُ العسسِ المنشورةُ تقتلعُ الضوءَ
النائى ، والأشياءُ الليليةُ قوسٌ مشدودٌ ، يتراخَى
يتراخَى تنفلتين ، وتلتفّين ، وتنحدرين ، وفى
الزمنِ الفاصلِ : تنفجرين الثيرانُ ، الثيرانُ
الثيرانُ الليليّةُ والوقتُ موات .

يتسعُ الوقتْ .
وقتٌ للميلادْ .
ووقتٌ للموتْ .
وما عادت حورياتُ البحرِ يغنّين
ولى . . لا وقتْ .
ووجهكِ وعدٌ يغفو فى زبدِ البحرِ ، بلا سلوى ، وغيومُ
الذكرى لا تمطرُ غيرَ الحزنِ الآسنِ ، والوقتُ دخان
وأنا فى منتصفِ الطرقِ الرمليةِ وجهى زمنٌ يبحثُ
عن تاريخ منسىٍّ ، أو قطرةِ ماءْ .
تنسابُ الأيامُ على سطحِ الذاكرةِ المصقولِ .

ووجهكِ باقْ .
تنسابُ الأحلامُ على كفَّيْ الخاويتين ، ووجهكِ باقْ
فمتى أخدشُ هذا الصمتَ الراكدَ ، كى أصرخَ . . آو

فأنَّى لى أن أبدأ
وفراشاتُ الضوءِ الذهبىِّ ذهبنَ ،
بلا ميعادْ ؟

تندفقُ الثيرانُ الليليةُ فى جُرحِ الأرضِ المفتوحِ
لتمضى .

فتهادَىْ أيتها الآلامُ العذبُة ، حتى أنهى أغنيتى
وحرابُ العسسِ المنشورةُ توصدُ أبوابَ الهربِ السرية
والموتى ينتشرون شراكاً فى مفترقِ الساحاتِ
تهادَىْ . .
حتى أبصرَ جُثتى المشئومة تسبحُ فى ضوء القمرِ العارى

وأنينُ الأرضِ مراوحةٌ فى الوقتِ الضائع ، والصرخاتُ
ذراعٌ ممدودٌ يخمشُ وجهَ الأفقِ الموصودِ ، دمٌ يتراكضُ
فى المنحدراتِ ، هل انطفأ النجمُ الباقى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفراشاتُ الضوءِ الذهبىِّ ذهبن
ووجهكِ باقٍ

أم أن رياحَ العفنِ اللاهبِ تعدوُ لاهيةً بالأشلاءِ ، دمٌ
وصديدٌ ، والأشياءُ الليليةُ قوسٌ مقطوعٌ فى الفلواتِ
الخاويةِ ، صهيلُ خيولِ الموتِ مدًى ناريٌ يتراكضُ ،
حممةٌ تبحثُ فى جثثِ القتلى عن جسدٍ .

فتهادَىْ
لا ماءَ هنا
بل صخرٌ مسنونٌ مسمومْ
صخرٌ دون الماءْ
قطرةُ ماءْ
لا صخرٌ
بل قطرةُ ماءْ

بل صوتُ الماءِ يُنقِّر فوقَ الصخرْ
لكن . . لا ماءْ

ووجهكِ باقٍ
دون الماءْ

الليلُ ثقيلٌ كالجثة ، والظلمةُ كالأبدِ الراسخِ ، لا
همسةٌ ، أو همهمةٌ ، غير رغيفِ البومِ ، دبيبِ الأبراصِ
فحيحِ الحياتِ الثيرانُ الليليةُ ـ راضيةٌ ـ ترعى
كلأ الموتِ ، وتلعقُ ما يجرِى فى المنحدراتِ ولا شىءَ ،
طبولٌ أو أسرابُ صراخٍ تمرقُ عابرةً فى قوسِ الأفقِ
المقلوبِ ، ولا شىءَ ، صدى الأبواقِ الرنانةِ أو أشلاءِ
ال « لا » تخبو فى دخانِ الزمنِ الضائعِ

ما عادت حورياتُ البحرِ يُغنينْ
بل غيلانٌ تتراقصُ فى ظلِ القمرِ المظلمِ ،
دون عزاءْ .
أشباحٌ أو جنياتٌ يصعدنَ من الآبارِ المسمومةِ فى منتصفِ
الليلِ ، فيخطفنَ الأطفالَ من النومِ السحرىِّ إلى مملكةِ
الغرقِ السفليةِ ، ويغنينَ

يـاطـفـلَنـا الـغـريـب فى مـهـدِه الـصـغـيـر
الـوعـدُ يـرتـسـم فى وجـهـك الـغـريـر
نـم فى حِمى الـكـرَى نم فى مـدَى النعـاس
يـاطـفـلَنـا الـغـريـب فى مـوتـه الأخـيـر

تهادَىْ . . أيتها الآلامُ . . تهادى
حتى أنهىَ أغنيتى
فالحورياتُ ذهبن ، بلا ميعادْ
لا شىء ، فراغُ العالمِ مبقورٌ ، ينداحُ ، وتنطفئ النيرانُ
وفى الزمنِ الفاصلِ ، فى جسدى : تنطفئين ، ولا شىء ،
الليلُ صخورٌ راكدةٌ فى منتصفِ الوقتِ الثيرانُ الليليةُ
ترعىَ والأشياءُ مراوحةٌ ، ورياحٌ تطفُو فى فاجعةٍ ،
لا ماءَ ، صخورٌ راكدةٌ ، تخبُو ، لا شىءَ ، سماءٌ من
أصداء ، وأصدافٌ من زبدٍ ، حممةٌ تذوِى فى جسدٍ
ـ هل تدرين الآنْ

فهل ضاعَ الوقتُ سُدى ؟
فلمن أجراسُ الليلِ تُدقْ !
أم هل يتسعُ الوقتُ لأفعلَ ما لم يخطر فى قلبِ بشرْ
فلماذا تنفلتين ووجهكِ وعدٌ يطفوُ فى ذاكرتى
وأنا وترٌ يتراخَى ؟ لكن كيف هى المسألةُ الملعونةُ ؟
بل لا . . صوت الماء ينقرُ فوق الصخرِ ولا وجهكِ فى ذاكرتى
يغفو والوقتُ جراحٌ تنزفنى والغيلانُ تراودُنى فى
رقصِتها المحمومةِ.هل من تاريخٍ منسىٍ يبحثُ عن زمنٍ
أم جنيات يصعدنَ من الآبارِ المسمومةِ يخنقن الأطفالَ
بلا سلوَى؟
أجراسُ الليلِ تدُقْ

فهل ضاع الوقتُ سُدى ؟

تتمادَى ، والأفقُ نزيفٌ فى خاصرةِ الأرضِ ، بيوتُ
الطينِ المهجورةُ أفواهٌ تحلمُ بالصرخاتِ فينمو عشبُ
الندمِ الشوكىُ بعينينا : لا تلتقيانِ ، الأقدامُ تسوخُ ،
ونجمٌ يتناءى يتراخَى ، وطيورُ البحرِ حصىً ــ هل
نرحلِ ، أم أن الجسدَ يضيقُ ؟ العسسُ الليلىُ
نخيلٌ مسمومٌ يمتدُّ إلى قارعةِ العالمِ ويضيقُ ، يضيقُ ،
فتنطفئين . ولا شىءْ

فهل ألقاها
أم يوغلُ هذا الليلُ بلا شطآنْ ؟
والحورياتُ الجنياتُ فراشاتُ الضوء.قفى ياسيدة الألم
العذبِ فوجهى زمنٌ منسىٌ فى طرقاتِ النومِ ووجهكِ
باقٍ فى منتصفِ الحُلمِ
وليس الأمرُ كما يبدو
والجسدُ خليجٌ وغيومُ الذكرى آسنةٌ هل أنتظرُ الحورياتِ
الذهبيةَ أم تأتى الجنياتُ بلا ميعادٍ ؟ أيتها الأشباحُ
أيوغلُ هذا الليلُ الطافى أم ينفجرُ الرعبُ المتربصُ
فى الأركانِ وأجراسُ الليل ؟
فهل تذكرُ حقاً
فلعلَ قليلاً من ثرثرةِ الليلِ
يذوبْ
يتكثف قطراتٍ تجرى فى المنحدراتِ إلى البالوعاتْ

أكان الصيفُ إذ انتصفَ الزمنُ الواعدُ فى جسدينا . .
فاشتعلا ، أم كان الأفقُ ينامُ على خاصرة الأرض ،
فيوصدُ فى وجهِ طيورِ البحرِ شبابيكَ الترحالْ ؟

ولا شىء
وأجراسُ الليلِ الأجراسُ الليلُ رنينُ الدقاتِ يؤوب
يلوبُ ولا فلمنْ
. . أجراسُ الليلِ تدقُّ لمنْ
. . أجراسُ الليلِ
تدقُّ
لمنْ ؟

أجراسُ
الليلِ
تدقُّ ، تدقُّ
دُقْ
دُقْ
دُقْ
دُقْ
فمنْ
من يطرقُ منتصفَ الوقتِ الراكدِ ، منْ ؟
أسمعُ خرخشةً خلفَ الباب ، فمنْ
هلا قمت لتبصرَ من يطرقُ منتصفَ الوقت !

القاهرة : رفعت سلام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخطأ

أحمد سويلم

مرةً . .
غاب عن خاطرى الشعر
وظننتُ الشروق . . انطفأ
وسمعتُ صرير الحروف ـ يزلزلنى ـ
ويسوق إلىّ النبأ . .

ـ إن عينَك ليست من الصُّفرِ
قلبَك ليس من الجمرِ
خطوَك فوق السفوح انكفأ
قلتُ : ما الذنب ذنبى

إنى تأبطتُ عصراً من الحزنِ
عصراً من الفقرِ
عصراً من الموت

ما الذى يفعل الشعرُ لو يجترئ !
قيل : لو تصمتُ الآنَ . .

إنك فى خَبَرٍ قد يطولُ . . يطولُ
بلا مبتدأ . .
ـ هل أرى الآن قدْرَ الخطأ ؟
(ربما قد أتينا خطأ)
ربما العجزُ سدَّ علينا الدروب
فغفلنا عن الحب
عن حكمة العصرِ
عن لغة الشعر . .
وعلانا الصدأ . .
ـ أى شىء تُرى قد يعيدُ لنا الوجه
أم أن تعويذةً قد تُبدلُ عصراً بعصر
فيجرفُنا الموجُ للمبتدأ . . !
ـ ما الذى يتسلَّلُ للقلبِ ـ يَرْوى الظمأ ـ
الصوابُ الذى أثقلته الخُطى
أم جنونُ الخطأ ؟!

القاهرة : أحمد سويلم

الدائرة الزرقاء

ناجى عبد اللطيف

كانتْ ترقدُ فى عينيه ،
فتسْلُبه النومَ . . ،
يعربدُ فى الحلمِ وحيداً .
كل صباح . .
يفتحُ شبّاكَ القلبِ ،
وشباكَ المخدعْ .
يأملُ أنْ تطلعْ .
لكنّ القلبَ بجنبيهِ . .
شِراكُ تخدعْ
كان صديقى . .
لا يعرفُ أن العين كثيراً ما تفضحُ صاحبها . ،
فتعرِّيه النظرةُ منها
وتعريها النظرةُ منْه
كان خجولاً . حين تمرّ ،
يُطرقُ . . لا يملك أن يقرأ فى عينيها السرْ
اليومَ . . يفيضُ بجنبيه الجرحْ
يتذكر لحظة أن تصعد سُلّمها ،
فتفرّ .
أو تهبط . . تمسحُ يافطةَ الصندوقِ المغلقْ ،
تُغلقُ عيناهُ على وقفتها . .
فى مدخل بيتهْ .
يحفظُ فى عينيه لجارتهِ الوجهَ ،
وما تقدرُ أن تسرقهُ العينانِ . .
يعودُ ، فيسقطُ فى الحلمِ . .
يغنّى للقلبِ . . وحسبْ . .
من غلّقَ دونى بابكِ هذا الصبحْ ؟
كان سؤالاً ، يعبثُ بالقلبِ . .
يدوُر بصاحبه الصبُّ . .
فُيقْعِى خلفَ زجاجِ النافذةِ الموصدِ ،
يحلمُ أن تأتى ذات صباحْ . .
تفتحُ شباكَ الغرفة . .
يكْتمها سرّه ،
ويُناجيها . .
ويعلّمها بوح القلبْ .
لكنّ السفر طويلْ . . ،
والرحلةَ فى عينيه تمرّ .
كان ينامُ ويصحو . .
لا يملك إلا الحلم بأن يأتيه شتاءْ ،
فتعودَ إليه
صندوقُ بَريدُكِ ما زال يئنْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من سيزيلُ الصدأ العالقِ بالإسمِ ،
وبالقلبِ الذهبيّ ؟
حين تعودْ . .
كان يبادلها النظرة حين تمرْ . ،
لا يتفوّه بالسر .
في العامِ الماضي . .
عادتْ من رحلتها ذات شتاء .
أتذكّرُ . . ذات مساء . .
حدثّها . . ،
ـ ما اسمكِ . ؟
ـ اسمي . .
ـ اسمك . .
كان القلبُ يدقُّ . .
وكان الصمتُ يرِقُّ
وكاد صديقي أنْ يسْقطَ لولا . . ،
أن ولّتْ نحوَ الباب تدقُّ .
الوجهُ الطفلُ يحدثني . . ،

لا يتمالكُ . . .
يغمره الفرحُ . . ،
كأن الشمس تؤوب ببطنِ الليلْ .
اليوم . . يفيضُ بجنبيه الجرحْ .
لن يأتيه بهذا العامِ شتاءْ .

لن يعبثَ ديسمبر بالقلبِ .
يعودُ . . فيسقطُ في الحلمِ . .
يدورُ بدورته الوثنيه .

كل صباحٍ .
يهبط سلّمه العذبَ . .
يلقى بتحيته المرحةْ . . ،
للشبّاك المغلق . .
للصندوق المغلق . .
للبافطة الصدئة .
للقلبِ المغلقِ ألف سلامْ .
ويعيشُ على الحلمِ طوال العامْ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هل خاصمت نمرًا

محمد سليمان

منذ عشرين سنهْ
وأنا أهث خلف النيل ،
أستعديه - ينساني
أناديه . . فيعدو في خطوط الطوا
لا يصغي . .
ولا يُنْدِقُ في السَّاحةِ
لا يلتف حول القلب ،
لا يسقي حصاناً
أترى خان . . . ؟

هوى طفل السواقي من سطور الموج
أم خُنتَ . . كشفتَ السرَّ
فاندكّت أمامي قاعةُ الرحمةِ
أم أني توهمتُ الذي . . ما كانَ ،
هل كانت هنا دارٌ
وعَبّاد يشدّ الشمس ،
يستهدي به الماشون ،
قل لي أيها العابرُ
هل مرّتْ ثلاثون سنهْ
مذ رأيت النيل يجري حاملا خُبزاً
وعشباً من حقول القلبِ ،
يستهوي به الغيمة ،
والأسماك ،
والدرَّ الذي في القاعِ ،
هل رفّت طيورُ الموجِ . . . ؟
شدّت خضرةٌ في العينِ ،
أم مرّتْ ثلاثون سنه
وأنا أشرب ماءً فاسقًا أعمى
وأستحلب وهماً
ها هو المنفى . . .

طيورُ الثلج . . هل أخطو . . ،
أراني واقفا في البحر مخفوراً بليلٍ
وأراني سائلاً أرضاً
ومسئولا من الأطفالِ ،
هل فارقتَ نيلاً . . ؟
- فارق الموجُ وما فارقتُ
-هل غشّكَ . . ؟
ألقى طينَهُ في الصدرِ
- لم يفعلْ
ولكنّ زمانا ضيّقَ العينين ،
صار النيلُ لا يقرأ

لا يسمع
لايعشق شيئاً . . .
صار تمثالاً . .
وتاريخا على الحائطِ ،
هل أقرأ للتمثالِ . . ،
هل أحمل أشجارى إلى الحائط

أستدرج ماءً من مرايا الصخرِ ،
أم أحبو إلى نيلٍ جديدٍ
ها أنا أخطو . . .
أشق الليل أستدنى بلادا تقرأ الياقوت ،
قل لى أيها العابرُ . .
هل خاصمت نهراً

القاهرة : محمد سليمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السّفر إلى الشمال

عزت الطيرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ ١ ـ

تسافر نحو الشمال ؟
ـ أسافر
أسافر نحو الغيومِ
ونحو التخومِ
وزرقةِ هذى العيون التى . . .
والعيون التى . . .
والعيون العيونْ .

ـ تسافر نحو الشمالِ ؟
ـ أسافر نحو الحنينِ
ونحو الفنونِ
ونحو الغروبْ
فشمس الجنوب
تتوّج أوجهنا بالسوادْ
وتزرع فى مقلتينا . . .
نجوم الحِداد
وتمنحنا . . وردةً من رمادْ
أسافر نحوالشمالِ . .
وأرحلْ
فليس هنا فى الجنوبِ
عبير القرنفلْ
وسقسقة الطيرِ
فوق غصون السفرجلْ
وليس هنا غير زهرِ القصبْ
وشمس الغضبْ
ووجه تغضّنَ . . يرضع من حلمات النهار
عصيرِ التّعَبْ
ونخل عجيب . .
يذوب اشتياقا على ضفة النهرِ
لا يرتوى بالمياه
وليس هنا . . غير موت الحياه

ـ ٢ ـ

تسافر نحو الشمالِ ؟
ـ أسافر فى الحالِ
لكنَّ لى حاجةً . .
أعطِنى برهةً
كى ألملمها فى الجيوبْ
ـ تسافر نحو الشمال ؟
ـ أسافرُ . .

لكن لى وردةً فى الجنوب
وأغنية من زمان الطفولة . .
لَمْ تَزَلْ فوق حرف فمى
وبالونة كنت عبّأتها
من نسيم الحقولِ
وأطلقتُها فى فضاء دمى

(٣) (صوت ١)

سيكون صعبا أن تسافرْ
سيكون صعبا أن تغادرنا
وتهجرك الديارْ
« يا من يدل دمى عليك »
إذا سقطتَ
وإن كبوتَ
وان سُكبتَ على الغبارْ ؟
وستهجر الأطيار عشّكَ
والسفائنُ سوف يخدعها الفنار !
ماذا أقولُ إذا سُئلتُ
عن الزنابقِ
والبيارقِ
والزوارق
والشراعْ ؟
أأقول ضاع ؟!

(٤) (صوت ٢)

من أين يدخلُ زنبقُ الكلمات شِعرَك يا صديقْ
من أين يدخلك البنفسجُ ،
زهرة الفول الندية ،
مهرجان الشمس ،
حين تدوّخُ الأقدامَ ،
تلسعها ،
وتمنحك العذاب ؟
من أين يأتيك الرّبابْ ؟
من أين يزدحم الفؤادُ ،
ويصطلى بالأمنياتِ
فلا يقرّ له قرارْ ؟
من أين يأتيكَ الفرار ؟
من أين تأتيك القصائدُ ،
والمواويل الأثيرةُ ،
والشبابيك الصغيرةُ ،
والقناديل الحزينةُ ،
حين غطّاها الترابْ ؟
من أين يأتي وجهُ أمّكَ ،
مُشرقا لوماً ،
فيغمرك العتابْ
ويطلّ دمعك ناسجا فى الوجهِ
خيطا من خيوط العنكبوتْ ؟
سيكون صعبا أن تسافرَ . .
أن تسافر
سيكون صعباً . .
أن تموت

(٥) (صوت ٣)

قد كنت تهوانا
يا أيها الطيرُ
تصغى لشكوانا
إنْ مسّنا الضرُّ
أصبحتَ تنسانا
ثمّ انتهى الأمرُ !

(٦)

تسافر نحو الشمال ؟
ـ أسافر
ـ تسافر نحو الشمال ؟
ـ أسا . .
تسافر نحو الشمالِ
ـ أسافر فى الحالِ
نحو الجنوب !

نجع حادى : عزت الطيرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السّيد البَدوى

كريستوفر سكيف
ترجمة: أنچيل سمعان

كريستوفر سكيف مؤلف هذه القصيدة شاعر انجليزى عاش فى مصر فى شبابه حين كان يعمل أستاذا للأدب الإنجليزى والنقد فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، فى الثلاثينات . ثم ترك الجامعة فترة جُنّد فيها ، ثم عاد إلى التدريس فى بداية الأربعينات . وقد أحب مصر ومازال على صلة ببعض من تتلمذوا على يديه من المصريين مثل الأستاذة أمينة السعيد ، وحتى وقت قريب المرحوم الأستاذ محمد فتحى .

وله عدد من الدواوين والقصائد المسجلة تسمع ولا تقرأ كما يقول هو .

أما قصيدته عن « السيد البدوى » فجاءت نتيجة لعدد من الزيارات إلى مزاره فى طنطا تركت فى نفسه أثرا عميقا .

جاء إلى مدينة عظيمة رجل فقير
وكانت المدينة فى مصر ، وكان اسمها طنطا
وكان بالمدينة تجار أثرياء كثيرون
يلبسون الحرير والثياب الموشاة بالذهب ،
وكان الرجل الفقير سائلا وكانت ثيابه قليلة وبالية .

نزل الرجل إلى السوق ، فنظر إليه الناس باستنكار
ولكنه حدق فيهم جميعا بنظرة ثابتة غير قلقة
وألقى عليهم السلام محيّياً
باسم الله المقدس
فرأوا أنّه بدوى يلبس جلد الإبل

مر الغريب فى تجواله بسراى الحاكم العالية ذات الطوابق الأربعة
وأبراجها الوردية المدببة المخروطية ، وخلفها السماء عند الغروب
ماراً بديار التجار
المرصعة أبوابها بالفضة
حيث كانت تضحك نساؤهم من نوافذ الطوابق العليا ذات « المصاريع » الخشبية .

مر الغريب بأعتاب العمال حيث لمعت نيران المساء الحديثة الإيقاد
ومرّ بأفنية النزل المزدحمة بالرواد بينما هو يضرب فى الأرض متجولا
وخلال الأزقة والحارات
مارا بالنوافذ المظلمة والمضيئة
سار السائل الرث الثياب فى طريقه إلى أن حل الليل
ثم أتى إلى السراى الوردية اللون قبل أن يتقدم الليل
وبلطف طلب إلى أولئك الذين يقفون داخل البوابة ،
قائلا : « الله رحيم » ؛
ياإخوتى ، يقف أمامكم شخص
يطلب مأوى لهذه الليلة ، ويرجو أن يجد الترحاب على أيديكم ».

طلبوا المشرف ، من حيث يقف خلف كرسى الرجل العظيم ،
أطل على الغريب من كوة فى أعلى السلم ،
ورأى ثيابه الرثة ،
فى ضوء المصباح الخافت ،
ثم قال « لامكان هنا لمن يأتى على هذه الصورة »
أنثنى السائل بجوار البوابة ليربط خفه
وأخذت البوابة تنفتح وكأنما ستسمح له بالدخول ؛
ولكن أولئك الذين بالداخل أوصدوا الأبواب
وصرخوا بشراسة : « لا »
قال الغريب : « ليبارك الله هذه الدار » ومضى.

توقف بعد ذلك عند باب مضىء يعلوه مصباح فضى ،
ويحيط بمدخله المسقوف بلاطات خضراء وزرقاء تزيّنه ،
وفى ضوء المصباح المزخرف ،
وتحت لمعة التصميم ،
كان يُرى فى حروف قديمة ذات زوايا اسم الله

طرق الباب بهدوء ولكن الشارع الهادئ بأكمله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ردد الصدى وكان صوتا قد تكلم بنبرة حلوة :
« ما أحلى أقدام أولئك
الذين يجلبون لنا أنباء السلام ! »
وسُمعت خطوة داخل الدار ، جعلت الصدى يتوقف .

انفتحت الكوة الحديدية وحملقت عينان من خلالها
أنا علىّ ، صانع الحلى ؛ من أنت وما عملك ، ومن أين « أتيت ؟
أجاب الرجل : « الله رحيم ياعلىّ ؛
غريب يتكلّم ،
ويطلب المأوى ؛ اسمح لى بالدخول والراحة بالداخل »
لقد جئتنى فى أسمال ! أنا أغنَى تجار المدينة !
أتظن أنى ساعد لك لحافا من الريش ،
وأسمح لك بالدخول لتقتلنى ؟
أيها اللص ، ابحث عن آخر أقل حكمة منى —
لا يحتاج الصعلوك إلى سقف خيرا من السماء !

اتكأ الرجل الفقير على الباب ، ليخفف من ضغط حزامه
ودار القفل دورته السهلة دون أن يصدر صوتا يُسمع
ولكن التاجر أمسك بالمفتاح النحاسى
وأداره فى القفل فى عنف وبطء
وقال الغريب « ليبارك الله هذه الدار » ومضى على سبيله عبر الشارع ..

وبعد أن قطع مسافة من الطريق ، توقف البدوى ، تجاه باب يتوسط حائطا قد بنى بالطوب المحروق فى الشمس ، لدار طيّبة بالرغم من فقرها ؛ وعلى السقف تكومت أعواد الذرة وكأنها سقف أشعث من القش.توقف حديث هامس داخل الدار عندما هز الغريب سقاطة الباب.هزها بلطف ، كما تهز ريح خفيفة عودا من الحشيش ومع ذلك رددت المنازل الصغيرة من حوله كالنشيد
« المجد لله فى الأعالى
وعلى الأرض السلام »
إلى أن صاحت امرأة « من الطارق؟» وأسكتتها جميعا امرأة أخرى .
ياأختى إن الله رحيم بمخلوقاته ، كبيرة كانت أم صغيرة
إنى غريب دون مأوى ، وكرمك أسأل »
لمع ضوء خلال شقوق الحائط الخشبى
ثم مرّ إلى الحجرة المجاورة ،
وأطلت فتاة من خلال حديد النافذة على السائل الواقف فى الظلام .

تلألأت الأساور على ذراعها فى ضوء الشمعة
وعندما أخذت فى الكلام ظهرت أسنانها الصغيرة بيضاء لامعة ؛
« إن زوجى خارج الدار ،
ونحن نساء وحدنا هنا بالداخل ،
عليك بالذهاب إلى مكان آخر الليلة ، فنحن لا نستطيع أن ندخلك !

اتكأ الرجل الفقير إلى جانب الباب ليريح ظهره لحظة
وبسرعه ارتفعت سقاطة الباب كما لو كانت على استعداد لتنفتح ولكنه أنزلها
بإحكام ولكن أيضا بلمسة رقيقة ـ
وقال : « ليبارك الله هذه الدار» ثم مضى فى الظلام ،

تجول ساعة أو أكثر خلال الأزقة والطرق ، رائحا غاديا ،
إلى أن أتى إلى الجامع الكبير فى وسط المدينة تماما ؛
ارتفع القمر خلف القبة ،
وكساها نوره كالقشدة ،
وكشف إلى جوار الحائط عن كوخ صغير من القش والطين .

كان كوخ حارس تهدم وترك طويلا دون إصلاح ،
وعُلّق بالباب جوال ممزق ، يتأرجح فى الهواء ،
وكان بالسقف ثغرة فاتحة فاها ،
وكانت هى النافذة الوحيدة بالمكان ؛
وكان يكسوه جو من الحزن ، مثل وجه عجوز بال .

نظر الغريب إلى أعلى إلى القمر بجوار القبة تكسوها الظلمة الخفيفة
ثم ابتسم للكوخ البائس كما لو كان قد جاء إلى منزله ،
وضع يده على حائط
وأحنى رأسه المعمّمة ،
قائلا : الله رحيم ، هنا سأجد المأوى »

عندئذ طار الجوال المهلهل ومثّل المظلة امتد إلى الخارج ،
واعتدلت العارضة الأفقية ، ودارت أعمدة الباب الجانبية ،
وأحاطت النافذة المهلهلة بالقمر
كما لو كانت مصباحا من العاج ،
وضمت الحوائط شقوقها ضد هواء الليل البارد الرطب .

ولف الغريب إلى الداخل وسجد على الأرض المتربة
وصاح : « ليبارك الله هذه الدار » ورددت أصوات بالعشرات ـ
« طوبى لصانعى السلام
لأنهم يرثون الأرض » ـ
وتردد رنين الجامع مثل الجرس الذى يقرع فى يوم عيد .

رقد وارتفعت الأرض الحنون كالوسادة لفراشه
وهنا نام بينما القمر طوال الليل يضىء من فوقه :
وطوال الليل أنشدت الأصوات
داخل القبة دون توقف ، ـ
« الله رحيم ، وسلام الله يفوق كل فهم »

القاهرة : د . انجيل بطرس سمعان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

أوراق من سفر القلب

عبد الكريم العبيدى

من عتمةِ أحلامى
ينبجسُ الفجرُ
رفيق -
لكنّ الدربَ حريقْ
ألفُ سنانٍ يطلبنى
ألفُ حريقْ
وأنا . .
فى حومةِ أقدارى
محضُ غريقْ
قد كانت كفّى سنبلةً
والدهرُ صديقْ
لكنى اليومْ . .
دفترُ أثارٍ . .
رملُ طريقْ
يا لَلحُلْمِ الملتفِّ على القضبانْ !
الماءُ جنونْ
الكفُّ رمادْ
القلبُ حريقٌ ودخانْ
. . . .
يامغموراً بالصمتِ
وأملاحِ الشطآنْ
يامن لا تعرفْ
أين قرار الأرض . .
هذا ظِلُّك . .
حاورْهُ . .
داهِنْهُ . .
ألبسه ألفَ رداءٍ
وحجابْ . .
هَيا لا تخجلْ . .
آهٍ لو يدرى
أيأ منا كان الإنسانْ
فى طرقاتِ الدهشةِ
والألوانْ
فى سفْرِ عيونِ الموتْ
المحُ راياتى
أتخطّى بين العشبِ
وبين
مساحاتِ الأرضْ
أهربُ من وجهى
أتقمصُ ظلى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أندفأ من (إسفلت) الرغبة
وأقيم الليلة
نافورة أوهامي
عيداً للنارْ

. . . .

أرقص حولَ جنوني . .
أطلق صوتي
إيذاناً أن الكونَ
ضبابٌ
والناسُ نيامْ
أصرخُ . .
أصرخُ
أصرخُ . .
لكنْ . .
لا شيء سوى
أذانٍ تتفسَّخْ
وبقايا وجهٍ يلهثُ

في بئرِ الأيامْ

يتدلى رأسي . .
أطلقُ صوتي . . .
لا أسمعُ شيئاً
أطلقُ ثانيةً
لا ألمسُ شيئاً

. . .

. . .

أتريثُ
أملأُ صدري رملاً وسرابْ
أجثو فوق البئرِ
وأصرخُ . .

. . . .

. . . .

لا أسمعُ شيئاً
أمسكُ صوتي
أعصرُهُ
لا شيء سوى
وهمٍ
ورمادْ !

بغداد : عبد الكريم محمد العبيدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

ليليات

محمود عبد الحفيظ

ـ ١ ـ
عصفوران صغيران
ينطلقان هنا وهناك
يلتقطان لعصفورهما إسماً من بين الأسماء
ثم يعودان
ينسربان لعُشِّهما تَحْتَ شُجيْرة لَيْمونْ
يلتصقون
يرتشفون سُكونَ اللَّيل . . ونور القَمر . .
وهجْعة ما حولهما من أشياء .

ـ ٢ ـ
نائمةٌ حبَّاتُ المطر على صَدْر الأوراق
نائمةٌ أنفاسُ البحر على شطآن الليل الشّتوية
والقرية . .
لا تسمع فيها هَمْساً
كان هنالك ديكٌ . .
يعلن حين يجيء الفجر :
ما زال على الأرض حياة . .
وللأشياء هُويَّة .

ـ ٣ ـ
القمح سنابله ما زالت فوق العود طرِيَّة
لم تعرفْ بَعْدُ مواضع فتنتها . .
فتعرَّتْ بين عيون القمر الطالع
فوق نواصي الحقْلْ
انْسَدلتْ أسْتارُ الليلْ
وتدلَّتْ فوق النهر شعورُ الصَّفصافْ
غاصتْ في طين الشطآن الأمواج . .
وتوارتْ/سكنت في قاع الكهف الريحْ .

ـ ٤ ـ
طارت بَيْنَ الأشجار يمامة
ومن البرج حمامة
وعلى السطح تثاءب ديكٌ بين يدَيه كِتابْ
فالآن الفجر على الأبوابْ

ـ ٥ ـ

لا وهن العظمُ ولا اشتعل الرأسُ ولا هَدَّتْني الأسْفَارْ
يتبارى بين ضلوعي بَرْدُ الليل ودفء الأشواق
هل يمضي العمرُ الليلُ وراء الليل . .
ومن بَعْدِ الليل نهار ؟
هل يمضي العمرُ وليس يهيج البحرُ . .
وليْست تنهمرُ الأمطار ؟

هل يمضى العمر ولا تأتين ؟
أم يطلعُ وجهك من بين الأشجارِ . .
على شطآن الليل المنسيَّة . .

يعلن :
ما زال على الأرض حياة . .
وبكأس العمر بقيَّة . ؟؟

كفر صقر شرقية : محمود عبد الحفيظ عبد العزيز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصائد لأسماء

مشهور فواز

١ ـ زَهْرَةْ :

زَهْرَةٌ
تَتَسَلَّلُ فِيْ هَدْأَةِ اللَّيْلِ
تَدْخُلُ كَيْنُوْنَتِي
وَتَدُسُّ قَوَانِينَهَا فِي دَمِي
وَتُبَعْثِرُ أَوْرِدَتِي
.....
فِي البِدَايَةِ
خَصَّصْتُ نَفْسِيْ
أَمَامَ اجْتِيَاحِ مَصَابِيْحِهَا
وَلَكِنَّنِي . .
ـ حِينَمَا أَوْغَلَتْ ـ
اكْتَسَيْتُ بِأَوْرَاقِهَا
وَجَعَلْتُ مَدَارَاتِهَا سُلَّماً
لِامْتِلَاكِ الضِّيَاءْ
.....
وَاسْتَبَحْتُ الفَضَاءْ .

٢ ـ رُؤْيَةْ :

لَمْ أَزَلْ قَادِراً أَنْ أُحِبَّ
وَأَنْ أَتَبَعْثَرَ فِي الطُّرُقَاتِ
أُغَنِّي سَعِيْداً
وَيَعْلُو غِنَائِي
فَيَلْتَفُّ العَابِرُونَ
يُشِيرُونَ :
هَذَا . . .
لِسَانُ الهَوَى
. . وَغِنَاءُ الرِّئَةْ !
لَمْ أَزَلْ لَا أَرَى فِي الغَرَامِ سِوَى
رَجُلٍ . . وَامْرَأَةْ
يَتَوَحَّدُ صَوْتُهُمَا فِي الزِّحَامِ
وَيَكْتَشِفَانِ سَوِيَّا . . .
أَبَاطِيلَ مَنْ أَرَّخُوا لِلْمَحَبَّةِ
يَكْتَشِفَانِ الغَرَامَ
فَتَنْطَلِقُ الفِتْنَةُ المُرْجَأَةْ
يَحْمِلَانِ الحَقَائِبَ
يَضْطَجِعَانِ عَلَى مَقْعَدٍ فِي زِحَامِ القِطَارَاتِ
ثُمَّ يَحُطَّانِ فِيْ بَلْدَةٍ
يُعْلِنَانِ السَّعَادَةَ
فِيْ مَوَاجِهَةِ المُدُنِ المُطْفَأَةْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لَمْ أَزَلْ لاأَرَى فِي الْغَرَامِ سِوى
رَجُلٍ وَامْرَأَةْ
يَقْبِضَانِ عَلَىٰ رَوْعَةِ الْوَرْدِ
يَصْطَحِبَانِ النَّخِيلَ إِلَى مَعْبَدِ
حَيْثُ يَغْتَسِلاَنِ مِنَ الحِكَمِ البَاطِلَةْ
يَعرِفَانِ إِجَابَةَ مَادَارَ مِنْ أَسْئِلَةْ
ثُمَّ . . .
يَكْتَشِفَانِ بَرِيقَ ابْتِهَاجِهِمَا
فَيَطِيرَانِ لِلتَّبَعْ :
ـ يَاأَيُّهَا الْكَوْنُ
أَنْتَ تَضِيقُ عَلَى فَرْحَتِي !!
ـ أَيُّهَا الْكَوْنُ
إِنِّي تَكَشَّفْتُ دَرْبَ السَّعَادَةِ
هَيَّأْتُ خَطْوِي لِكَيْ أَبْدَأَهْ

لَمْ أَزَلْ لاَ أَرَى فِي الْغَرَامِ سِوى
رَجُلٍ . . . وَامْرَأَهْ
يَمْلآنِ الْمَكَانَ ضَجِيجَاً
وَيَنْتَشِرَانِ ارِيجَاً
وَيَفْتَحِانِ الطَّرِيقَ الَّذِي
كَانَ قَلْبُهُمَا أَنْشَأَهْ

٣ ـ معركة :

اتَّكَأَتْ عَلَى دَمِي
وَأَشْعَلَتْ فَضَاءَهَا أَرِيكَةً لِبَوْحِ عَاشِقَيْنْ
وَأَوْمَأَتْ :
أَلاَ اتْبِعِ الَّذِي اسْتَبَدْ !
. . . . . .
رَسَمْتُ زَهْرَةً
وَقُلْتُ :
فِي الْهَجِيرِ
تَغْمُرُ الْفُؤَادَ بِالنَّدَى .
رَسَمْتُ طَائِراً
وَقُلْتُ :
خُطْوَةً . . تَقُودُ هَاجِساً
لِرِعْشَةِ الأَنَامِلِ الْمُشْتَبِكَةْ .
رَسَمْتُ شُرْفَةً وَقُلْتُ :
مَوْعِدٌ يَقُومُ فِي جَنَاحِ طَائِرٍ . . .
مُغَامِرٍ .
رَسَمْتُ بَهْجَةً
وَقُلْتُ :
مَنْزِلٌ
مُلاَئِمٌ
لِلْمَلِكَةْ
. . . . . .
وَابْتَدَأْتُ الْمَعْرَكَةْ

٤ ـ تَحَوُّلُ :

أَنَا بَعْدُ مَاأَدْرَكْتُ سِرَّ الزَّهْرِ
لَكِنِّي احْتَشَدْتُ تُجَاهَ تَجْرِبَةٍ
كَشَفْتُ صَدْرِي لِلرِّيَاحِ
وَقُلْتُ مِوَالِي
أَنَا كُنْتُ مُغْنِياً بِمَعْرَكَةٍ مَعَ الأَفْلاَكِ
مَا رَوَّضْتُ أَفْلاَكاً
. . . . وَلاَ رَوَّضْتُ
هَلْ أَبْدُو جَرِيحاً ؟
مَا كَانَ قَصْدِي أَنْ تَضِلَّ مَعَ السِّهَامِ بَرَاءَتِي
مَا كَانَ قَصْدِي أَنْ يُحَاصِرَ سَاحِلٌ مَرَحاً
وَتَسْلُبَنِي الرِّمَالُ مَسَرَّةً
مَا كُنْتُ أُدْرِكُ أَنَّ سُنْبُلَةً سَتَجْرِفُهَا الزَّوَابِعُ
غَيْرَ أَنِّي
لَمْ أَزَلْ أَهْوِي بِزِيِّ مُسَافِرٍ
يَلْهُو أَمَامَ كَآبَةِ الْبُلْدَانِ
لَكِنِّي افْتَقَدْتُ بَرَاءَتِي فِي جَفْوَةِ الْجُدْرَانِ
هَلْ تَدْرِينَ يَاأَسْمَاءُ
أَنِّي قَدْ كَتَبْتُ رَسَائِلاً
عَنَّفْتُ فِيهَا
ـ دُونَمَا سَبَبٍ ـ
صِحَابِي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وَافْتَعَلْتُ خُصُومَةً بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ
أَغْلَقْتُ النَّوافِذَ فِي وُجُوهِ الطَّيْرِ
فَظَلَّ كُنْتُ يَاأَسْمَاءُ
أَقْسُو
ـ دُونَمَا سَبَبٍ ـ
عَلَى الْأَطْفَالِ
هَلْ أَبْدُو مُخِيفاً ؟ .
رُبَّمَا
لَكِنَّنِي رَوَّيْتُ بِاسْمِكِ زَهْرَةً ظَمْأَى
وَآخَيْتُ الْأَنَامْ
عَلَّقْتُ عَيْنَكِ فِي النَّوافِذِ
وَاسْتَرَحْتُ . . . إِذْ اشْتَعَلْتُ بِهَذَا الْقَلْبِ
وَرَجِعْتُ لِلأَنْسَامِ
هَلْ خَلَّعْتِ أَظْفَارِي ؟
أَمْ انِّي انْسَبْتُ فِي كَفَّيْكِ وَعْداً بِالْغَمَامْ ؟

٥ ـ أَغَارِيدُ :

أَغَارِيدُ عَلَتْ فِي أُفُقِ مَقْهَى تُعْلِنُ السُّقْيَا
أَغَارِيدُ
لَهَا فَتَّحْتُ أَوْرِدَتِي
وَأَعْلَنْتُ ابْتِدَاءَ الْعَزْفِ
فَانْطَلَقَتْ قِطَارَاتُ الْحَصَادِ
وَطَارَ بُسْتَانٌ يُوَزِّعُ شَدْوَهُ
فَاجْتَاحَتِ الدُّنْيَا أَهَازِيجُ الْغَرَامْ .

. . . . . .

أَكَانَ الْفَرَحُ مِيرَاثِي ؟ .
أَمِ انِّي فِي الصَّبَاحِ قَرَأْتُ أَطْرَافِي
فَقَالَتْ :
مَوْعِدٌ آتٍ
يُصَالِحُ بَيْنَ كَفَّكَ . . وَالْيَمَامِ ؟ .
أَكُنْتُ أَسْعَى أَنْ أَرَى وَجْهِي
يُجَاهِرُ مَرَّةً أُخْرَى
بِقُدَّاسِ خُصُوصِيِّ
يُتَوِّجُ جَمْرَتِي نَهْراً
وَيَجْمَعُ زَهْرَتَيْنِ مَعاً ؟

. . . . . .

لَنَا هَذَا الصَّبَاحُ الْفَذُّ أَيَّتُهَا الْحَيَاةُ !
لَنَا بَوْحُ طُفُولَتِي بَرِيءٌ ،
قَدْ يُغَيِّرُ وِجْهَةَ الْأَيَّامِ
صَوْبَ يَدَيْهِ
لَنَا حُلْمٌ . .
بَسِيطٌ . .
فَذٌّ
أَنْ تَتَشَابَكَ الْأَيْدِي
لَنَا هَذَا الصَّبَاحُ الْفَذُّ أَيَّتُهَا الْحَيَاةُ
فَتَابِعِي أُفُقِي الَّذِي احْتَشَدَتْ جَوَانِبُهُ
بِمُوسِيقَى السَّلَامْ .

٦ ـ اكتشاف :

نَحْنُ نَمْلِكُ أَنْ نَصْطَفِي شَجَراً
وَنُسَمِّيهِ قَصْداً
نَحْنُ نَمْلِكُ أَنْ نَتَوَاصَلَ
/حِينَ يُخَاصِمُ نَهْرٌ رَوَافِدَهُ/
نَحْنُ نَمْلِكُ أَنْ نَنْتَشِي
وَنَتِيهَ . . لِأَنَّ أَنَامِلَنَا تَكْتُبُ الْبَحْرْ
نَحْنُ نَمْلِكُ أَلَّا نُعِيدَ مَوَاعِيدَنَا
أَنْ نَظَلَّ طَلِيقَيْنِ
نَجْرِفُ أُفُقاً
وَنَسْطُوْ عَلَى مَوْعِدٍ آخَرَ لِلْغَرَامْ
ـ هَلْ تَرَيْنَ مَلَامِحَنَا تَتَفَشَّى
وَتُعْطِي أَغَارِيدَهَا لِلْمَطَرْ . ؟
ـ هَلْ تَرَى أَنَّ سَاعِدَنَا
يَحْتَوِي كَوْكَباً شَارِداً
وَيَمْنَحُ أَلْوَانَهُ لِلشَّجَرْ ؟
نَحْنُ نَمْلِكُ أَنْ نَبْدَأَ الْآنَ لَحْنَ السَّلَامَةْ
وَنَقُولَ الْقِيَامَةْ

القاهرة : مشهور فواز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خمسة أنخاب

عماد غزالى

نَخْبُ أول :

لم يُشَيِّعْهُ الكثيرون إلى قبره
كان يعرفُ الطريقَ وحدهُ إليه !
شَيِّعُهُ الصمْتُ الذى
أبى عليهِ أن يمارس الكلامْ
شَيِّعَهُ حفْنَةٌ من اللئامْ
ويضَعُ قطراتٍ من الدموعِ . .
قد . . تحجَّرتْ فى مقلتيهِ !

نَخْبُ ثانٍ :

شجرُ الأحزانِ . . تطاول فى عينىَّ
بقامتهِ الفرعاءْ !
وتشابكتِ الأَجْذُرُ فى القلبِ . .
وغاصتْ أفرعُها فى الأحناءْ !
يفقدنى النَّجْمُ . .
وتسقُطُ شمسى من فوق جبينى
حين تطالعنى الصحفُ اليوميةُ . . بالأنباءْ . .
مقهورا أركعُ . .
حتى تسحقنى قدمُ الغرباءْ !

نخبٌ ثالث !

يا أيها الألمُ المراوغُ . .
يافرار القَلْبِ من دقاتِهِ
يازائرا . .
لم ألْقَه إلا بوخزٍ لا يَكُفْ
يانصْل حرف . .
فلتأ تلفْ . .
أو . . فانكَشِفْ !

نَخْبُ رابع

قَمر للأشجانِ . . يلاحِقُ عينيها
والدَّمْعُ على الجفنين . . بحورْ !
والفجْرُ الطَّالعُ من كفَّيْها
ما قبَّلَ أعْيننَا بالنورْ !
والطَّيْرُ يهاجِرُ غُصْنَ الحلْمِ . .
ويذرو قشَّ الأملِ
الراكدِ فى القيعان . . ويهدمُ عُشَّه !
ويُغَيِّبُ شمسه
الطيرُ يحطُّ . . فلا تعرفُهُ الريحُ
ولكن . . يُنْكِرُ نفسه !

نخب خامس !

فى حلكةِ غُرْبتها عنّا . .
نتبادلُ أنخابا . . كلَّ مساءْ
نجدلُ من أجداثِ الوهْمِ
خيوطَ الحلْمِ

فندركُ أن الوَجْدَ هجيرٌ
أن الوجْهَ أسيرٌ

نعدو . .
نعدو فى الرمضاءْ !

ونُروَىَ من ماءِ عيون الخلانْ
شوْقَ مآذنها . . والجدرانْ . .

ونُشَيّد من ألقِ الأحلامِ
مدائنَ وقبابْ !
نُبْصِرُ لوْنَ الوجْهِ . . يُطالِعُنا بالبِشْرِ
حيْثما ينهضُ ـ لا يكبو ـ
مثل حَبابْ !
يَصّاعَدُ فقّاعاتٍ
فقاعاتٍ . . نبصرهُ
وهو يلوّحُ . .
لشعاعاتِ عيون الأحبابْ
الوجْهُ تلوّنُهُ الأكوابْ !
فنمدّ الأيدى . .
تتصادمُ . . تَهْوى . .
تَهْوِى الأيدى بالأنخابْ !

عماد أحمد غزالى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصيدتان

سورة "العاشقون"
المطر اللاهث

ياسر لطفي الزيات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) سورة « العاشقون »

زَمَنٌ يَتَآكَلُ . وَالصَّاعِدُونَ عَلَى دَرَجِ الْعِشْقِ يَحْتَرِقُونَ .
يَهِيمُونَ فِي كُلِّ وَادٍ وَلاَ يَصِلُونَ . يَخُطُّونَ أَفْرَاحَهُمْ فِي الرِّمَالِ
وَيَمْحُونَ . مَا حَفِظَ اللهُ أَسْمَاءَهُمْ فِي الْكِتَابِ وَمَا هُمْ لِأَسْمَائِهِمْ
حَافِظُونَ . شَرَايِينُهُمْ تَتَدَلَّى عَلَى صَبَوَاتِهِمُو . شَجَرَاتُ الْخَلاَصِ
تَجِفُّ وَهُمْ غَافِلُونَ .

لِأَزْوَاجِهِمْ ظَالِمُونَ . يَقُولُونَ مَا يَحْلُمُونَ . وَيَبْكُونَ . يَبْكُونَ .
لاَ يَقْطَعُونَ وَلاَ يَصِلُونَ . هُم الآنَ مُنْجَذِبُونَ عَلَى دَرَجِ الْعِشْقِ
يَحْتَرِقُونْ :
دَرَجُ الْعِشْقِ هَاوِيَةٌ
وَالْخَلِيُّونَ لاَ يَصْعَدُونْ

(٢) المطر اللاهث

لَمْلَمتِ السَّمَا صَفَاءَهَا
اَلْمَطَرُ اللاَهِثُ لاَ اشْتَدَّ وَلاَ خَارَ ،
وَظَلَّ لاَهِثَا

مُشَرَّداً بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَعَيْنَيَّ ،
مُمَزَّقاً ـ كما أنا ـ :
أَنا الَّذِى تَعِبْتُ فِيكُمْ عَبَثَا
يَظَلُّ هَذا الْمَطَرُ اللاهِثُ يَنْقُرُ احْتمالِي
وَيَظَلُّ لاَهِثَا
يَرْسِمُ ـ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَعَيْنَيَّ ـ حبيبتى ؛
(ذِهَابَها وَقَدرِى الْمُشَعَّثَا)
يَرْسِمُ وَطَنِي الْمُخَتَّثَا
الْمَطَرُ اللاهِثُ لا يَزَالُ لاهِثَا
مُشَرَّداً ،
مُمَزَّقاً ـ كما أنا ـ وَعَابِثَا
جَثَوْتُ فِى مِحرابِهِ ـ وَضَلَّ مَنْ جَثَا ـ
فَضَاعَ قَلْبِى فِى ارْتِقَائِهِ
وَضِعْتُ بَاحِثَا .

أَنَا تَعِبْتُ عَبَثَا

القاهرة : ياسر لطفى الزيات

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

المحطات

جميل محمود عبد الرحمن

المحطات برقٌ تخطف منّا سنينا من العمرِ ،
ضوءَ العيون الخفيضة ،
بوحِ الأغانى الغضيضةِ ،
نبض التواصل عند اللقاءِ وعند الوداع
الكلام الذى لم يزل حَبْلُ سُرّته فى الشفاه . .
المحطاتُ شدُّ انتزاع . . وركض انفصامْ
تتخاصم فيها الظلالُ . . ،
النداءات رُدّت إلى الحلقِ ،
ضاع الصدى فى الزحامْ !

فرّقتنا الخطوط طويلاً
جمعتنا قليلاً . .
والمواعيد ، طارت اليها المواجيدُ ،
صارت خطى مبهمة
ترتدى ثوبَها المُمهمة . .

فى الصدور تردّدَ إيقاعُها ،
خائبا
والأيادى التى طالما اعتنقت فى القطارُ
فرقتها المحطات
الحديث الذى أدفأ القلبَ ،
فتّح أزهاره الحالمهْ
قطّعته المحطات . .
العيون التى تتلاقى
حجبتها المحطاتْ
اللهاث المضمّخُ باللهفةِ العاتيهْ
أسكتته المحطات
فى قلوب تجىء لتنفق دفّاتها ،
اختيارا
فوق أرض المحطاتِ حتى تُفيقَ على صافرات القطارِ ،
وقد مرَّ فينا ، وقد مَرَقَ العُمر فيه وفات

سوهاج : جميل محمود عبد الرحمن

حول وَجهى القديم

مصطفى النحاس أحمد طه

فجأةً كنتَ تظهر ملتحيا باسما
حين تهتز فى داخل الأمكنه
وتسير إلىّ . . . ،
رويداً رويدا . . ،
تلملم ذيل عباءتك الداكنه
وعيونُكَ تومض . . ،
وَمْضَ الكواكب بين جدائِلِكَ المُرْسَلَهْ
كنتَ تمسح صدرى الملطَّخَ . .
كنت تبدد باللمساتِ الندية مِلْحَ القُرُوحِ . .
وتنزع عَوْسَجَةً ساخنهْ !

قد عَهِدْتُكَ تمنحنى زورقا . . ،
وبحوراً مُعَبَّدَةً آمنهْ
وسماء تلألأ فيها نُثار القمرْ
ونسيماً تشرّب شدو العصافيرِ . . ،
ينساب حولى طوال السفرْ
حين أبحر نحو البدايةِ . . ،
نحو النهايةِ والجزر البائنهْ

قد عهدتك تستقبلُ الظافرَ المنكسرْ
حين يرسو . .
وتظهر مبتسماً فوق كل الجزرْ
حين أرنو . . . وتدنو . . ،
ونمضى معا . .
ويجىء تنفُّسُنَا المتزامنُ . . ،
أنّهُ فرحٌ وبسمةَ حزنٍ . . ،
وتولد قِدِّيسةٌ ماجنهْ

قد عهدتك . . ،
لكنك الآن تتركنى . .
بين مَلأَحة لا أريمْ
عبثٌ كلُّ هذا التلفُّتِ . . ،
كلُّ الهتافِ الرجاءِ . . وهذا الصدىٰ
فأنا الآن يا ساكنى
لم أجِدْ بين صفحةِ مرآتِيَ الواسِعَهْ
غير خَلْفِيَّتى حول وجهى القديمْ
وسحابة صمتٍ تدورُ وتصعدُ . . ،
فوق سكونٍ جسيمْ
لم أجد غير وجهى . . ،
يلوحُ ويذهبُ بين الدخانِ . . ،
كوجهٍ أراهُ لطفلٍ رجيمْ
سوف أنفُضُكَ الآنَ عنى وأنهضُ . . . ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سوف أسارع فى الابتعادِ . . . ،
وأركضُ ركض الظليمْ
فتباعدْ لأنك أصبحت نبضا عقيمْ
صرتَ تتركنى
بين درب يجـعّدُهُ العوسجُ المتناثرُ . . ،
حتى المدى
للتصحُّرِ والتيهِ بين المفازاتِ . . ،
هيكلِ عظم رميمْ
صرتَ تترك بركانَ نارٍ يفورُ بقلبى . . ،
وصرتُ أحِسُّ برائحةِ النارِ . . ،
بين الشميمْ
فتباعدْ ودعنى بهذا الفراغِ . . ،
وهذا الجحيمْ
فأنا سوف أجعله دون صحبتِنَا . .
واحةً .
وغديراً وعشباً ونخلاً كريمْ
سوف تحملنى ناقتى الضامرهْ
وأسافرُ أبحث فى كلِّ فجٍ . . ،
عن البدويةِ تملأ جَرَّتَها . .
فتباعدْ إذا قابَلَتْنى . . ،
ودعنى لأكتب دونك . . ،
فوق الأديمْ
واختبئْ حين أسهرُ وحدى . . ،
وألقاك تحت السقيفةِ أنت المقيمْ .

القاهرة : مصطفى النحاس أحمد طه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عام سعيد يا أبى

السّماع عبدالله

تُراكَ كُنْتَ تَحْتَمِي مِن الصَقيعِ بارتعَاشَةٍ خَفِيفَةٍ . .
، تُراكَ كُنْتَ تَذْكُرَ البَيْتَ الوَسيعَ فى جنُوبِ . . .
، مِصْر . . .
. . . وَأَنْتَ قَاعِدٌ بِرَكنِكَ الأثِيرِ . . .
. . . وَحْدَكَ الآنَ . . .
وَالنَاسُ نَامَتْ
. تُجَرِّبُ الهَمِيسَ مَرَةً ، وَمَرَّةً تُقَاسِمُ السُّكوتَ ، حَالَهُ . . .
. . . يَاأَبِى . . .
. . . سَبْعِين شمْعة أضيئها هَذَا المَسَاءْ . . .
. . . سَبْعِين شَمْعَةً . . . أضيئها . . .
، وهَذَا الشَّيْبُ كَاذِبٌ . . .
، وهَذه التَّجَاعِيدُ افْتِرَاءْ . . .
. . . زَوَّقْتُ حُجْرَتِى . . .
. . . وَقُلْتُ هَذَا اليَوْمْ . . .
. . . وَقْفٌ عليكَ يَاأَبِى . . .
. . . وَضَعْتُ زَهرَتِين فى الشُّبَاكْ . . .
. . . وَقُلتُ سَوْف تَمْلأن حُجْرَتِى بِنَفْحَةٍ من ، الحُقُولْ . . .
. . . وضَعْتُ كُرْسِيًّا قُبَالَتِى . . .
، وَقُلْتُ . . . أَسْتَضِيفُهُ . . .
. . . أَشْعَلْتُ شَمْعَاتِى . . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

. . . وَقُلْتُ أطْفِئ السَّبْعِين شَمْعَة بِنَفْخَةٍ ، وحِيدةٍ . . .
، وتَطْرقُ العَامَ الجديدَ يا أبِي . . .
. . . يَا أبِي . . .
، أنا . . .
، فَعَلْتُ كُلَّ هَذا الكَرْنَفال . . .
. . . الزَّهْرتان فَاحَتا . . . .
، وَغَطَّتا المكان بالأريجْ . . .
. . . لكنني لَمَّا نَفَخْتُ فى السَّبعين شَمعَةً ، وَأظْلم . . .
، المَكانُ . . .
، لم أجِدْكَ فى كُرْسِيِّك الأثير . . .
، قُلت علَّ قنديل إذا انطفا . . . رَأيْتُهُ يُقاسِمُ . . .
، السُّكوت حَالَهُ . . .
. . . أطْفَأْتُ قِنْديل . . .
، ولَمْ تَكُن تَهسُّ هَسَّكَ الخفيفَ . . .
، لَمْ تكُن تُقاسمُ السُّكُوتَ حَالَهُ . . .
. . . عِنْدَئذٍ . . .
. . . أدْرَكْتُ أنَّنى بَعُدْتُ عَنكَ كلِ هذه . . .
، المَسافَةِ الطَّويلة . . .
، الطَّويلةِ . . .
، الطَّويلةِ . . .
. . . أيقَنْتُ أنَّكَ ابتهجتَ حِينما . . .
، طَرَقْتَ عَامَكَ الجَدِيدْ . . .
. . . مُضمَّخاً بِالزَّهْوِ . . .
، رَافِلاً . . . فى ثوبك الشتوى . . .
، قاعِداً فى حُجْرَةِ الجُلُوس آخر المَسا . . .
. . . فى رُكْنِك الأثير . . .
. . . تُجَرِّبُ الفرحْ . . .
. . أمْسَكْتَ زَهْرَتِى . . .
. . . هَمَسْتُ فى الأرِيجِ كُلَّهُ . . .
. . . عَامٌ . . .
، سَعِيدٌ . . .
، يا أبِي

القاهرة : السَّمَّاح عبد الله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

متابعات | الجهيني

فاروق خورشيد

أتاحت سلسلة « المواهب » الفرصة أمام متلقى العصر لرؤية العديد من الوجوه الجديدة الواعدة ، والنشطة فى حياة الابداع الفنى . وهذه السلسلة التى خرجت فى صمت ، وتتقدم باستمرار فى تواضع إلى جمهورها تكاد تكون من الأعمال القليلة النادرة والجادة ، التى تؤدى رسالة ذات قيمة فى الحياة الثقافية ، فنحن منذ البدء كنا نحس ، أن المشرفة على هذه السلسلة لا تنتمى إلى مجموعة دون مجموعة ، ولا لجيل دون جيل . الباب مفتوح ـ فى هذه السلسلة ـ كما رأينا من أسماء كتابها ـ لأجيال متضافرة متعانقة ، تتقدم بكل الحب ، وأيضا تقدمها المشرفة بكل السماحة ، ولا تتدخل فى موقف ، ولا تتدخل فى رأى ، ولا تفضل كاتبا على كاتب ، لا بالسن ولا بالانتماء .

كما أنها حلت لنا معادلة فى منتهى الصعوبة ، هى (تشابك الأجيال) ففى مرحلة من المراحل كنا نشكو دائما ، من أن كل جيل ـ من الأجيال ـ يتقدم وحده ، ويحاول باستمرار أن يكون هو الصوت الأعلى على الساحة .

ولكن فى هذه السلسلة ، تقدم الشاب الواعد ، وتقدم الشيخ المجرب معا ، جنبا إلى جنب ، فى هذا العطاء الفنى المستمر ، والناجح .

ولا يسعنى إلا أن أحيى ذكرى الشاعرة الراحلة مديحة عامر التى أعطت حياتها وجهدها لهذه السلسلة ورحلت ضحية حبها العميق لمكانها فيها . . وكل ما نحبه تحية لها هو أن تبقى هذه السلسلة وتزدهر ، ونرجو ألا يصيبها الداء الذى يصيب كل عمل جاد فى بلادنا ، فتختفى لأمر أو لآخر . أو تتعثر لأمر أو لآخر .

وأنتقل إلى رواية من إصدارات هذه السلسلة وهى رواية الجهينى للروائى الأستاذ مصطفى نصر وهى محاولة شجاعة فى دنيا الرواية العربية ، التى تحاول أن تجد لنفسها طريقا ، وأن توجد لها هوية وشخصية .

فمشكلتنا فى الرواية كفن ، أننا منذ البدء أعتبرناها غريبة على حياتنا الأدبية ، وقبل إنها وافدة إلينا عبر البحر ، وإننا لم نكن أصحاب جهد عريق فى هذا الفن ، الذى جاءنا مع ما جاءنا من الغرب من أشكال فنية .

هذه الرواية تريد أن تقدم إجابة ما ، ولكنها إجابة إبداعية ، على هذه الافتراضية الخاطئة التى سمعناها من قبل .

عطر الجهينى ، نستطيع أن نستمد منه رؤى كثيرة جدا ، تعيدنا إلى أعماق أدبنا الروائى الشعبى ، منذ ألف ليلة وليلة ، إلى الآن .

فهذه هى رواية المكان . ليس البطل فى الجهينى فردا ، وليس البطل فى الجهينى ، مرحلة ـ ولكن الجهينى البطل فيها ، المكان . والمكان يتقدم بكل ما فيه ، يتقدم ليكون هو البطل وكل الأفراد الموجودين فى العمل إنما يتحركون فى إطار المكان نفسه .

ونحن نعيش حياة هذا المكان ، من خلال الأبطال ، ومن خلال الأحداث ، ومن خلال التقلبات التى تحدث فى هذا المكان .

وهذا النوع بالذات من الأعمال أعنى رواية المكان ، هو الذى نراه بصفة دائمة فى الكثير من الأعمال الشعبية وبخاصة فى الأجزاء البغدادية ، والأجزاء القاهرية ، والأجزاء الدمشقية من ألف ليلة وليلة .

ولو دققنا قليلا فى الرؤية الفنية ، نكاد نحس أن المؤلف قد قرأ هذه الأعمال وأستفاد منها ، دون أن يحس ، وخرجت هذه الاستفادة ، بطريقة تلقائية إلى قلمه ، وإلى رؤيته ، وإلى الزوايا التى يلتقط منها

الأحداث . والتى يلتقط منها الشخصيات ، ولهذا لعبت الأزدواجيات الممتزجة (الجنس بالفقر) ، (حب الحياة بالأمل المظلم) دورها الرئيسى فى هذه التكوينة الروائية . لأن هذه هى الصورة ، التى نراها باستمرار فى حكايات المكان ، وخاصة فى ألف ليلة وليلة ، فى الأجزاء المتعلقة بالمدن .

والصرخات التى ارتفعت ضد ألف ليلة وليلة ، كان سرها بالدرجة الأولى ــ هو هذا الذى لم يفهمه تمام الفهم النقاد الذين هاجموا الليالى هذا الهجوم الكبير ــ ففى عمق المدينة يصبح التوالد الدائم هو الوجود ، والعقم هو النهاية . ورمز التوالد الدائم فى المكان باستمرار هو الجنس ، ربما كان الجنس بالنسبة للأفراد عنصرا واحدا من عناصر حياتهم . ولكنه بالنسبة للمكان هو البقاء الحقيقى للاستمرار الحقيقى للمكان .

ولهذا ، فرواية المكان تقفز مسرعة إلى الجنس . وتقفز بسرعة إلى الاعتماد الكلى على هذه العلاقات الجنسية المتشابكة .

لا أقدم تبريرا لكم الجنس الموجود فى الرواية ، ولكنى أقدم تفسيرا مستمدا من واقع المتشابهات العربية الموجودة فى تراثنا ، وفى هذا النوع بالذات من الأعمال الروائية . ولا نكتفى بهذه اللفتة بين رواية الجهينى وبين الموروث الشعبى العربى القديم الروائى . ولكن سنحس ــ أيضا ــ أن شخصيات الجهينى ، تذكرنا تماما بشخصيات أحمد الدنف وعلى الزئبق ، ودليلة المحتالة ، وزينب النصابة ، وهى الشخصيات التى أشتهرت داخل ألف ليلة وليلة فى جزئها المصرى وجزئها البغدادى ، والتى استقلت بعد هذا بسير شعبية خاصة بها . وظهرت فى سير مستقلة كسيرة على الزئبق ، أو فى أجزاء من سيرة كبيرة ، كسيرة الظاهر بيبرس .

وسنحس أن هذه الشخصيات ليست جديدة على أدبنا الروائى القديم والمعاصر . هذه الشخصيات حية وموجودة ، ولها جذور عميقة فى تاريخنا القصصى والروائى العظيم . ولا تظهر هذه الشخصيات فى أى عمل روائى إلا إذا كان هذا المكان يشكو القهر بأشكاله ، القهر السياسى ، والقهر الأجتماعى . وهذا القهر ينعكس على هذه الشخصيات التى تتحول لتمثل التمرد على هذا القهر . فهى تحدثه الأزدواجيات المتناقضة فى نفسها من تمزق ، وما تظهره نتيجة لهذا من دونية فى السلوك ، ودونية فى الموقف ، هو إعلان لرفع علم التمرد وشعار الاحتجاج ، على ما تعيش فيه المدينة ، أو المكان من قهر سياسى واجتماعى واقتصادى مر .

كان من الطبيعى فى هذا الإطار ، إذن ، أن تكون هذه الشخصيات بهذه الصورة التى نراها . . وهى تتكرر كما قلت فى أدبنا العربى ، وتظهر فى الأعمال الشعبية الروائية التى كتبت فى أيام القهر السياسى ، وأيام القهر الأجتماعى ، وأيام ظهور الفساد عند الحكام . وعند الطبقات التى تحكم بعيدا عن الرؤية الحقيقية لواجبها كطبقات حاكمة .

وتتقدم الجهينى ، وهى تكاد تعيد لنا مرة أخرى ، عطر كل هذا إلى الحياة القديمة المعاصرة فى آن واحد ، داخل إطار المدينة أيضا ، وداخل إطار حى من أحياء المدينة . وحين يصبح هذا الحى هو النموذج الذى تتحرك فيه الشخصيات ، كان لابد لنا أن نتعرف على الخلفية الموجودة لهذا الحى .

سنحس أن الحى هو مكان هجرة ، وأن الشخصيات الموجودة فيه ليست أصيلة ، وإنما هى مهاجرة ومغامرة ، أتت من الصعيد . . لتعيش فى هذا الحى من مدينة الأسكندرية . والأصل فى المهاجر أنه يهرب من الفقر أو من القهر أو أنه لم يعد يتلاءم مع المكان القديم ، ولم يعد المكان القديم يقدم له الأمان والعطاء ، فيحث عن هذا الأمان وهذا العطاء فى مكان آخر جديد .

ومجموعة الموجودين داخل هذا الحى ــ إذن ــ مجموعة من الفارين من وضع اقتصادى واجتماعى وسياسى لا يتلاءم مع الانسان السوى فى مجتمعنا الأصلى . ومعنى هذا ،انهم يعيشون وفى قلوبهم معنى القهر منذ البدء . يعيشون وفى قلوبهم معنى الدونية منذ البدء .

وأيضا ، يعيشون وهم يحاولون الانتماء ، دون أن يتم هذا الانتماء كاملا .

ينبغى أن نحرص على تحديد هذا الموقف وإظهاره ، لأننا حين نصادف هذه الشخصيات فى إطار الرواية ، سنسرع بالحكم عليها ، بأنها شخصيات شاذة أو غريبة . أمّا فى الإطار الذى رسمناه الآن فنحسّ أنها بنت المكان وأنها وليدة طبيعية لهذه الظروف التى يعيشها مجتمع الهجرة ، مجتمع الحى الذى يعيش من عمله الذى يقوم على أن يجمع قمامة المدينة ، فنحن فى حى الزبالين (والرمز هنا واضح) . إننا نعيش فى إطار مجتمع ليس له من المدينة إلا أقل الأدوار ، لا يراد له فى المدينة إلا الصبغة الدونية المطلقة أى أنه هو قاع المدنية بالفعل ، وهو الجزء الأخير الذى يمكن لنا ان نلمح فيه لمحة أمل .

هذا (الطحن) الذى يعيشه هذا الحى ، ينعكس فى أن أى صاحب أمل مازال ينبض سيتصرف طبيعيا بخروجه منه أو انصرافه عن بقايا الأحياء ، أو أشياء الأحياء الذين يعيشون فى هذا الحى . سيبرر لنا هذا - ما نحسه من أن الشخصيات - كلها تقريبا - شخصيات تعيش مرحلة من الضعف الخلقى ، مرحلة من فقدان التوجه ، والأمل والرؤية . تعيش مرحلة من الانطواء الكامل على الذات والانطواء الكامل على الملذات العابرة ، الضئيلة الصغيرة المتاحة .

إننا فى مجتمع ديدان ، مجتمع متشابك متلاصق ، ولكنه يحاول أن يتساند ليظل موجودا بشكل أو بآخر . هذه الرؤية - فى الحقيقة - تربط هذا الحى بمثيله من الأحياء فى كل المدن المصرية - وبمثيله من الأحياء فى كل المدن التى عاشت القهر السياسى والاجتماعى والتى عاشت خيانة الأبناء من أصحاب الطبقات أو المتمين للطبقات الأعلى فى واقع المجتمع ككل . الإحساس بعدم الانتماء الكامل وبأن المسألة ، مسألة (لعبة) تمارس دون جدية ، رمزها فى هذه الرواية ، موضوع الانتخابات .

ولا أريد أو أقول إن موضوع الانتخابات ، موضوع سياسى ، أى أنه يقف مع الثورة ، وضد الملكية . أو مع الملكية وضد الثورة . أو ضد الملكية وضد الثورة . فليست هذه الا مجرد تسميات .

لأننا نبدأ فى التعرف على الأحداث من عام ٥٢ الى ٥٨ ولا نحس بصدى لأى حدث سياسى من الأحداث التى رجت هذه المدنية ، ورجت مصر كلها ، رجا شديدا . : من قوانين تحول اشتراكى ، ومصادرة الإقطاع ، وتأميم قناة السويس ، ومن الأشياء الكثيرة الأخرى . كل هذا لا أثر له فى الرواية على الإطلاق . الحى معزول تماما عن كل الأحداث التى تحدث خارجه .

وليست الجهيني ، رواية سياسية ، وليس لها موقف من الحدث السياسى الذى تم ، لكنها فى اطار الحركة استخدمت لعبة الانتخابات ولعبة الانتقال من عصر الى عصر لتؤكد - كما أكدت على الزئبق فى الماضى - وكما أكدت لنا قصص الليالى ، طحن هذه المجموعة من المقهورين الذين تخلفوا عن مجتمعاتهم كنفايات يعيشون على بقايا المدينة ، وأكدت لنا ما يحسونه من طحن وما يسبب لهم هذا الطحن من دونية فى السلوك ومن دونية فى فهم الحياة ، ومن عدم انتباه إلى الأحداث الخارجية التى لا علاقة لها بالطموح الفردى الشخصى ، ونقف أمام كلمة (طموح) . الطموح عند الانسان له معناه الخاص هنا ، هو طموح الى الرفعة وهو طموح الى المادة . يعنى الطموح الخلقى ، وهو طموح أيضا مادى .

فى هذه النماذج المقدمة - فى الرواية - لا نجد لديهم الا الطموح المادى بكل أنواعه ، حتى الطموح الى النفوذ والطموح الى التفوق . حتى فى معركة الانتخابات ، تتحول الطموحات لتصبح فى النهاية طموحات الى خدمة المصالح المادية المباشرة ، فالبطل هنا يحاول أن يحقق بطموحه مجموعة مصالح مادية لمجموعة من الناس .

ولكن الطموح الخلقى ، أو الطموح الأدبى والفكرى . معدوم تماما فى اطار هذا المجتمع .

ليست فى الرواية شخصية مثقفة واحدة . هناك متعلمون كالدكتور والمحامى . ولكنهما برغم انهما يحملان الشهادات الجامعية فإن كليهما مارس الوضاعة والدناءة والضعة . التى مارسها أى زبال آخر ، لم يحمل شهادة .

وهناك حوار فى مواقف كثيرة جدا من الرواية يقف ليبرر هذا المعنى مثلا ، عندما تفاضل امرأة بين رجلين ، لماذا رشحت هذا ، ولم ترشح ذاك ، رغم أن المرشح الثانى يحمل شهادة أكبر من المرشح الأول يؤكد حديثها أن الشهادات هنا مجرد وسيلة تفضيل . والشهادات بهذا لعبة ، لا قيمة لها ، ولا تمثل ثقافة . ولا تمثل موقفا ولا تمثل رأيا . ولا فكرا . وإنما المسألة كلها ، طموح إلى المادية المطلقة ، والمتع الحسية المجردة . . فى إطار هذا الفهم ، وفى وضوح الرؤية لهذه المجموعة البشرية ، التى تتحدث عنها الرواية ، نستطيع أن نفهم مزالق كثيرة ، من التى وقع فيها المؤلف . وأخذت نقديا عليه . وأنا أرى أنها ليست إلا استجابة للصدق الفنى وفى أن يكون ما يكتبه المؤلف متمشيا مع الحقيقة الفنية ، ووسيلة من وسائل إدراك هذه الصورة .

ولو خرج المؤلف إلى التصدى العالى النبرة أو الموقف الخطابى ، لأخرجنا تماما من صدقة الفنى ، فى تصوير هذه البيئة التى اقتطعها اقتطاعاً من داخل المجتمع ، وصور انعزالها الكلى عن الوجود المجتمعى ، وصور اليأس الكامل فى احداث أى تغير لها وفيها . .

وهذه المجموعة من الناس ، فى هذا الإطار ، لا تمثل مصر ، وليست هناك شخصية من الشخصيات يمكن أن يرمز لها بمصر . وقد قرأت مقدمة الدكتور / محمد مصطفى هدارة للرواية يذكر فيها أن المؤلف يرمز بعاهرتين لمصر وهذا شىء لا نوافقه عليه ، ولا يمكن أن نتصوره إطلاقا ، فمصر غير واردة إلا فى إهمالها لابنائها هؤلاء ، أما تصور البحث عن اسقاط سياسى ما ، فى الرواية ، يمكن تفسيره بطريقة الجداول ، فهذا أمر فيه تعسف ولا أعتقد إطلاقا أنه يصلح لمثل هذه الرواية ، ولو كان يصلح لكانت الرواية ساقطة تماما ومرفوضة مائة فى المائة .

المفروض أن نحاول أن نفهم الرواية من اعماقها . أما أحكامنا المسبقة عن الرواية فقد تدين الرواية بما لم يكن الروائى يريد منها على الإطلاق .

الأسلوب المتبع فى الرواية ، هو تعدد الشخصيات ، وتحدث كل شخصية عن نفسها ، جعلنى أحس أننى اتحدث عن شخصية واحدة (وهى الحى) وهى مجموع الناس إذ لا توجد لغة لكل شخصية منفصلة عن لغة الشخصية الأخرى . ولا يوجد تصور فى الحوار الداخلى (المونولوج الداخلى) الذى يقيمه المؤلف لأى شخصية أخرى من شخصيات الرواية المختلفة ، سواء أكانت هذه الشخصية نسائية أو شخصية شاب - أو لرجل عجوز .

ليس هناك فرق فى المونولوج ، وفى الأسلوب المستعمل ، ولا فى تصور الأشياء . فكأننى أمام شخصية واحدة بعينها ، تعددت أمامها الصور ، وتعددت فيها الجوانب ، وتعددت لها زوايا المرآة التى تطل علينا منها ، وجوه هذه الشخصية . ولكنها شخصية واحدة ملئت قهرا وطحنا ووضاعة . وعاشت مخنوقة فى إطار هذا الحى ، وفى إطار أخطائها وجرائمها ، ومصيرها المظلم الذى لا يمكنها أن تتعداه .

ولقد تعودنا إذا سألنا ماذا يريد الفنان . أن يقفز إلى أذهاننا الهدف السياسى .

ولكن إجابة الفنان - على هذا السؤال شىء مختلف وهو لا يستطيع أن يقدمها لنا بذاته . ولكن الفنان الذى يحس بواقع الألم ويعبر عنه وينجح فى التعبير عنه ، يكون قد حقق الهدف وأجاب بعمله وحده عن السؤال . أما مسألة ماذا يريد أن يعطى لهؤلاء الناس فيكفى أنه أبرز لهم وجوههم فى مرآة فنه ، فاذا استطاع أن يعكس هذه الصورة برؤية حقيقية ، فقد حقق كل الأهداف السياسية والاجتماعية والثورية .

بل وكل ما نريد من أهداف . ينجح الفنان الذى لا يكذب على نفسه ، والذى يلتزم بالصدق ، والذى يحاول ألا يركب أية موجة سياسية - ويحاول أن يبتعد عن إدعاء الموجة السياسية - أو الموقف السياسى ، أو البطولة السياسية الزائفة فى تحقيقها تحقيقا فنيا ودراميا وإبداعيا معا .

الروائي فنان ، وليس رجل سياسة . والفنان أدواته هي وسائل الفن . وكلما استطاع ، أو أجاد في التعبير عن رؤاه ، في أن يحرك هذا المجتمع تحريكا كاملا . أما ادعاء البطولة السياسية . وادعاء التغيير بالرواية ، أو التغيير بالشعر ، فهذا عمل لا علاقة له بالفن ، أو أن علاقته بالفن علاقة تالية في الاهمية ، وتدرك تلقائيا من خلال العمل الفني ، لا تتقدمه ولا تعزف بوقاتها في ركابه فتفقده خصوصيته وحيويته ونقاءه . وهو إن طغى وترك له أن يطغى لاهداف بذاتها أدخل في أن يتحول الفن الى إعلام . لان هذا هو دور الإعلام . ان يكتب قصاص قصة ، يريد بها الهجوم على وضع ، ويريد بها ان يقدم حلا . هذا رجل اعلام ، وليس فنانا - أيا كانت الوسيلة التي يستعملها . سواء أستعمل في هذا ، القصة أو الشعر أو الرواية . فهي لا تختلف عندنا على الاطلاق عن استخدامه شكل المقال المباشر . ليس هناك فرق . هو مقال مكتوب بشكل قصصي . ونحن لا نطلب من الفنان القاص أن يكون اعلاميا . لأن الاعلاميين كثيرون . ويملأون الدنيا . هناك كليات تخرج لنا الاف من الاعلاميين . لكن الفنانين قلة نادرة . ووجود فنان حقيقي أندر من الندرة .

وإذا كنا نحس أننا نجد أو نكتشف فنانا حقيقيا في هذا العمل . ففي قلوبنا الحرص عليه ، وفي رأينا أن يظل على فهمه هذا لمعنى العمل الفني ، وكيفية استخدامه لأدواته الفنية .

إنني أحس ، أن القصاص مصطفى نصر . عكس في هذا العمل ثقافته ، وليس مجرد معايشته لهذا الحي . الثقافة هنا ليس معناها مجموعة المعلومات . إنما هي رؤيته إلى الحياة . الرؤية التي تكونت من القراءة والمعايشة ومن فهمه لما يدور حوله فهما واعيا ومدركا .

رواية الجهيني تحتاج إلى التفاف من النقاد . وتحتاج من المؤلف أن يتابعها ، فنحن نحتاج منه أن يستمر في أن يقدم لنا رؤيته لهذه البؤرة الثرية والخصبة . وليس عيبا أن يقدم الكاتب عدة أعمال عن وحي واحد ، لأن النفس البشرية ثرية ، ومتغيرة ومتجددة . وفي كل عمل جديد تتجدد الرؤية ، ويزداد عمق التجربة ، وتقترب أكثر من الخصوصية التي تحدد الإنسان في معاناته وقلقه ، أعني في جوهره المتوحد الأصيل .

القاهرة : فاروق خورشيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

متابعات

الشاطر حسن و"مسرحة" الحدوتة الشعبية: صيغة مسرحية جديدة

د. نهاد صليحة*

فى عام ١٩٦٣ كتب فؤاد حداد مع متولى عبد اللطيف « حدوتة » الشاطر حسن . وبعدها بسنوات طويلة ، التقط هذا النص الشعبى السردى مخرج شاب ، هو أحمد اسماعيل ، وصنع منه تجربة مسرحية جديدة وأصيلة فى آن واحد ، جديرة بالتأمل والتحليل .

وليست هذه أول تجربة فى مجال الإبداع الإخراجى المسرحى لأحمد اسماعيل ، فقد عمل سنين طويلة فى مشروع تجريبى طموح هو « مشروع الإبداع المسرحى الجماعى » الذى قدم فى إطاره تجربة سهرة ريفية فى قرية (شبرا باخوم) بالمنوفية ، وكانت تجربة « ارتجالية » احتفالية جماعية تمثل خطوة هامة على طريق خلق مسرح شعبى مصرى يمارس الدراما كنشاط معرفى ، جماعى ، ابداعى .

والنص الذى اختاره أحمد اسماعيل كمادة لتشكيل تجربته المسرحية نص بسيط عذب ، بالغ الشاعرية ، يمزج اللغة النثرية الدارجة المنغمة والشعر العامى العراقى ليخلق نسيجا لغويا أدبيا يعبر عن رؤية كلية ـ انسانية وكونية ـ يمتزج فيها الواقع بالخيال والخرافة .

والجديد فى رواية فؤاد حداد ومتولى عبد اللطيف للحدوتة هو إعادة تعريف هوية الشاطر حسن حتى يتحول من بطل فردى أسطورى إلى رمز للإنسان المصرى العادى العامل . وتتحقق إعادة صياغة الشخصية من خلال بنية النص التى تقوم على فكرة الرحلة ـ وهى فكرة قديمة قدم الأدب نفسه . والرحلة فى الأدب تتحول دائما من رحلة جسدية فى الزمان والمكان إلى رحلة وجدانية ترتقى خلالها درجات الوعى حتى تصل بالانسان إلى الحقيقة أو الخلاص .

وتتشكل فكرة الرحلة ومدلولاتها فى نص الشاطر حسن فى بناء قصصى تحكمه حركة هبوط تؤدى إلى حركة صاعدة بحيث تكون الحركتان المتعاقبتان مفارقة تقول بأن علينا أن نهبط إلى أرض الواقع وجودا وفعلاً ونلتحم به حتى نستطيع أن نتخطاه . وتترجم هذه المفارقة التى يقوم عليها البناء القصصى فى الشاطر حسن إلى مجموعة من الأدوار التى تمثل تحولات أساسية فى الشخصية المحورية . فبعد البداية التقليدية التى تسحبنا إلى جو الحدوته الشعبية الموروثة ، وتتعرض لاضطهاد ابن الملك « حسن » من قبل زوجة أبيه الجديدة وتنتهى بهروبه من القصر ، يبدأ « الأمير حسن » ـ أى رحلة التحول من ابن ملك إلى فرد عادى ، من شخصية أسطورية إلى شخصية واقعية (صياد ، حداد ، فلاح) ، من رمز لنمط فكرى تراثى قائم على عبادة الفرعون أو البطل الفرد إلى نمط حديث يرفض مبدأ توريث القيمة ويجعل من العمل معيار القيمة الجديد .

ومن خلال التحولات التى يمر بها الشاطر حسن فى رحلته ، والتى تمثل هبوطا من مستوى الأسطورة إلى مستوى الواقع من ناحية ، ومن قمة هرم السلطة إلى قاعدته من ناحية أخرى ، يتم خلق هوية جديدة لهذا البطل الشعبى التراثى فيصبح على مستوى الأسطورة : روح الشعب ومستودع القيم الإيجابية والوعى المستنير ، وعلى مستوى الواقع عاملا وصيادا وفلاحا وجنديا وثوريا سياسيا ، بل وشاعرا شعبيا هو فؤاد حداد نفسه الذى يجعل أحمد اسماعيل من « طاقيته » المشهورة بديلا لتاج الملك التقليدى ليجسد التحول الفكرى الذى تطرحه الصياغة الجديدة للحدوتة تجسيدا مرئيا .

وحدوتة الشاطر حسن كما صاغها فؤاد حداد ومتولى عبد اللطيف تخلط السرد العامى بالحوار العامى أيضا وتنتقل من الرواية إلى الحوار عن طريق « قال » ، و « قالت » . وهى فى هذا لا تختلف عن أنماط السرد التقليدية التى تخلق وهم

الحاضر فى سياق الماضى عن طريق الحوار الذى يضع « الزمن الحاضر » لغويا فى سياق « الزمن الماضى » . لكن النص المكتوب يضيف فى الوقت نفسه إلى السرد بعدا جديدا للزمن الحاضر - كما يحدث فى أنماط القص الشعبى - عن طريق إضافة ضمير المخاطب - أنت وأنتم - إلى الضمير الغائب والحوار المسبوق بقال وقالت ويوظف النص استحضار الزمن عن طريق « المخاطبة » لهدف تعليمى - كما يحدث أيضا فى قصص التراث .

والجديد ، والجدير بالتأمل الذى أتى به أحمد اسماعيل فى مسرحته لهذا النص هو اختلافه لصيغة سردية / درامية جديدة تذيب الممثل فى الراوى لتضع على خشبة المسرح ، ربما لأول مرة ، صيغة الممثل / الراوى .

إن اختلاط السرد والرواية بالتمثيل والتشخيص هو شىء مألوف فى المسرح الحديث - خاصة فى المسرح الملحمى البريختى . بل إننا نلمح فى مقالة برتولد بريخت بعنوان « حادث فى الطريق : نموذج هيكلى للمسرح الملحمى » (٢) محاولة للتوصل إلى هذه الصيغة التى تجعل من الممثل راويا فى الوقت نفسه - فأسلوب التمثيل الملحمى ، كما يعرضه بريخت فى هذه المقاله ، ينبغى أن يحاكى نموذج التقرير والتقريب والتوصيف الذى يمارسه عابر طريق حين يحاول وصف حادثة سيارة مثلا لشرطى . فعابر السبيل لا يتقمص شخصية الضحية بل يحاول « تقريب » ما حدث إلى ذهن الشرطى عن طريق السرد أحيانا ، والمحاكاة (دون اندماج) أحيانا . وهو فى هذا يخاطب عقل الشرطى لا مشاعره ، وهدفه ليس التأثير أو الاستمالة ، بل الوصول إلى الحقيقة ، ونقل صورة موضوعية كما حدث . وفى مرحلة التطبيق فى المسرح البريختى حاول بريخت إرساء قواعد هذه الصيغة وتدريب الممثل على أسلوب جديد فى التمثيل دون تقمص وجدانى أو « اندماج » . لكن على مستوى النسيج اللغوى للعرض ظلت المقاطع السردية منفصلة عن المقاطع التمثيلية أو « التشخيصية » ، فظل السرد مقصورا على الكورس - فردا كان أم جماعة - وظلت المقاطع التمثيلية وحدات منفصلة .

أما فى عرض أحمد اسماعيل فإن المخرج يحقق ما كان يرمى إليه بريخت - وهو تحقيق موضوعية الممثل « المتقمص » على مستوى النسيج اللغوى والاستجابة الشعورية إذ يجعله راويا وممثلا فى آن واحد . فالشاطر حسن فى هذا العرض يتحدث ويروى عن الشاطر حسن (سردا) ثم يمثل دور الشاطر حسن فيصبح فى آن واحد راويا وممثلا .

إن هذه الصيغة السردية / الدرامية الجديدة التى يتوصل إليها أحمد اسماعيل تتمثل فى مزج الصيغة السردية بمكوناتها الأساسية (ضمير الغائب + الزمن الماضى + المكان الغائب) بالصيغة الدرامية (ضمير المتكلم + الآن + هنا - أى ضمير المتكلم + الزمن الحاضر أو حاضر الحدث المسرحى الذى يحمل وهم واقع لم يته بعد وما زال يتشكل أمامنا + استحضار المكان الغائب فى مكان العرض الحاضر) .

إن الفرق الجوهرى بين الرواية والدراما - كما توضح سوزان ك . لانجر - يكمن فى أن الرواية تطرح الأحداث فى صورة ماضية توهمنا بأن الأحداث التى تتعرض لها قد اكتملت وانتهت وانتقلت من منطقة النسبى المتغير إلى منطقة المطلق الثابت . فالأحداث فى الرواية تخلق ماضيا تشكل واكتمل لا حاضرا فى طور التخلق (على مستوى الإيهام الفنى) . أما الدراما فتوهمنا فنيا بأن الأحداث التى تعرضها لم تكتمل بعد وما زالت فى مرحلة التطور والتشكل (٣) .

والصيغة المسرحية الجديدة (السردية / الدرامية) التى يطرحها أحمد اسماعيل فى عرض الشاطر حسن لها دلالاتها الفكرية والفنية إذ تولد عددا من المفارقات يمكن رصد بعضها فى الجدول التالى - فى ضوء التفريق الجوهرى بين السرد والدراما الذى تتحدث عنه سوزان لانجر :

السرد الروائى	العرض المسرحى
الراوى	الممثل
الزمن الماضى	الزمن الحاضر
المكان الغائب	المكان الآن
ضمير الغائب : هو	ضمير المتكلم : أنا
السرد	+ التقمص
المشاهدة والتأمل	الاندماج
الضمير الجماعى التراثى	الموقف الفردى
الانسان كموضوع	الانسان كفاعل
النص الكامل	النص فى دور التحقيق
اللقطة العامة البانورامية	اللقطة القريبة الحميمة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما عن الدلالات الفكرية والفنية لهذه المفارقات فيمكن وضعها تحت عنوانين : الأول ينتظم الدلالات الفكرية فهو : موقف الفرد من التاريخ والتراث ـ فاعلا أم مفعولا به . وأما العنوان الثانى الذى ينتظم الدلالات الفنية فهو : طبيعة اللعبة المسرحية وموقف الممثل والمتفرج منها ـ فاعلا أم مفعولا به .

إن الممثل/الراوى فى العرض يصبح على مستوى التمثيل الآنى حاضرا لم يكتمل بعد ـ أى صانعا للعرض ـ وعلى مستوى السرد موضوعا يتشكل وفق سيناريو وضع فى الماضى . وينشأ من هذا النوع من الجدل (بين بنيتين لغويتين متمايزتين على خشبة المسرح) حالتان شعوريتان متمايزتان فى استجابة المتفرج : حالة التلقى والاستمتاع عن طريق الاستعادة ـ استعادة قصة معروفة ، وحالة الاستمتاع عن طريق الترقب ـ ما قد يحدث فى قصة جديدة ويمثل جدل الحالتين الشعوريتين عصبا دراميا هاما فى عرض أحمد اسماعيل .

أما عن الدلالات الفكرية لهذا التوتر الدرامى الفنى فهى تتصل بموقف الانسان من التاريخ والتراث . فالجدل الناشىء عن استرجاع قصة معروفة وترقب أحداث قصة مجهولة على المستوى الفنى يتردد على المستوى الفكرى فى جدل بين الجبر والاختيار . ففى بنية السرد يكون الانسان خاضعا لنص تام يحدّد دوره وحركته ويمثل فيه مفعولا به لا فاعلا . أما على مستوى الفعل الدرامى فيصبح الإنسان فى علاقته بالتاريخ فاعلا وقوة تشكيل من شأنها أن تغير وتعدل النص الموروث . وصيغة الراوى/الممثل تجعل من الممثل والمتفرج صانعا للتاريخ وموضوعا له ، خارج التاريخ وداخله ، مشاهدا لأحداثه ومخططا لها ، فتحرره من عبوديته للتاريخ دون أن تفصله عنه .

وتجسد مفارقة الراوى/الممثل أيضا ـ على مستوى الدلالة الفكرية مفارقة الأصالة والمعاصرة . فعلى مستوى السرد نجد الأصالة (فى السيناريو التاريخى المعروف الذى نفترض أننا سنسترجعه مع العرض كمتفرجين) . وعلى مستوى الدراما ـ أى الفعل الحاضر الذى نترقب نتائجه كمتفرجين نلمس المعاصرة ـ أى الثورة (بدرجات مختلفة) على تشكيل الحاضر فى ضوء الموروث ، أو على هيمنة البنية الفكرية التراثية .

كذلك تحمل مفارقة الراوى/الممثل دلالة فكرية فيما يختص بعلاقة الفرد بالجماعة . فالسرد يمثل الوجدان الجمعى الذى اتفق على صيغة معينة من الرواية . أما التمثيل فيجسد الموقف الفردى (موقف الفنان من التراث) الذى يواجه عبء الاختيار بين الاستجابة للموقف الجماعى (على مستوى التاريخ) وسلوك طريق مخالف (على مستوى الفن) .

ولقد التزم أحمد اسماعيل بمفارقة الراوى/الممثل ، وجسدها فى كل عناصر عرضه فجاء اسلوب التمثيل موازنا بين التقمص والوجدانية ، والسرد والموضوعية ، فكان الممثلون دائما خارج وداخل الحدث فى آن واحد . وخلط بحذق شديد بين مقاطع الانشاد الجماعى (السردى أو التعبيرى) ومقاطع السرد والتشخيص الفردية ، وجسد المفارقة فى سينوغرافية العرض فكان المكان الذى اختاره (وهو وكالة الغورى) جسدا لمفارقة التاريخ ـ أو الماضى ـ فى الحاضر ، وعمق المفارقة فى اختياره لممثل ومنشدى العرض فجاؤا من كل الأعمار ـ شيوخا وشبابا وأطفالا .

وكم كنت أود لو جسد أحد اسماعيل التحولات المحورية فى شخصية البطل الأسطورى فى رحلته نحو الانسان العادى بصورة محسوسة ملموسة عن طريق تغير الملابس مثلا . كذلك كنت أرجو أن يؤكد اللحظات الدرامية فى العرض ـ لحظات الصراع ـ عن طريق تنميط الحركة مثلا (stylization)ولو كان المخرج قد اطلع على نماذج المسرح الشعبى القديم فى العالم خاصة فى الصين واليابان ، والشرق عموما لاكتشف منابع الالهام الواحدة للفن الشعبى والتى تربط شعوب العالم جميعا ـ كما اكتشفها بريخت واستفاد منها فى صياغة نظريته عن المسرح الملحمى .

لكن يبقى أن نذكر للحق والتاريخ أن أحمد اسماعيل فنان مبدع خلاق يعمل بجد واجتهاد فى أعماق الريف المصرى ليصل إلى صيغة مسرحية حقيقية لمسرح شعبى مصرى عربى أصيل . وهو لا يألو جهدا فى تجميع المواهب المنتشرة فى أنحاء اقليمه . ليوظفها فى تجارب فنية لو حدثت فى بلد آخر لأفردت لها الجرائد صفحاتها وكتبت عنها الكتب .

القاهرة : د . نهاد صليحه

هوامش :

(١) انظر تاريخ استخدام استعارة الرحلة فى الأدب فى كتاب :

G. Roppen and R. Sommer, **Strangers and Pilgrims**, New York, Humanities Press, 1964.

(٢) انظر :

Brecht on Theatie, translated by John Willett, Eyre Methuen, 1979, pp. 121. 129.

(٣) انظر :

Feeling and Form, New York, Scribner, 1953, p. 306.

متابعات

○ حول رواية التيه لمصطفى أبو النصر

الحرية وعش الدمى الخشبية

إبراهيم فتحى

تنقل إلينا رواية « التيه » لمصطفى ابو النصر ابتداء من العنوان معادلا مجازيا للحياة الاجتماعية فى أيامنا . وهى تنتمى إلى اتجاه معاصر واسع الانتشار يقدم للوضع البشرى صورة كلية تتجسد فى عالم سفلى (سرداب) أو سجن أو متاهة ؛ وهى صورة لم تعد طازجة وترجع إلى روائع دستوفسكى وكافكا . ولكن المؤلف يحاول أن يقدم زاوية جديدة للنظر تتيح مخرجا بطرحه للتساؤل .

ويشبه هذا التيه فى تقاطع مساراته وتداخلها خيوط نول ينسج مقادير الشخصيات ويفرض عليها التمزق والشلل والانقياد وآلية الدوران فى طاحون الحياة اليومية هلعا من تبعة امتلاك المصير ، وهربا من ثقل الحرية .

الدخول إلى المتاهة :

بطل الرواية - كما هو متوقع - بلا اسم ولا صفات تحدد ملامحه الخارجية ، ولا نعرف له عملا أو علاقات . وهو يريد من البداية أن يعود من حيث أتى ، ولكننا لا نعرف من أين جاء . وهذا القادم بتلك - على الرغم من ذلك - ذاتا مستقلة وايمانا بقيمة فرديته وحريته وقدرته على التفكير والتخيل والحلم ، بل هو وحده الذى رفض الانصياع والخضوع والانضمام إلى القطيع .

وقصة سقوطه فى التيه هى قصة الذات الحرة المفكرة تقع فى شرك الإغواء . وكما قادت بياتريس خطوات الشاعر فى الكوميديا الإلهية تقود فتاة « علاقات عامة » بطلنا إلى ساحة سجن فسيح راقص متلألىء الأضواء يكاد نوره الباهر يعشى البصر . إنها تقوده من أنفه ، من عزلته ، لتعقد صلة بينه وبين « الجميع » ليقضى معهم وقتا طيبا ، فهو مهموم دائما وعقله يفكر كثيرا فى مشكلات بلا حدود ، فلماذا لا يأخذ الحياة - لبضع لحظات - مأخذا سهلا ؟ . [والقطيع أو الجميع خليط غير متجانس لا يجمعه شىء أو فكرة معينة (الرواية ص ٥) ؛ وتقدمهم الفتاة بصيغة إعلان تجارى : ظرفاء طيبون يحبون كل الناس ، ويرحبون بأى شخص يأتى .... ويشاركهم ما هم فيه . إن أهل التيه الآن فى أحد الأماكن العامة ، فلديهم هناك انفصام حاد بين الأماكن العامة الصاخبة والأماكن الخاصة الهادئة ، ويجب اعتياد الأمرين معا . وتأخذه الفتاة إلى نسخة محلية من « الأخ الأكبر » عند أورويل فى رواية ١٩٨٤ الشهيرة ، رجل هرم على أريكة وثيرة مغطاة بغطاء أحمر من مخمل موشى ، سلطة أرضية وغيبية معا ، فى يدها كل الخيوط ، أنهكها طول الحكم والسيطرة وتجمع بين الجلال الرفيع والهزل الهابط ، فهذا الأشيب الوقور المهيب سيقضى الليل راقصا ، إنه تجسيد لروح القطيع وقامع له ولا أحد يعرف أين يقيم .

فالقوى الحاكمة تسيطر على أعماق الأفراد ، وتخمد فى صخب الترفيه التلفزيون والسينمائى أسئلة العقل ، بل إن ما يبدو بريئا بسيطا للتخلص مما يعلق بالنفس من هموم وأشجان قصد به تخليص الانسان من ذاتيته الحقة . ويبدو الطغيان فى التيه مختلفا عن نظائره عند كافكا أو أورويل أو ألدوس هكسلى ، فعلى أريكته يجلس ويتقافز ويثرثر ديكتاتور ثلثه إله وثنى وثلثه راقصة وثلثه واعظا « مونولوجست » . ولم يعد فى حاجة إلا إلى أقل القليل من الجلادين ، فقد صاغ رعيته بحيث أصبح الفرد سجانا لنفسه ، كما خلق حياتهم النفسية على صورته ، فهو يقضى الليل لاهيا لا يشغل نفسه بمعنى الحياة ولا بأهدافها كما تقول إذاعته الرسمية .

وهذا التيه له قوانينه وطقوسه ، ولا يمكن لفرد أن يخرق قانونا أو يطلع على طقس إلا بإرادة هذا الطاغية . إن ثمة قوة خفية تتبع منه وتنتهى عنده ؛ يبدو بسيطا

هادئا كالماء العذب ولكن له قدرة خارقة ، ويعجز الجميع عن إدراك آليات السيطرة عليهم دون أن يلوح بسلاح أو ينطق بكلمة وعيد (ص ٧٨) .

ولكن البطل ، وهو ممثل الفردية الحرة الخلاقة يرفض من البداية أن يتحول إلى وحدة من الوحدات فى حزمة آلية ، على الرغم من « خطيئة » سقوطه الأولى فى فخ جيد الاضاءة ، ثم متابعته السقوط إلى هدوء بهو جيد التأثيث ملتصقا بامرأة ناعمة . وفى لحظة السقوط المؤقتة يستشعر راحة وألفة ويتمنى توقف الزمن ، إلا أنه ما يزال يطرح اسئلة الفرد الحر صاحب المسئولية : أين هو ؟ ومن تلك المرأة ؟ وماذا بعد ؟ .

ويزداد الاغراء إلحاحا .. وتطلب الفاتنة أن يتخلى عن عقله وروحه مقابل المتع الحسية للطعام والشراب وكل أنواع البهجة المترفة . وترتفع أمواج « الوعى السعيد » لتغرقه فى ادراك مبهم ، فى كثافة شعور خلال لحظة خارج الزمن وفوق المعنى .. « وهل من الضرورى أن يفهم الانسان كل شىء حتى يتمكن من أن يعيش أو يستمتع بالحياة ؟ . الحياة لغز مستحيل الحل ، لا بد من قبول دون تساؤل .. كل .. اشرب .. استمتع بكل لحظة . لعلك لا تحصل على مثل ذلك أبدا » .

ويتعلم من هذه « الحكيمة » الفاتنة انتفاء قيمة الفعل ، وأن القيمة الحقيقية احساس بالسكينة والسلام والسعادة المطلقة فى الحدود المتاحة . تقول ذلك وهى تقطف بأناملها حبات عنب داكنة الحمرة .. وانزلق البطل وماتت كل الرغبات الا الجلوس معها لتعلمه كيف يصغى إلى صوت السكون . ثم تختفى الحكيمة ويظل يقرع بابا بعد باب .. فما هذه الأبواب من نهاية فحياة الانسان أبواب يدخل منها وأبواب يخرج منها لقد سقط فى التيه ، وقادته رغبته ، وانضم إلى القطيع لا بغرض البقاء وإنما لمجرد التسرية عن النفس بعض الوقت وكأنه يدخل إلى ملهى من الملاهى . (ص ١٥٥) .

متاهة جيدة التخطيط والتنظيم :

إن الحرية والمثل الانسانية لا يتخلى الافراد عنها بوعى وإرادة بل بالخضوع التدريجى للحلول الوسطى والتنازلات الجزئية والمهادنات وترسب وحل العادة طبقة فوق طبقة ، أما بطلنا فلم يواصل الانزلاق مثل الآخرين .

وفى الرواية نسق يجمع شتات الشخصيات هناك فى القاع كائنات أصبحت العبودية العقلية والروحية بالنسبة إليها تكوينا راسخا وطبيعة ثانية ، قبلت العبودية طواعية فأصبحت غير ملموسة وكأنها طبيعة الأشياء . لقد اختارت قيودها بكل حرية . ويتحدث المتأقلمون فى حماسة : هل تزوج المطرب من الممثلة ومن سيكون بطل الدورى وعن أخبار الجرائم والحوادث . ولا يقف الأمر عند ذلك فهم يناقشون « قضاياهم الكبرى » ، ويتبادلون الآراء مستعملين « الوصفات » الفكرية التى يحقن بها المتفرج مقدما ، والتى يعتقد بإخلاص انها تعبير عن تفكيره الخاص ومصالحه الخاصة ، التى تتفق اتفاقا معجزا مع الصالح العام . وتحت الرجل الهرم على القمة أقلية حاكمة من مهندسى الأفكار ومصممى الأزياء . السيكولوجية (الأهداف) وطهاة المطبخ الانفعالى العاطفى . ويعمل معهم عدد كبير من المنفذين والمنفذات مثل فتاة العلاقات العامة والفتاة الحكيمة وأمثالهن وأمثالهم المحشوون والمحشوات بالصيغ الجاهزة والمعايير والتوجيهات المغلوطة ، فالشروة الثقافية وهى جوهر الانسان يتم إبعاد الأفراد عن تمثلها ، ويقدم حراس السجن بدلا منها معلبات التسلية وصناديق الاعلام لتجميل القضبان ، ونشر احساس بالطمأنينة وخلق عالم كاذب بديل .

و« تتصارع » نفس الشخصيات الرخوة وتلعب ألعاب الحرية فى ميدان تنوع ضئيل شديد التفاهة فى اختيار الملابس والكلمات ونادى الكرة ونجم السينما لاعطاء انطباع بحرية التفكير والارادة والذوق الشخصى .

وهناك شخصية الجالس على اليسار ليقدم « جرعة » مناسبة من النقد والرفض ، فمن المريح والممتع احيانا ابداء بعض التشاؤم ، وهناك شخصيات بمثابة مكبرات صوت تردد قائمة هواجس ومخاوف معتمدة عن الزيادة السكانية وشرور تلوث البيئة وأخطار المستقبل . وهذه الشخصيات تعمل على فتح شهية الجالسين على اليمين لقضاء لحظات ممتعة الآن قبل أن تتحقق الأخطار .

ويحفل التيه أو عش الدمى الخشبية بدواب بشرية ذات بعد واحد وفردية هزيلة واقعة فى أسر العادى والمبتذل ، هاربة إلى « الروتين » اليومى الخانق مستغرقة فيه ، هابطة إلى مستوى الوجود القطيعى للافلات من الإحساس بالعزلة والعجز ، ولا أمل لديها مستقبل .

وفى التيه تتوزع الشخصيات بفعل السيطرة الآلية لأقلية مستبدة إلى يوم يبشر بالحكمة ، بعقم أى تغيير ، وبحتمية الاغتراب وفساد الطبيعة البشرية ، وإلى عصافير ملونة متفائلة تزقزق مبشرة بحياة حلوة بلا هدف ولا انتهاء ، ولا مناقشة للأسس والغايات . وكلاهما متكافل ، يدعم الأوضاع والطغيان ؛ فالدولة البوليسية المثالية بلا بوليس لأن السلطة ونواهيها يستبطنها الأفراد . (ص ١١١)

الخـــــروج

وتتحول بيانويس العصرية التى قادت خطى الشاعر فى الدخول إلى قزم مشوه يرشده فى سعيه للخروج . وهذا القزم لا يتبادل معه أحد حديثا ، ولا يسعى للخروج ؛ فما من « خارج » ينتظره . وكيف السبيل إلى الإفلات ؟ . إن بطلنا يقذف بالكلمة الهائلة ؛ كلمة الحرية فى وجه الطاغية فيربد وجهه وتهتز حاشيته وكأنه فجر قنبلة وسط القاعة ، فالحياة فى التيه سخيفة بلا معنى ، والحرية التى يتساءل الطاغية عن معناها ، هى الكلمة الوحيدة التى لها معنى ، لقد قال بطلنا بصوت عال أمر : أريد الخروج .

واكتسب بذلك حرية الخروج « من الآلاف التى تأكل وتشرب وقد تحجرت ملامحهم وخوت عقولهم وتبددت نفوسهم شعاعا » .

وطريق الحرية وعر كله تعب وعطش وجوع وتخبط فى الظلام ، وجعله شعوره بالبرد يتداخل « بعضه فى بعضه » حتى صار

كالجنين . في بطن أمه ، أي على وشك الميلاد كإنسان حر .

ولكنه لا يولد في نهاية الحبكة على سرير وثير ولا على صدر حنون . بل بوصفه خلية وحيدة في الكون ملقى داخل صحراء تحت شمس محرقة إبان لحظة « تائهة » لا يجدى معها عقل ولا تفكير ولا ادراك . إن بطلنا هائم في صحراء حريته على الرغم من الخروج ، في تيه مختلف جديد .

مسألة الحرية ودروبها

لم نجد في « التيه » ازدهارا لباقات الاسئلة حول حرية الفعل الإيجابي والمشاركة واقتراح الاهداف والحلم المشترك بل وجدنا السؤال عن كيف يخرج فرد واحد هو ممثل الانسانية من القيد .

وبدت الحرية وكأنها مسيرة خطوتين الخطوة الأولى للتحرر من الأغلال والثانية المتروكة لتيه آخر هي خطوة ماذا نفعل بأذرعنا وأرجلنا . . وأنفسنا بعد اطلاق السراح .

وافتقدنا لمحة أو ومضة عن الوجه الآخر الإيجابي للكلمة الهائلة ؛ كلمة الحرية لكي تتلاقى السواعد لكسر السلاسل والأغلال . . . وهل كان من الممكن أن نأخذ من الجلادين تصريحا بالخروج فردا بعد فرد ؟ انهم يفضلون تصريحا بالدفن .

وعلى الرغم من خروج البطل متحررا فإنه يتركنا بلا أمل في تغيير شامل ، فالتغيير متحقق داخل هذا الفرد فحسب لكي يكسب حريته ، وهي هنا خبرة شخصية أو حالة نفسية خاصة .

ولكن ذلك كله يتعلق بالبطل لا بمنطق الرواية . فالبطل قد ابتلع ايديولوجية النزعة الفردية وهي تطمس رؤية القوى الاجتماعية والعلاقات الانسانية وراء الفضاء الظاهري بين الشخصي واللا شخصي ، بين الذرة الحرة تحت الشمس المحرقة وسط الصحراء والمدار الاجتماعي .

وتشير الرواية إلى مسار آخر ممكن عند مواجهة البطل للطاغية ، لقد فكر في مهاجمته ليحرر الخائفين منه الذين ألجم الخوف ألسنتهم ، لقد فكر في تحرير الجميع والتخلص من الطاغية ولكنه استبعد « هذا الاحساس البطولي » (ص ١٦٤) . ويقول البطل لنفسه في متاهة الخروج : كم كنت ساذجا حينما تصورت أن الرجل الهرم قد ارتج عليه حينما نطقت بالكلمة (ص ١٧٢) .

فالقصة لم تنته بانتصار كما يبدو في الظاهر ، والسرد الروائي كان من الذكاء بحيث لم يجعل طريق الحرية سهلا تفتحه كلمة تنطق بصوت عال على لسان فرد واحد .

ابراهيم فتحي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القصيدة الرومانسية

عبد الله خيرت

أتيح لى مرة واحدة ، منذ سنتين ، أن أشهد احتفال أهل بلطيم بذكرى الشاعر الرقيق « صالح الشرنوبى » ، وكنت قد توقعت احتفالا باهتا مُرتجلاً ؛ إذ رأيت الأساتذة المدعوين للحديث عن الشاعر - ولم أكن منهم - يتبادلون سراً كتابا ضخما ، أظنه الكتاب الذى جمع فيه الدكتور عبد الحى دياب شعر الشرنوبى ، ومع الاهتزازات العنيفة لأتوبيس الثقافة الجماهيرية كان الكتاب يتنقل من يد ليد بسرعة متوترة كما يفعل الطلاب أمام لجان الامتحان .

ولكننى شغلت عن هذا كله حيث بدأ الأتوبيس يتجاوز المبانى المتلاصقة والبشر المتعجلين ، وينطلق فى الطرق المتعرجة وسط المساحات الخضراء الواسعة ، فها هو الريف ، كما صوره الشرنوبى وأبناء جيله ، ينام هادئا بناسه وحيواناته ، إنها لوحة حية جسّدها من قبل هؤلاء الشعراء الذين لا نعرف عنهم شيئاً ، باستثناء بضعة أبيات قد تستدعيها الذاكرة فى لحظة كهذه ولكنها تنسى بعد ذلك .

وبدأت الأمسية الدافئة فأعادتنى إلى ليالى القاهرة فى الستينات ؛ فقد كانت الندوات وقتها تمتلىء بعدد كبير من الحاضرين مثل هؤلاء ، وكانوا يشاركون فى المناقشات ويبدون متيقظين وجادين مثل هؤلاء . وإلى ما بعد منتصف الليل ظللنا نستمع إلى دراسات عن الشرنوبى - كانت جديدة بالنسبة للسّادة الضيوف ولى - وإلى قصائد من شعراء بلطيم ، وقصائد للشرنوبى نفسه ألقاها الشاعر المبدع محمد الشهاوى ، وكان اختياره لهذه القصائد وطريقته فى إلقائها وإصغاء الحاضرين وسائل جعلتنا نكتشف عذوبة هذا الشعر وبساطته وما فيه كذلك من حزن طاغٍ ظل معلقاً فوق رءوسنا فى تلك الليلة لمدة طويلة .

وقد أعجبنى كتاب الدكتور يسرى العزب « القصيدة الرومانسية » لأنه يذكرنا من جديد بهؤلاء الشعراء الذين كدنا ننساهم وننسى دورهم الهام فى تطور الشعر الحديث . وهو يبرز بالنصوص التى اختارها وحللها مشاركتهم الواضحة فى حركة تجديد الشعر ونضجهم المبكر الذى جعل لشعرهم مذاقاً خاصاً .

إن الكتب التى تهتم الآن بشعراء من أمثال فوزى العنتيل وعبد المعطى الهمشرى وحسن كامل الصيرفى وصالح الشرنوبى ، قليلة ، فقد حجبهم شعراء آخرون مثل على محمود طه وابراهيم ناجى ومحمود حسن إسماعيل الذين استأثروا باهتمام النقاد واعتبر شعرهم بعثا جديداً يمكن أن يُستقبل بمثل هذه الكلمات العاطفية البراقة التى نجدها فى كتاب المرحوم أنور المعداوى عن على محمود طه

« . . . هذه الرمزية المطبوعة التى نعنيها بهذه الكلمات ، هى الرمزية التى يرفل فيها اللفظ فى أثوابه النفسية البسيطة التى لا تختلف وكل ما يمائلها فى الشعر من أثواب ، والتى تخطر فيها الصورة الوصفية فى مواكبها البيانية مغمورة بأضواء الحركة الواعية التى تعمل فى وضح النهار . . . » .

فى حين ظل كثير من شعراء هذه الفترة بعيداً عن الأضواء ، فإذا ذكرت أسماؤهم - وقد تنسى - كان ذلك يعنى أنهم مشاركون على الهامش فى حركة الأمس فى حركة الشعر ، إنهم يمشون فى الموكب نفسه ، ولكن ليس فى الصفوف الأولى ، فهم مغمورون بالظل حيث تصعب رؤيتهم على النقاد الكبار أمثال طه حسين والعقاد والمعداوى .

ولكن يسرى العزب فى هذا الكتاب يضعهم من جديد فى مكانهم الطليعى مع زملائهم المشهورين ؛ فقد كانوا كما أوضح المؤلف أبناء

* القصيدة الرومانسيه ، تأليف : د . يسرى العزب - الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦ .

هذه الفترة الحزينة الحالكة من تاريخ مصر ، وكان إحساسهم بها متشابهاً إلى حد كبير ، كما أن الطموح إلى التجديد ورغبة الشاعر في أن يكون ابن عصره ظل هدفاً ثابتا يحاول كل واحد منهم الوصول إليه .

ولكى لا يبقى الكلام عاماً أو جيلاً فحسب مثل كلام الأستاذ المعداوى ، فإن المؤلف يلجأ إلى الإحصاء الدقيق لمفردات هؤلاء الشعراء وللهموم التى شغلتهم فجاءت قصائدهم صدى لها ، ليكتشف فى النهاية أنهم مجموعة واحدة ، سواء فى إيثارهم لبعض الكلمات أو اختيارهم بحوراً بعينها من الشعر العربى أو غلبة موضوعات معينة على شعرهم .

ولنأخذ دليلا على هذا الموقف من الطبيعة عند هؤلاء الشعراء ، إنهم وفقا للحقيقة التى تقول :

« إن الطبيعة عند الرومانسى تمنحه القدرة على التأمل ، كما تعطى خياله الفنى الفرصة للعمل ؛ لأن الخيال فرار من واقع مرذول إلى ممكن مأمول ، حتى إذا ما تحول هذا الممكن إلى واقع أصبح حقاً ولم يعد جمالاً فيعود إلى فرار جديد من عالم الحقيقة إلى عالم الممكن المتصور . . » .

وفق هذه الحقيقة يوقعون أنغاماً متشابهة ، فيقول السحرتى :

ففى الظلماء ملاذ وأنسى
وفى الظلام مرتاد لنفسى
وفيها ينبع الإلهام صرفاً
ومنها يستقى عقلى وحسى

ولكن هذا الخيال لا يظل حلماً جميلاً ، ولذلك يكمل محمود حسن إسماعيل تلك الصورة حين يكشف الهوة بين الخيال والواقع من خلال رؤيته للناس :

إيه يا جنتى لقد صدح النأى
وروحى تضيق من نفثاته
شفنى فى حماك قوم حيارى
ندبوا نحسهم على صفحاته
نضروا غرسك الرطيب وناموا
فغدا غاصب على ثمراته
قطف اليانع الشهى وألقى
لبنيك الجياع فضل فتاته

أو من خلال تأمله لنفسه كما يعمل صالح الشرنوبى :

وتمنيت أن أعيش حياتى ... بين تلك الفرادس الوارفات
بيد أن القيد الترابى أضنا ... نى فخلف عالم الأهات
وهبطت الأرض الشقية كالنا ... سك يغشى مواطن الشهوات
وبدأت الصراع فى زحمة الأحـ ... ـياء سعيا وراء هذا الفتات

وهكذا يشترك هؤلاء الشعراء فى تجسيد صورة واحدة بهذه اللغة الحزينة الهادئة . ولو أن المؤلف استشهد بشعر فوزى العتيل هنا لبدت الصورة أوضح وأكثر دلالة ، لأن فوزى العتيل لم ير الريف مكانا مضيئاً وكثيبا كما كان يراه المازنى ، أو مكانا ينطلق منه إلى المدينة فاتحاً كما فعل أحمد عبد المعطى حجازى ، وإنما كان يراه على حقيقته الثابتة مكانا حزينا لا ينعم أهله بلحظة هدوء واحدة ، حيث يتوارثهم الطغاة جيلا بعد جيل ، فلا يصدون غازياً إلا فوجئوا بغيره ، تاريخ طويل من المعاناة القاسية تكشف عنه وجوههم الحزينة دائما .

كذلك نجد هذا التشابه واضحا فى موقف الشعراء من المرأة ، وإن كان المؤلف قد اكتفى هنا بشعر على محمود طه وأبى شادى وناجى وأحمد رامى ، ونسى الباقين ، مع أنهم يملكون رؤيتهم الخاصة والمكملة كذلك لرؤية هؤلاء « الكبار » كما سماهم المؤلف ، ولعله المخدع مثلنا بالشعراء الذين تغنى قصائدهم ، مع أن هذا لا يتفق مع الهدف الذى قصد إليه .

على أنه عاد مرة أخرى عند الحديث عن المعجم الشعرى ، فاختار ديوان عبد العزيز عتيق « أحلام النخيل » نموذجاً تطبيقيا ، وهو لا يصل إلى نتيجة خاصة بعد عملياته الإحصائية المتعددة لمعجم هذا الشاعر ، بل يكتفى بالقول « إن شعراء الرومانسية ونقادها كان لهم أثر كبير فى نقل لغة الشعر من التراث القديم الذى يحتاج غالبا إلى معجم لغوى للكشف عن معانى مفرداته ، إلى المعجم الحديث المناسب للغة العصر ، وقد دفع هذا الوعى الشديد باللغة الشعرية بالشعراء الرومانسيين إلى توظيف لغة عصرهم . . » .

وهذا الكلام العام عن لغة الشعر عند الرومانسيين يصدق على الشاعر عبد العزيز عتيق وعلى غيره ، فلو كانت النماذج هنا متنوعة لأمكن التسامح مع هذا الكلام الذى يقال عن اللغة عند كل شعراء هذه الفترة . ولكن المؤلف أورد نماذج شعرية متعددة للشاعر عبد العزيز عتيق - الذى لا يكاد يعرف - وهى نماذج لا تقل جودة عن شعر ناجى وعلى محمود طه ، بل إنها تتميز بهذا الهمس الحزين الذى كان طابع تلك الفترة مثل قوله فى قصيدة ليلة الزورق :

قلت والبدر حالم والدرارى
ذاهلات والكون وسنان صاح
يا رجاء القلب الجريح ومازال
أما آن أن تداوى جراحى
ب ظماء إلى حديثك عذبا
واشتياق لوجهك الوضاح

كذلك يجد المؤلف نماذج شعرية أخرى للشرنوبى والهمشرى ، والسحرتى وهو يرصد موقف شعراء هذه الفترة جميعاً من الوحدة الفنية والتجديد فى القافية واستخدام الصور المستمدة من الأساطير ، فإذا نحن بعد ذلك أمام مجموعة من الشعراء الذين يعزفون لحناً واحداً متناسقاً .

ورغم هذه الدقة الشديدة فى الإحصاء التى تبرز الملامح المشتركة عند الشعراء جميعاً ، فإن المؤلف - ربما بسبب غموض الكلمات عند الرومانسيين - يقسم عناوين الدواوين إلى أربعة أقسام : (١) عناوين مستمدة من الطبيعة . (٢) عناوين مستمدة من الأساطير . (٣) عناوين مستمدة من ذكريات الماضى . (٤) عناوين مستمدة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من فن الغناء فلا يستقيم له هذا التقسيم حيث يجعل من العناوين المستمدة من الأساطير مثلا ديوان محمود حسن إسماعيل « أين المفر » وديوان يوسف خليف « نداء القمم » ولا أعرف ما الذى أضافه هذا التقسيم المتعسف للكتاب ، وأين الأسطورة مثلا فى جملة مثل نداء القمم أو أين المفر ؟

ولكن الكتاب رغم هذه الملاحظات الصغيرة كتاب جيد حيث يذكرنا من جديد بهؤلاء الشعراء الذين كدنا ننساهم ويبرز جهودهم فى تجديد القصيدة العربية وتطورها .

القاهرة : عبد الله خيرت

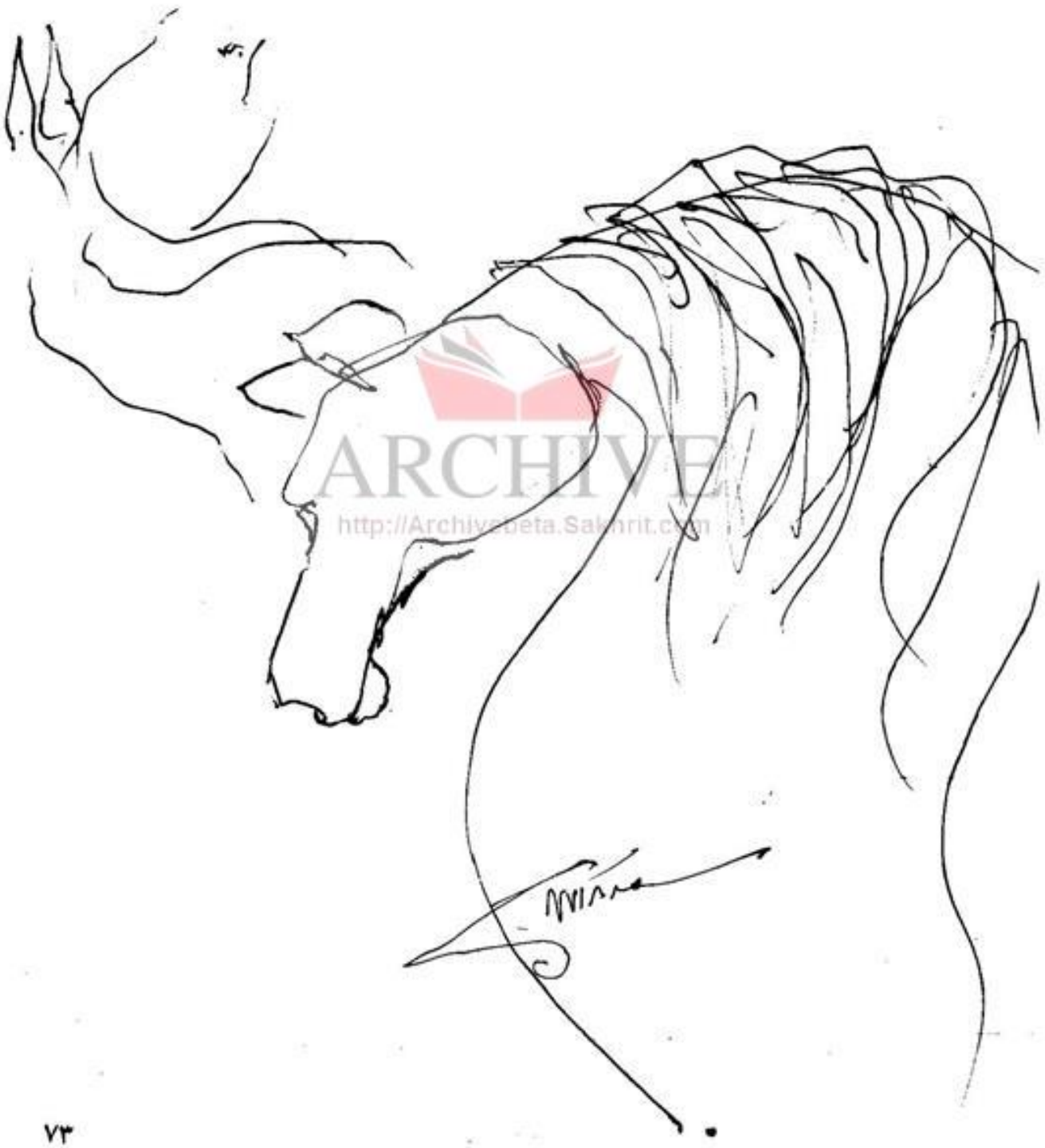

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد كمال محمد

قصة

التى جاءت فى الليل

السقف كله استحال خروقا تنزف الماء . . لم يجد بدا من نفض الغطاء عنه ، بعد أن تبلل . . ونفذت البرودة تلسع عظامه .

عاد من جديد يقبع فى ركن السرير الضيق ، شاخصا بعينيه إلى السقف ، يركبه الهم ، كيف تكون ليلته . .

القطرة فوق خشب السقف فى أول الليل زحفت كدودة . . ثم قبل أن تعبر من ركنها بدأت تتلوى كثعبان مخيف لتصل إلى الجانب الآخر . . فيما كان خارج الحجرة يفح بالمطر الهاطل .

حين ثقل الرذاذ فى البداية ، استحال الليل الساكن فى الشارع الخالى سوادا ، بعد ما سُحب التيار الكهربى ، كالعادة فى تلك الليالى ، توقيا للخطر فى شتاء المصيف بأسلاكه التى لا يحجب أغلبها البناء . .

مع قصف الرعد سمع طرقة الباب ثم تلتها أخرى ، قبل أن يقفز من السرير فى دهشة .

حملق فى وجه المرأة ذاهلا ، فلم يسمعها ، كأنما الصوت يأتى من بعيد ، تلقى التحية . فقط من حركة شفتيها عرف . . ثم كلمة قصيرة آسفة للمجىء فى هذه الساعة ، نطقتها ولم يجب بشىء . . عندها استعاد نفسه فانتبه إلى وقفتها تتوسط الباب ، وخلفها لسع الثلج وفح الريح . . وكتفيها المبللين . .

همهم معتذرا ، ثم استدار بحركة سريعة ، فحمل الكرسى ، من ركنه . . وعاد وهو يمسح عن قعدته الماء يهمهم بالاعتذار بينما يكتم إحساسه بمعابثة أشباح الليل ، فى حين ود أن يقذفها بسؤال ، أحقيقة هى التى جاءت ؟

تطلعت المرأة إلى السقف ثم إلى وجهه . . قالت :

- «فاجأنى المطر فى الطريق» . .

إلى . . ثم آسف . .

تأملته للحظة فأغضى . . قدم لها الكرسى وقال :

- «تفضل»

سألت :

- «وأنت ؟» . .

فى ابتسامة مغتصبة قال فى حرج :

- «ليس غير السرير . . المبلول . .»

طوى الخشبة وجلس على الخشب الذى لم يبتل . .

- «معذرة» . .

قالت مبتسمة :

- «أنت الذى تقولها ؟ . . فاجأتك بزيارتى . .»

قلب كفيه صامتا . . ثم أدار عينيه حوله :

- «حجرة على قد الحال . . سكنتها بصعوبة» . .

قالت مهونة :

- «لا بأس بها . .»

- «لم أتوقع فى الحقيقة أن يطرق الباب أحد» . .

ثم :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- «أصحاب العشش فى الشتاء لا يطمئنون للأغراب أمثالى»

ابتسمت برقة وقالت :

- «لأن كسبهم الكثير فى الصيف يغنيهم عن تأجير العشش لأحد» . .

نهض قائلا :

- «سأحضر الشاى» . .

قالت :

- «أشكرك . . شربت منه كثيرا اليوم» . .

توقف عند مدخل المطبخ وعاد . . ثم فجأة حدق فى ثوبها . . استبان له شىء . . قال :

- «هذا الثوب . . ؟»

رفعت عيناها إلى وجهه باسمة . .

قال بدهشة :

- «أنت . . أمس ؟»

- «أنا . .»

- «فى السكة . . قرب محطة الأتوبيس»

أو مأت لائذة بالصمت . .

حاذاها هناك ماشية على مهل . . شىء ما جعله يلتفت وراءه عندما تجاوزها بمسافة . . فى حركة فجائية انحنت تحمل حقيبتها من يدها للأرض ، مائلة بوجهها ناحيتها فلم يتبينه جيدا . . للحظة هم أن يرجع ليحمل عنها الحقيبة ، لكن يديه كانتا مشغولتين بما يحمل . .

- «داريت وجهى حتى لا تعرفنى . . وكنت أخاف أن تعود لتحاول حمل الحقيبة . . إنى أعرفك !» .

انسرب الألم الحارق تحت جلده . . كاد أن يصيح فى وجهها «أحقا تعرفيننى ؟! . . لم إذن ضيعتنى» . . لكنه مضى ينظر إلى ملامحها التى يكسوها الحزن لا يدرى من أين يجىء . . عبر الحجرة بخطوات لا إرادية ، ثم توقف . . فى الحال ترقرق حزن رقيق بدأ يتثال دافئا فى صدره كدم جرح . . ونبض قلبه بشوق لاهف ، كأن الأيام تعاوده بأحلامها . . ثم وكأنما هبط إلى أعماق نفسه انطفأ الشوق ليحل مكانه الألم الحارق من جديد .

الطريق تجاه بيتك القديم أجوبه مرات ، دون أن أجرأ على الصعود . . كانوا يقلبون المدينة بحثا عنى . . والحذر مطلوب . . فقط تمنيت أن ألقاك للحظة فى الطريق . . لأن أحبك ، وإن بدا المصير غامضا ، يتوجب علىّ أن أكون الفارس الشجاع . . هل أقول لك شيئا عن الأيام المخيفة التى واجهتها ؟ . . ويأس القلب المرير وهو ينشد الانعتاق . .

سمع صوتها كأنما يأتى من البعيد .

- «هل ضايقتك بزيارتى ؟»

غالب رجفة صوته وهو يسألها :

- «ولم هذه الزيارة ؟»

تراجعت قسوته ، وأحس كأنه ندم لقولها . . فيما خفضت رأسها ولاذت بالصمت :

لان صوته وهو يقول :

- «غريب ألا أسألك . . من أول لحظة»

ردت بصوت منخفض :

- «ما كنت أعرف الجواب»

رفعت وجهها للسقف والقطرات عالقة به بعد أن توقف مطره . .

عاد يجالد نفسه ليقول :

- «كم من السنوات . . لم ير أحدنا الآخر ؟»

حولت عينيها تنظر للبعيد . . ثم التقت العينان ثانية بوجهه . . «كنا متحابين» . . قالتها عيناه . . الحجرتان المتجاورتان فى مبنى العمل ورفاقنا هناك . . الأقارب . . الكل يعرف . . ولم تكن الخزانة الذى فى حوزتك ، تحتالين لتأخذى منه ورقة مزورة . . لجراحة القلب . .

قالت يائسة وعيناها مشتان على وجهه :

- «تلومنى . .»

أشاح بعينيه . . عذاب السجن . . وضياع السنين . . والأبواب المغلقة . . والحقد الساهر معه . .

أطلت نظرتها على حلم بعد مع الزمان . .

أما أنا فنسيت أحلامى . . كأنى أنتظر فى صبر لم أملكه قبلا نهاية دنياى . .

تأمل فى عينيها أمارة الداء الذى تشكوه منذ عرفها . . ودائرتان بيضاوان

- ربما هى ء له فى الضوء الباهت ــ تكسوان خديها الخاليين من المساحيق . .

فيك أشياء طيبة كانت تشدنى إليك . . ثم ذُبح قلبى بالحب الصادق الذى فقدته . .

- «ما حالك ؟»

ابتسم فى كآبة :

- «كما ترين . . أعيش انكسار الزمن»

تطلعت إلى وجهه فى أسى . . قالت مترددة خفيضة الصوت :

- «لماذا . . »

حين لم تكمل نظر إليها متسائلا :

مالت بوجهها ناحية أخرى :

- «رأيتك الصبح فى مسكن مهندسة الميناء . . »

كاد يتهاوى . .

آه . . وبالأمس كيس الأرز الثقيل الذى عاقنى عن حمل حقيبتك ، ولفافة اللحم وسلة الخضر . .

قالت :

- «إنها ابنتى التى جئت لزيارتها . . »

لاذ بالصمت متضائلا . . ثم قال :

- «هل ساءك ما رأيت ؟»

- «أوجعنى . . »

دون أن ينظر نحوها لمح فى عينها ما يشبه دمعة ساهمة . .

قال :

- «ليس بالإمكان ما هو أفضل . . »

ثم أضاف بانكسار :

- «اشترى لها الأشياء من قرية البر الثانى . . تربى أحيانا من حمل شكائر الأسمنت . . »

سمع صوتا كنهنهة قلب يبكى . .

أدار وجهه :

- «لم تعد ساقى تساعدانى على التحمل . . منذ كسرت بالسجن فى حادث حريق . . »

هزت رأسها بقوة تنفض عذابها . .

- «فديتنى بنفسك . . كأنك مزوّر الورقة . . وليس أنا» . .

قال مستكينا :

- «مضى زمن الحقد الذى عشته . . ولم يعد على إلا البحث عن الرغيف» سمع نواح الريح فى هبوبها المتصاعد . . دار فجلس على خشب السرير . .

راح يرقب بياض الدائرتين . . قبلا كان الوجه شاحبا ، يجتذب شفقته ، كجلده الأصفر لفراغ البطن الذى لا يظفر بغير القليل . . كان الراتب بالكاد يسد ثغرات العيش بما يكفى لكى لا تنقطع مسيرة الأنفاس . . وحين تصدى يدق صدره مواجها بجريمة لم يفعلها كان يعتل الخدعة . . هل سمعت عن شىء كاللاشىء . . عن حى كالعدم . . انظرينى الآن أتكوم حول نفسى . .

- «وأهى الوحيدة . . منه ؟»

همست بعد فترة :

- «نعم . . »

- «وحالك . . معه ؟»

لم يستغرب موجة الحقد التى غمرته وهو يسألها ، ثم انجابت . . لكنه تهرب من نظرتها الكسيرة قبل أن تقول بصوت متباطىء :

- «ذهب . . من سنوات . . »

سمع سقوط المطر ثم انهماره . .

نهض فوقف بجوارها يكاد يلتصق بها ، كأنما ليحميها إذا ما سقط ماء السقف . . ولم يقو على مقاومة نفسه لتأمل وجهها الذى بدا الآن شمعيا . . ثمة أشياء كان لها مذاقها فى أيامه التى تصورها معها . . تلك الأشياء مضت حين لم تقم تلك الأيام . . فهل جاءت لتبعثها بعد الموت ؟ . . أم لتوقظ روحه ليولد من جديد ؟

سأل باشفاق :

- «هل أنت مجهدة ؟»

ابتسمت كأنما تتدارى فى ابتسامتها :

- «لا أحتمل التعب . . »

تطلع فى وجهها متسائلا فى صمت . . ثم قال :

- «مشيت كثيرا بالطبع لكى تجىء . . المشوار طويل من مساكن مهندسى الميناء . . »

ثم أضاف كأنما يكتشف شيئا لتوه :

- «كيف جئت فى هذا الوقت ؟»

قالت :

- «لا أعرف . . ربما فى هذه الناحية الآمنة . . لا يفكر المرء فى تأخر الوقت . . »

صمتت ثم أردفت :

- «منذ رأيتك وأنا أقاوم الرغبة فى لقائى بك . . كان على أن أجىء . لم أستطع مقاومة هذا الإحساس . . »

أطرق وصمت بينما مضت تقول :

- «كنت سأجىء فى العصر . . لكنى عدت من دمياط متأخرة . . كنت مع ابنتى نتفرج على الأثاث هناك . . »

رفع رأسه وقال :

- «أعرف أنها مخطوبة . . »

قالت :

- «هددنى الموت فى ولادتها . . »

أضافت فى استكانة حزينة :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- «كانت جراحة القلب فاشلة . .»

حبس آهة متوجعة . . لم إذن كان ذلك كله ؟

حول وجهه ناحيتها بنظرة مصلوبة . . يخاف أن يهوى إلى الأرض غائب الوعى . .

قالت فجأة :

- «لن يمكنك البيات فى هذه الحجرة» . .

كالمخاطب نفسه قال بغير وعى :

- «كثيرا أجد نفسى فى دنيا غريبة» . .

نظرت إليه ثم سألت فى ألم :

- «هل كنت ظالمة ؟»

حدق فيها مصلوب الملامح . .

خفضت نظرتها :

- «ما كان يجب أن أسأل . .»

سكن السقف فلم يعد غير تساقط الماء قطرة قطرة . .

كأنما يعود إلى نفسه هز رأسه مسامحا :

- «وماذا كان يفيدك لو انتظرتنى . . بل لم الانتظار أصلا . .»

بدا صوتها متوجعا بنبرة الاعتراف والتوسل وهى تقول :

- «لم أحتمل نظرة المحبين وهمس الكارهين . . كانوا يعرفون الحقيقة . . يهاجم البعض شذاتنا . . والأخير جزاء معيرا . .»

لحظ بياض الدائرتين يتسع ليوشك أن يكسو وجهها . .

حدق فيها منشغلا بالقلق . . سمع صوتها يقول :

- «أعطيت يدى للرجل الذى قابلنى . . لأهرب مسافرة معه» . .

نهضت فجأة :

- «لكنى لن أتركك هنا . .»

هز رأسه دون أن يقول شيئا . . انفجرت السماء برعد يهز الكون . .

قالت بإصرار :

- «سأدبر لك مكانا للبيات هناك . .»

عاد يهز رأسه رافضا :

- «لا يجوز !»

- «دع الأمر لى . .»

قبل أن يرد بكلمة انغلقت عيناها فجأة ، مالت برأسها لجنب ، ثم تهاوت أمامه . . تلقفها بين ذراعيه كأنما الصرخة فى صدره . . فيما انفرجت شفتاها للحظة ثم انطبقت مع جفنيها . .

والمطر العائد حادا فوقه يلطم رأسه ، كأنما السقف ينسحق تحت وطأته . . فرد الملاءة المبلولة فوق الجسد الساكن . . ثم انقلب بالحقيبة وأقعى فى جواره . . منكمشا يرتعد . . دون انتظار لانفراج الليل .

محمد كمال محمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة

العجوز والسكين

الشمس تلفح الخلاء فتتشقق الأرض أفواهاً جافة الشفاه عطشى ، وتفر نسمة الهواء إلى ظل سقيفة المقهى الصغير .

صاحب المقهى يلقى بالتحية على الرجلين ، يرش المياه حول بقعة الظل ، يقول الممتلىء القمحى :

ـ أتذكر أول مرة جلسنا فيها هنا ؟

فيقول النحيل الأسمر :

ـ كان ذلك منذ عشر سنين . . . بعد تعارفنا بأيام .

ويقف العجوز أمام نصبة الشاى ، يغسل بطيخة صغيرة داكنة الخضرة ، يمسح السكين بطرف جلبابه ، وتلمع السكين فى يده . ويضع النحيل الأسمر ساقاً على ساق ، ويمط شفتيه :

ـ كانت أيام !

قال الممتلىء :

ـ ابنتى الصغيرة مريضة .

ـ هل ذهبت بها إلى الطبيب ؟

ـ ذهبت بها أمها ، قال لها . . . ماذا فعلت فى موضوعك ؟

ـ أخذها الجزار وانتهى الأمر ، قالت أمها إن مرتبى لا يسقى ماء

بدت شفات البطيخ الحمراء ندية ، نادى العجوز :

ـ تفضلا

ويقترب من الظل الشاب المعتوه برأسه الصغير وبدنه الممتلىء ، وشفته الكبيرة المتدلية ، ينظر إلى الرجلين ، يبتسم ويخفض رأسه ويهزها ، ويتجه إلى العجوز ويقف إلى جانبه قال الممتلىء :

ـ فى الأتوبيس حدثت أكثر من معركة . . سرق لص نقود عدد من الركاب ، ولم تمض دقائق حتى صرخت فتاة من رجل مسن يلتصق بها

قال الأسمر :

ـ منذ يومين خاطر شابان ثلاثة فى الأتوبيس امراة عجوزا وسرقوا كيس نقودها ، وعندما تدخل واحد من الركاب وخزه أحدهم بمطواه فى جنبه فأغمض عينيه ، وهرب الثلاثة تحت أعين الركاب .

جف الماء الذى رشه العجوز ، واختفى فى الشقوق ، وظلت الشقوق ظمأى ، نبتت حبات العرق على جبين الممتلىء ، والقمحى ، قال :

ـ الحر لا يطاق !

قال النحيل الأسمر :

ـ صيف لم نعرف مثله منذ سنين

أخذ الشاب المعتوه يقضم شقة البطيخ الحمراء ، ويبتسم

قال الممتلىء :

ـ لم آخذ المكافأة هذه المرة أيضا ، أخذها الآخر للمرة الثالثة .

قال الأسمر :

ـ لابد أن تتصرف مع رئيسك بأية طريقة ، قدم فيه شكوى إلى المدير العام .

ـ لا فائدة من أية شكاوى .
ـ يمكن أن يظل رئيساً لك حتى تحال إلى المعاش
ـ وماذا يمكن أن أفعل ؟
قال النحيل الأسمر :
ـ احتد عليه . . هدده ولو مرة واحدة
ـ سيحيلني إلى التحقيق ، ويسوء الأمر
وابتعد الشاب المعتوه وهو يهز رأسه
واقترب كلب ، توقف على حافة دائرة الظل ، مسح الأسمر العرق من جبينه ، نظر الكلب إلى شقات البطيخ وهز ذيله ، نظر الممثلء إلى الكلب وشقات البطيخ . . .
قال الأسمر :
ـ كلما رأيت الجزار بباب دكانه يأكلني الغيظ .
تململ الممثلء ، في جلسته ، قال النحيل :
حاولت أن ألتقي بها وفشلت كل محاولاتي
أقعى الكلب ، وهز ذيله ، قال الممثلء :
ـ كل مشكلة ولها حل
ابتسم الأسمر ابتسامة صغيرة :
ـ إذن حل مشكلتك مع رئيسك
ـ الأمر يختلف
ـ لو أنك أكثر جرأة لتصرفت معه
ـ أنا . . أنا لا تنقصني الجرأة
ـ أنت تخشى مواجهته .
قال الممثلء :
ـ قلت لك . . . . دعنا من هذا الموضوع .
ـ لا تهرب من الحقيقة .
وشوح الممثلء بيده :
ـ واجه أنت مشكلتك.
ـ مشكلتي أنا تختلف .
ـ هكذا أنت دائما تغالط في كل شيء
وارتجف النحيل :
ـ طيب . . بس . . بس
قال الممثلء وهو ينتفض :
ـ لا تحادثني بهذه الطريقة .
ـ طيب . . خلاص . . خلاص
ـ قلت لا تحدثني بهذه الطريقة
ـ هذه طريقتي
ـ طريقة وقحة !
ـ أنت جبان . . . منذ أن عرفتك وأنا أعرف حقيقتك
وصفع الممثلء القمحي النحيل الأسمر بظهر يده .
وانقدت عينا النحيل ، هب واقفا ، وسرعان ما انقض على الممثلء وأمسك بخناقه . تشابكا ، وقف الكلب ونبح نباحاً مشروخا ، وانهال كل منهما على الآخر يضربه بغل . أسرع إليهما العجوز ، حاول أن يباعد بينهما فانفلت الممثلء ، التقط السكين وأشرعها بيده ، والتمعت السكين التماعا حاداً ، وسرعان ما انبثق الدم . . . .

القاهرة : رمسيس لبيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بهيجة حسين

قصة

حلم

رفعت عينيها عن الورق المتراكم فوق مكتبها ، تأملت البخار المتصاعد من فنجان القهوة . . استنشقت رائحة البن المختلطة برائحة التبغ المتبقية من احتراق سيجارتها .

انتبهت للصوت الواقف بجوارها ، وضعت السيجارة على طبق الفنجان ، تأملت الصوت ، رجع نبراته ارتد إلى أعماقها . . عشر سنوات ، يتردد كالحلم البعيد الزمان والمكان ، وهي وهو تحولا إلى أطياف . . تشبثت بالطيف الذى عاد . . ودعته للجلوس .

اقترب الليل من الانتصاف ولم تهدأ الآلام التى بدأت تزحف من قدميها إلى ظهرها وبطنها ، بدأت خفيفة وتحولت إلى سياط تفتت عظامها ، وضعت الوسادة فى فمها وهى تتلوى على السرير ، لم تفلح المسكنات ولا أكواب النعناع والشاى واليانسون فى إسكات الألم . . ولم تفلح الوسادة فى كتم صرختها التى اندفعت مع الدم الساخن الذى تفجّر بين فخذيها ، كوّرت أطراف ملاءة السرير وحشرتها أسفل بطنها ، ضغطت بكلتا يديها كمن أرادت أن تزرعها فى أحشائها . . شربت الأنسجة دمهـــا وأغرقت أصابعها . . قفزت من فـــوق السرير ، شعرت أن الحياة تتسرب من بين فخذيها دما تتشبث ببقائه فى أحشائها . . لم تفكر فيما ستفعله ، فقط أرادت أن تخرج من بين جدران وحدتها بالاستنجاد بمن ينقذها أو حتى بالموت فى الشارع بين البشر . لم تحتمل فكرة أن تنزف الحياة وحيدة ، أن تموت ويدها خاوية من يد إنسان تصحب دفأها معها حتى إلى القبر . . طرقت الباب المجاور لشقتها ، فتح لها طاردا بقايا نوم لم تمهله كثيرا قالت له : استدع لى الطبيب .

وكان قراراً داخلياً قد قررته : ألا تسقط إلا فى وجود انسان ، أن تقاوم الألم ونزيف الدم طالما هى وحيدة . سمحت للضعف الذى اعتقد بها أن يطغى على مقاومتها وسقطت على الأرض حملها إلى حجرة نومه . . فرد الغطاء عليها وتحسس وجهها وجده بارداً لا أثر لدفق الدم والحياة فيه . . دلّك يديها بقوة فتح أزرار قميصها ودلّك صدرها لم يحس نبضات قلبها ، نفس واهن يصعد ويهبط ببطء كان صلتها الوحيدة بالحياة .

استدعى أحد الأطباء من أصدقائه ، جهّز كوباً من اللبن الدافىء ، وضعها على المنضدة الصغيرة بجوار سريره ، رفعها قليلا ضاما رأسها إلى صدره ، أحكم الغطاء مرة أخرى وأمسك بكوب اللبن ووضعها على فمها ، حاولت إزاحتها وإزاحة يده ولكنه منعها بلل قطعة قطن بالعطر ــ كان من الأنواع التى تستخدم بعد الحلاقة ــ مسح وجهها وعنقها ، تحركت قليلا ولكنها لم تفق .

كانت تتألم ولكنها لم تصرخ . . لم يتوقف الدم ، ولكنها لم تخف إحساسا بالطمأنينة والأمان ملأ نفسها . . دفنت رأسها فى الوسادة وبكت . . جلس بجوارها على طرف السرير وربت على كتفها .

وصل الطبيب ، أجرى فحوصه عليها ، أعطاها حقنة

وبعضا من الأدوية . . خرج معه إلى باب الشقة سأله عن حالتها ، قال له إجهاض .

كانت تئن وتتمتم بكلمات غير مفهومة . . مسح بيده على شعرها ، تأمل وجهها النائم . . رغم رعشات المرض وشحوب مقاومة الموت الذى ظلله كان كوجه طفلة ما زالت تعبث فى الحياة . . كان الألم أقوى من أن تخفيه غيبوبتها .

كان يراها أحيانا أمام باب شقتها وفى خروجها وعودتها تحمل حقيبة كبيرة وتحمل كتبا بين يديها ، لم يحاول معرفة اسمها ، كانت جارة ككل الجيران فى العمارة القديمة التى مات من كانوا يعرفون بعضهم من آباء وأمهات فيها . تذكر قفزاتها السريعة فوق درجات السلم تحمل جسداً نحيلا وقوة وتحدّيا كأنها فى مواجهة دائمة وصراع مع الحياة . . أمسك بيدها وضغط عليها كأنه يضغط على الحياة الدابة بوهن بين شرايين اليد الصغيرة التى استسلمت لدفء يديه الذى حرك قدرتها على أن تقول له « لا أريد أن أموت ! » اقترب من شفتيها ، أراد أن يمتص الموت من روحها ويمنحها من داخله رحيق الحياة . . سرت أنفاسه التى اقتربت من وجهها دفئا أغمضت له عينيها وراحت فى نوم هادىء .

وضع إناء الزهور على المنضدة ورتب كتبه وحمل ملابسه الملقاة على الأرض ووضعها فى الدولاب ، فتح النافذة بعد أن أسدل الستائر . . ربت على وجهها حتى أفاقت ، قال لها : موعد الدواء . . وضع يده خلف كتفيها ، رفعها برفق ووجه أكثر إلى جوارها ، شدها إليه برفق ووضع الدواء فى فمها وكوب الماء على شفتيها . . انحنى قليلا حتى يتمكن من وضع الكوب على المنضدة وأحاطها بذراعه ضاما إيّاها بقوة حتى يجنبها الحركة ، نبض الحياة فى قلبه امتد إلى جسدها ساخنا تمنت لو تدفن وجهها فى صدره . . جبروت القوة الواهنة التى أزاحت شبح الموت أعاد لها قدرتها على مواصلة التحدى . . قالت له : الآن أستطيع أن أنهض فقد تحسنت حالتى .

لم يستطع أن يقول لها ابقى معى ولم تستطع أن تقول له أبقى معك .

أعادها بسؤاله للأوراق المكومة فوق مكتبها ودخان سيجارتها ورائحة البن ــ هل يوجد شىء آخر تحتاجينه ؟ . . ثبتت عينيها فى عينيه لم تجد فيهما إلا السكون . بحثت عن بقايا عشر سنوات ، بقايا ليلة الموت والحياة . . بقايا إجهاض ولدت بعده بين يديه .

شعر برجفة تسرى فى كيانه كأن جمرة ملتهبة اشتعلت فى جسده . . بصوت ضعيف كأنه آت من عمق سنوات عمره قال لها : أنت ؛ بمرارة اختزلت ألم السنوات قالت له : نعم أنا ولم تعرفنى ! . قال لها :

أين كنت ؟

قالت : كنت أبحث عنك .

لملمت أوراقها ووضعتها فى الأدراج ، وضعت سجائرها فى حقيبتها . . اخترقت الصالة الكبيرة ، تقدمت أمامه ، لم تلق التحية قبل أن تغادر لعشرات العيون الجالسة خلف المكاتب . . أمسكت بيده قفزت به درجات سلم مبنى المصلحة الحكومية التى تعمل بها . . وصلا إلى بيته صعدت السلم بسرعة حتى كاد يقفز قلبها من بين ضلوعها .

قالت له : لم أكن أتصور أن أعود إلى هنا مرة أخرى وإن كنت لم أتوقف عن الحلم بالعودة إليه . راحت تبحث عما تركته بين الجدران وفى ثنايا الغطاء كانت تبحث عن بعض أجزائها

قالت : نفس الأثاث ولكنه مهالك .

قال : عشر سنوات قادرة على إهلاكه .

من داخلها كانت تتفجر رائحة العطر الذى مسح به وجهها منذ عشر سنوات قفزت من فوق المقعد ، اتجهت إلى الحجرة وعادت ، قالت له : تصورت أنك لم تغلق زجاجة عطرك ! ولكن التى وجدتها بالدولاب نوع آخر .

قال لها : فى العشر سنوات تبدلت أنواع العطور عشرات المرات عن أى نوع تبحثين ؟

سألته : أين كنت ؟ قال لها : لم أترك مكانى إلا بعد أن فقدت أثرك . . قالت : سافرت فى اليوم التالى ، عملت كثيرا ودرست ، وعشت أبحث عنك فى كل ما أفعل وفى كل من ألتقى بهم ، كنت أعيش بما عاش منك داخلى ، كنت أفتش بين البشر عن شبيه لك ، مجرد شبيه أتعلق به إذا وجدته وأرفضه لأنه ليس أنت . . كنت القدر والإرادة وكليهما معا . عشت بدونك ولم يفارقنى وجودك لحظة واحدة . . لم أشعر بلوعة الشوق أو ألم الندم لأنك كنت معى . . ثم عدت وطرقت نفس الباب ولكنك لم تفتحه لى . تركت المكان إلى آخر لأعيش قدرى معك بإرادتى .

قال : طرقت بابك فى الصباح فلم يرد علىّ أحد ، سألت عنك قالوا حملت حقائبها ورحلت . . انتظرت أياما وشهورا وسنوات ، فى كل صباح أطرق الباب ولا يجيب أحد . . كنت أسأل نفسى ماذا لو احتاجت لى وهى فى أى مكان ؟ كنت أشعر أنى أضعتك من بين يدى ، كان لابد أن أمنعك من ترك بيتى . . كان عذابا مريرا يعشش داخل وأتركه ينمو كأنى أكفّر

عن ذنب ارتكبته وكان ذنبي هو أنت ، حملت ذنبي ورحلت لأبحث عنك .

ضغط على يدها ، رفعها إلى شفتيه قبّلها . . لف ذراعه حول خصرها . . امتلأ قليلا . . دفنت رأسها في صدره وضعت أنفها حيث ينبض قلبه تبحث عن رائحة الدم الدافق منه . . امتلأت رئتاها برائحة عطره الجديد . . اقترب بشفتيه من شفتيها . . أصبحت أقوى من أن يمنحها رحيق الحياة . ضغط بصدره على صدرها لافًا كتفيها بذراعه . . لم يحس نبض قلبها الواهن ، أحس جمرات متقدة تتفجر من صدرها تغلغلت أصابعه بين خصلات شعرها تفجر عرقا ساخنا بلل أصابعه . . ضغط على أجزائها بللّ ما تبقى له من قوة واستجابت لما تبقى لها من الحلم . . عرق بارد بلل جسديهما . . قشعريرة سرت في جسدها عندما أحست يدها لزوجة العرق . . ملأ الخواء حلقه بعد أن فتح عينيه . . لم تكن هي ولم يكن هو . . مدت يدها لطرف الملاءة ، غطت عريها . . لملمت أشياءها ألقت آخر نظرة على نفس الأثاث الذي تهالك وعلى العطر الذي لم يوجد إلا داخلها ، وعلى الرجل الذي لم تجده أبداً .

القاهرة : بهيجة حسين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد الوهاب داود

قصة

رفض

جلست وحيدة أستعيد أول لقاء كان لنا . .

كنا - عماد وأنا - مدعوين فى ندوة اعتاد أن يقيمها أحد الأدباء الكبار فى مكتبه ، ورغم أن عماد يعمل طبيبا وليس له علاقة بالفن أو الأدب ، فإنه كان بالمصادفة فى هذه الندوة بدعوة من صديق أديب ، فجاء غير متحمس يقول لنفسه بأنه سوف يشاهد كبار الكتاب وهم يتحدثون . . على ظن أن فى هذا شيئا من الخبرة والمتعة .

جلس عماد - الطبيب المشهور - على شفتيه ابتسامة مريحة ، يتابع الحديث لم يشترك فى مناقشة واحدة ، وتنبه صاحب الدعوة الى صمته الذى كاد أن يتحول الى عزلة فصرف الحديث فجأة ناحية الطب ومشاكله . . وتحدث عماد فى اقتضاب ووضوح ، وكأنه يثبت أنه ليس عاجزا عن الكلام إذا استدعى الأمر ، وإن كان بطبيعته لا يميل إلى الثرثرة . .

كان يبدو رزينا ، فى الأربعين من عمره ، أنيقا ، زاده الشيب مهابة ووقاراً ، وكان واضحا كلما تلاقت عيوننا ، أنه يأنس بوجودى . . رغم أننا لم نلتق قبل ذلك . .

جذبه حديثى عن علاقة الرياضة بالأدب ، وعندما قلت إن العامل المشترك بينهما هو التوازن ، فأسرع يقول موافقا :

ـ تقصدين التنظيم . . أليس كذلك ؟

وارتفع صوت يقاطع ساخرا :

ـ بل إنه الحظ . . والإرادة قبل كل شىء . .

ولكن أحدا من الموجودين لم يلتفت إليه . . ربما لأن الفكرة ذاتها لم تكن تستحق مزيدا من القول . .

ثم اقتضت الضرورة ، بعض التنقلات وتبادل المقاعد بين الحاضرين ، تبعا لاحتدام النقاش ، وميل الأدباء إلى المناقشات الثنائية ، فوجدت نفسى فى النهاية بجانبه . . الطبيب المعروف . . عماد الحلاوى . .

كنت لبلتها أرتدى بلوزة خفيفة ، ذات خطوط متوازية برتقالية اللون ، وكنت أعلم أنها لا تتناسب كثيرا مع بشرتى السمراء الداكنة ، عينا الطبيب تتأملان بلوزتى فى اهتمام ، وكأنه يحصى عدد خطوطها . .

كم كانت دهشتى عندما انتهز الطبيب فرصة التهاب المناقشات بين الأدباء ، فقال لى فى صوت رقيق ، هامس ، لا اضطراب فيه :

ـ عندى لك « ايشارب » يناسبك . .

وكانت مفاجأة لى . . شملنى الاضطراب وأنا أشكره . . وانتابنى الفزع من نفسى . . كيف لم أغادر الندوة بعدها على الفور ؟ . . وكيف ظللت بجواره حتى النهاية متوترة . . نعم . . ولكنى شغوفة أن أسمع منه كلمة ثانية . .

ولم يلبث الطبيب المشهور طويلا ، حتى اقترب منى مرة ثانية هامسا :

ـ عيناك خطيرتان . . هل تدرين ذلك ؟

أجبته فى ذهول ، وأنا أتماسك من الدهشة

والاضطراب :

ـ هذه أول مرة أسمعها !

قال مبتسما ، وكأنه يربت على كتفى :

ـ لا شك أنها من أسباب نجاحك كصحفية لامعة ؟

ولم أفهم ماذا يقصد على وجه التحديد ، فأومأت له برأسى قائلة :

ـ ربما . . لا أدرى . .

وعندما ذهبت بعد ذلك لزيارته فى عيادته ، قدم لى « الإيشارب » وصمم أن يتولى بنفسه عقده على شعرى ، وتركنى ألقى نظرة على مرآى وهو يبتسم لدهشتى ، فقد كنت أبدو فعلا وكأننى فتاة من الغجر ، أو قادمة من أقصى جنوب الوادى . .

سألته فى فضول :

ـ من أين جئت بالإيشارب ؟

أجاب ضاحكا :

ـ من وسط أفريقيا . . حيث كنت فى جولة سياحية . . قالوا هناك إن بالإيشارب شيئا من السحر وانه أحيانا يقوم مقام خاتم سليمان ، فيلبى رغبات صاحبته . .

لم أصدق ذلك ، فسألته فى قلق :

ـ وهل تؤمن بالسحر ؟

أجاب فى حزم :

ـ نعم . . فقد أتى ذكره فى القرآن .

ثم استطرد وهو يتأملنى فى إعجاب :

ـ كأنك فتاة جميلة من وسط أفريقيا . . وقعت فى أسر تاجر رقيق ، حملك إلى هنا . . إلى عيادتى . .

قلت أبادله المرح :

ـ من يدرى ؟ . . ربما كانت حقيقة . . وجئت من وسط أفريقيا من قديم الزمان . .

أوقفتنى نظرة صدق فى عينيه ، كأن ما قلت حقيقة ، وليست دعابة ، فأسرعت أسأله فى فضول :

ـ وهل تؤمن أيضا بالعنصرية ؟

أجاب ضاحكا . . وصريحا

ـ نعم فاللون له تأثيره - حتما - على نفسية الإنسان . . أعتقد من داخل الشخص نفسه ، وليس من خارجه . . دون شك . .

ثم جذبنى فى لحظة خاطفة إلى أحضانه . . وأمطرنى بقبلاته . .

ـ كانت هذه هى بداية حبنا . . عماد وأنا . .

ـ حذرتنى صديقة مخلصة من التمادى فى ذلك الحب . . سألتنى . . أى أمل لديك ؟ . .

عماد رجل متزوج ، وله أولاد ، ومن يدرى ربما لعلّه يحب زوجته ، ولا يستطيع الاستغناء عنها بأية حال . .

أجبتها فى ثقة وكبرياء . . إننى قد تخطيت الثلاثين ، وإن فكرة الزواج من عماد لم تخطر على بالى لحظة . . صدقينى . .

ولم أكن أقول كذبا . . كان هذا ما ظننته فى البداية . . كنت أعتقد أن الحب الذى بيننا كان يكفى . . لا حاجة بنا إلى الزواج ، إلى تلك المرحلة التى يتحدد فيها مصير الحب .

ـ لم أجد فى نفسى رغبة للاختيار . . فلم أعد حريصة على شىء فى الدنيا سوى حبه . . ورجوتها أن تصدقنى . .

قالت الأيام بيننا . . وسوف نرى .

كم أشعر الآن بالخجل من ذلك الموقف ، وذلك الاعتداد الكبير برأيى ، فالشىء الغريزى الطبيعى هو الدائم ، أما ما هذبته الحضارة فيظل مهزوزا قابلا للتغير أو التحول . .

لم تمض ستة أشهر على علاقتنا حتى أصبحت رغبتى فى الارتباط الدائم اليومى بعماد ، هى كل ما أرجوه فى هذه الحياة ، وأصبح الزواج فى اعتقادى هو المرتبة العالية للحب ، ولن أقول إنه تقييم لصدق الحب . . وتضحية فى سبيله . .

أصبح الحب والزواج عندى شيئا واحدا . . لا فرق بينهما . . كلاهما يكمل الآخر . . لا غنى عنه . . لم يسترح عماد إلى هذا الفكر . .

ورغم ثقافتى قدمت له عرضا عادلا ومريحا بالنسبة له ، وارتضيت أن أصبح الزوجة الثانية كما قبلت أن يتردد على ليلة واحدة فى الأسبوع ، وأن يمضى بقية الليالى مع زوجته الأولى . .

ولكنه رفض ذلك العرض فى حزم شديد . . قائلا فى صراحة ووضوح إنه ليس فى حاجة إلى أن يتزوج مرة أخرى . . وأن ما ينقصه اليوم هو الحب . . وليس الزواج . .

وذهبت إلى صديقتى الحميمة أروى لها ما حدث ، فاستنكرته ونصحتنى أن أبتعد عن ذلك الرجل ، مهما كلفنى الأمر حفاظا على كرامتى . . وأضافت - فى قسوة شديدة - إنها تشك أن عماد يحبنى . . وأنه فقط يستعذب حبى له وخضوعى لرغباته . . وأنه فى النهاية لا يوجد الرجل الذى يستحق أية تضحية . .

سألت صديقتى فى تحدٍّ :

ـ ماذا يكون واجب المرأة عندما تحب ؟

تلعثمت صديقتى . . وترددت . . فأسرعت أقول لها فى زهو :

ـ أن تخضع لمشيئة حبيبها .

صاحت صديقتى فى وجهى :

ـ انى أرفض أن أكون عبدة للرجل .

قلت لها بنفس الصوت العالى ، فى انفعال شديد :

ـ أنت تفقدين أنوثتك بذلك يا حبيبتى . .

لم تكن صديقتى تدرك أعماقى ، فتعرف أننى رهينة أنوثتى اذا أحببت . .

قالت صديقة عمرى فى النهاية :

ـ ستصبحين مضغة للأفواه . . يا حبيبتى .

أجبتها فى تحدٍّ قبل أن انصرف :

ـ لا يهمنى . . ومن يخش على سمعته فليبتعد عنى . .

٢

عدت إلى حبيبى أروى له ما حدث . .

وكم كانت دهشتى - بل فجيعتى - عندما هز رأسه ، دون أن ينظر إلى ، ثم أخرج سيجارته من بين شفتيه . . قائلا . . إن صديقتى على حق فيما قالت ، وإننى يجب - إذا كنت عاقلة - أن أستمع إلى نصيحتها المخلصة . .

سألته فى حزن وخيبة أمل :

ـ هل هذا هو الحب ؟

أجاب فى حزم وجفاء واقتضاب :

نعم

أحسست نحوه بالحنق الشديد الذى يشبه الكره ، ولكنى اعترف أن حبى له قد تضاعف منذ تلك اللحظة ، أحسست بمتعة الهوان كأننى وأنا أرجو اذا قرر هجرى ، أن يرفق بى فينقطع عنى تدريجيا ، إذا اراد وليس مرة واحدة . . إذا كان مبقيا على حياتى . .

ابتسم حبيبى القاسى ، وأجابنى وهو يستدعى الممرضة إشارة مهذبة لى بالانصراف . .

٣

وجاء عيد ميلادى أتممت الثانية والثلاثين . . ومضى على حبنا نحو عامين . .

اشتريت فستانا جديدا غالى الثمن لهذه المناسبة ، من أجل أن أروق فى عينى حبيبى . . وذهبت إلى الكوافير ، ورجوته أن يبذل جهده فى سبيل أن أبدو جذابة كما أتمنى ، فالليلة عيد ميلادى . .

لم يضايقنى أن حبيبى لم يشر - ولو من بعيد - إلى أن الليلة عيد ميلادى . . قلت لنفسى فلأترك له الفرصة ، أن يعتقد بأنه قد نجح فى مفاجأتى . .

وكانت مفاجأة حقا ، فحبيبى لا يذكر تاريخ ميلادى !

عندما ذهبت فى المساء إلى عيادته ، لم يرحب بى . . ولم يكن أمامى مفر أن أذكره بأن غدا سوف أتم الثانية والثلاثين . .

وكم كان قاسيا محزنا أنه اعتذر عن مصاحبتى الليلة ، بحجة أننى لم أخبره قبل ذلك ، حتى يستعد . .

ـ أى استعداد ؟ . يكفينى أن تسهر معى هنا فى العيادة - وتقول لى كل سنة وأنت طيبة . .

قال لى فى حزم :

ـ آسف . . أنا مشغول هذه الليلة

ـ مشغول هذه الليلة ؟

ـ نعم . . مدعو أنا وزوجتى على العشاء .

ـ ألا تستطيع أن تعتذر ؟

أجاب وهو يواجهنى بعينين خاليتين من الحب :

ـ لا أستطيع .

ـ لا تستطيع ؟

أجاب بسرعة وكأنه ينهى الموقف :

نعم . . وكل سنة وأنت طيبة .

وأسرع يستدعى الممرضة ، إشارة لى بالانصراف . . وكأنه تنبه إلى وجودى فقال لى :

ـ سوف أراك غدا .

ومد يده إلى مصافحا :

ـ كل سنة وأنت طيبة

ثم تذكر شيئا ، فأسرع يقبلنى على جبهتى :

ـ تصبحين على خير

لم أرد عليه . . خرجت من عيادته صامتة . . كل شىء من حولى صامت . . كأننى كنت فى حفلة موسيقية صاخبة . . ثم انتهت . . وأسدل الستار .

وفجأة عادت الموسيقى تعزف أكثر صخبا، عندما اصطدمت بزوجته عند باب المصعد وهى فى طريقها الى حبيبى . . الذى باعنى . .

٤

لم أذهب إلى لقاء حبيبى بعد ذلك . . قيدت إرادتى بالحبال ، حتى لايدفعنى الشوق المجنون أن أفر إليه من عذاب الوجد . . كنت انتظر جراح كرامتى أن تندمل ، فأعود إليه مستسلمة

يفيض بى الشوق المجنون ، فيرتخى القيد ، وأسرع إلى التليفون ، فإذا وفقت لمحادثته - وهذا يرجع إليه - قلت له كلاما تافها ، لامعنى له ، مختلفا عما كان يدور فى نفسى . .

كان يتعطف على أحيانا ، ويسألنى فى فتور لماذا لم يعد

يراني ، فأجيبه والحسرة تملأ قلبي ، بأنني مشغولة جدا في الجريدة ، بعد أن أسند إلي مهام جديدة . .

أكاد أراه على البعد وهو يكلمني بالتليفون ، كأنه على شاشة التليفزيون ، يعذبني ضيقه بي ، وملله ، ورغبته أن تنتهي المكالمة في الحال ، فيساعدني الله وأختم مكالمتي ضد إرادتي ، دون إجابة لسؤالي الحائر الحزين . . فلم تكن عندي الشجاعة الكافية أن أسأله لماذا زهد فيّ فأطلق حريتي ؟

ولم أعد أروي لصديقتي شيئا . . عندما كانت تسألني عن احوالي العاطفية ، كنت أجيبها في اقتضاب ، بأنها عادية ، وأنه لاجديد في حياتي . . ثم أنتقل إلى حديث آخر . .

كنت أعرف أن صديقتي قادرة على راحتي ، إذا شكوت لها حالي ولكني أخشى إخلاصها وصراحتها ، سوف تصدمني في عواطفي ، ستقول لي إن هناك رجالا يهربون من المرأة التي تفرط في كرامتها وحريتها ، أكثر ممن تفرط - ربما - في شرفها . .

ورغم تلك القطيعة التي كانت بيني وبين حبيبي ، لم أشعر نحوه لحظة بالكره ، كانت ذرات الحب تتوهج داخلي لاتريد أن تخبو . .

كنت أتتبع أخباره ، فإذا قهرني الشوق تحايلت لأراه دون أن يراني . . كنت أتفرس في ملامحه ، في انتظار أقل رغبة ، أخفت نداء يدعوني أن أعود إليه من جديد .

٥

سافر حبيبي إلى أوربا في الصيف ، وصحب معه زوجته وأولاده . . ثم عاد في الفجر بعد ثلاثة أسابيع ، وذهبت أستقبله في المطار ، كنت أتوق إلى رؤيته لحظة وصوله . . ولكني لم أوفق ، تعطلت عربتي في الطريق ، ولم أعثر على تاكسي إلا بعد جهد . . بعد فوات الأوان . .

وعدت يائسة كأنني فقدت نفسي إلى الأبد ، تدور أمي حولي ، تريد أن تسألني عما أصابني ، ولكنها تخشى أن تؤلمني بسؤالها . . فتربت على كتفي قائلة :

ـ قومي نامي . . بكره يفرجها ربنا . .

تناولت تلك الليلة جرعة مضاعفة من أقراصي المنومة . . ولم أكد أنام بعد بجهد . حتى استغرقت في حلم مزعج . . رأيت حبيبي في المنام يسقط فجأة على الأرض ، ومن حوله جمع غفير يساعده على النهوض ، فوقف متثاقلا في صعوبة ، وهو يمسك يده متألما ، ثم رأيته بعد ذلك وهو يدخل إلى المستشفى ، رابطا يده بالضماد . . ماذا جرى ؟ . . حادثة ؟

استيقظت من النوم ، أتمنى لو أني لم أنم ، الصداع كاد يقتلني ، ونظرت إلى الساعة تشير الى الثانية عشرة ظهرا . . تركت الفراش ، وبدون تفكير ارتديت ملابسي على عجل سوف أذهب لأطمئن على حبيبي . . لاحظتني أمي . . سألتني في قلق . . إلى أين واليوم عطلة أسبوعية ؟ . . هل حدث شيء ؟ . . أجبتها في ضيق صدر وأنا أستكمل ملابسي .

سوف أحكي لك فيما بعد .

عند الباب تذكرت شيئا هاما . . عدت إلى حجرة نومي . . توجهت بسرعة إلى دولاب ملابسي وأخرجت « الإيشارب » الذي أهداه حبيبي لي في بداية علاقتنا . . تذكرت انه « إيشارب » سحري ، وأن في استطاعته أن يلبي امنياتي ورغباتي ، فوقفت في المرآة أعقده في عناية وتصميم فوق رأسي ، كأنني أستدعي روح حبيبي أن تحضر . . وأنا أهمس إلى نفسي في ثقة واطمئنان سأرى الآن حبيبي . . وسوف يعود إلينا حبنا من جديد . .

خرجت من البيت . . مشيت على غير هدى . . قادتني قدماي إلى ميدان الأزهار . .

هل يصدقني أحد أنني رأيت حبيبي هناك ، كأننا على موعد .

تظاهرت بأنني لم أره ثم سمعته ينادي علي . . توقفت . . اقترب مني مسرعا متهلل الوجه وصافحني في حرارة ، وقال لي إنه عاد فجر اليوم من أوربا ، ثم توقف عن الكلام وهو يشير الى يده . .

أسرعت عيني إلى حيث أشار ، فوجدت يده كما رأيتها في الحلم ، لعجبي انتابني الفتور - لا أدري كيف - وأنا أسأله في هدوء :

ـ ماذا جرى ؟

أجاب وهو يكاد يحتضنني في الشارع من الشوق :

ـ انزلقت قدمي اليمنى . . وكسرت يدي . . وأنا في طريقي الآن إلى طبيب العظام . . ثم قطع كلماته ليسألني في لهفة :

ـ إلى أين أنت ذاهبة ؟

ولعجبي تجاهلت سؤاله . . ومددت يدي له مودعة ، وكأنني إنسانة أخرى :

ـ لا بأس عليك .

أي قوة ساحرة كانت تدفعني لحظتها أن أتركه ، وأمضي في طريقي . . كأنني لم أحبه يوما كل هذا الحب . .

القاهرة : عبد الوهاب داود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فؤاد بركات

قصة: اليوم قبل الأخير

١

غامضة ساحرة داكنة . . كانت ألوان تلك الربوة الصخرية الملبدة بالرمال . . الجزيرة كانت عارية من الحياة عدا أعشاب تناثرت متباينة المساحات والارتفاعات ، والألوان ، . . وعدا بضعة رجال ليس لهم من أثر على وجه الجزيرة الصغيرة ، سوى قارب كبير ، وشريط أرضى قصير ممهد بعناية فى قلب الجزيرة ــ فى الجوف . . جوف مغارة هائلة . انبعث ضوء باهر ، . . غامر للمكان الفسيح ، . . وكان تحت الضوء جسم لطائرة حديثة بيضاء اللون دون أية إشارات أو علامات ، قد تدببت واحتدّت أطرافها وهناك فجوات صغيرة ، . . وصارى صغير على أنفها المدبب .

تحلّق حول الطائرة ، أربعة رجال ، يعملون بنشاط على جهاز صغير ، ويتبادلون النظرات الباردة الجهمة فى ذكاء لاح فى عيون غريبة الصفاء والتركيز .

انحدرت الشمس غاربة ، ليسود الظلام باب المغارة ممزوجا بظلال حمراء . نظر أحدهم نظرة ثلجية إلى الظلال ونطق بصوت انبعث من الأعماق :

- إنه الغروب ــ لعله الغروب الأخير على تلك البقعة من الأرض . . من فوق . . كان اللون الأزرق للبحر يتلاشى مع سقوط الشمس ، وكانت الربوة تقبع عند نهاية ممر جوى ممهد ، والصمت المجلل بالأسرار يجثم على أطراف الجزيرة ، وإلى تحت فى جوف المغارة ، انتهى الرجال من إعداد قنبلتهم النووية ، فغيروا من أوضاع الإضاءة إلى داخل الطائرة ليكملوا بداخلها تجهيز وسائل التوجيه الذكية التى توجه نفسها إلى منطقة بعينة لتصيب الهدف المقصود وحده . وفى الضوء الساطع لمعت شهال عيون امتلأت نظراتها إلى ماض دام حافل بجثث وأشلاء للأطفال والكبار ، والدم ينبجس يخضب الرمال ، . .وتتناثر طويلا وكثيرا ، كلمات وعبارات وأوراق .

شاب أبيض الوجه قال :

- ما سنفعله هو الحق ، . . نفس منطقهم أن القوة هى الحق .

رقصت فرحة على وجه أسمر : قال :

- معنا الآن الحق والقوة . . إذا كانوا قد طردوا من هذه الأرض منذ آلاف السنين ، فإنهم سيموتون فيها الآن . .

٢

بينما هم يتأهبون لاتخاذ أماكنهم فى الطائرة ، كان أحدهم يوزع عليهم أكواب القهوة الساخنة ، قال وجه أسمر لوجوه بيضاء . ! .

- أرى أن نسقط قنبلة واحدة فحسب . !

أجاب الآخرون فى سخط :

- لسنا فى لحظات مناقشة ، . . ليكن الفناء هو العقاب . !

ممسكا بكوب القهوة قال الأسمر :

- لسنا نسعى إلى الفناء ، فقط إلى الحق ، والحق يقول بعض الثأر .

قالت الأصوات المقتضبة :

- أنت تفكر بالعاطفة نحو الأعداء . !

- بل بالعقل أولا ، . . يجب أن تحتفظ بباقى القنابل لنرد ثانية إن هم قذفوا أية دولة بقنبلة ذرية .

لوح شاب له فى عصبية :

- لم نكرس حياتنا عشرين سنة لهذا الهدف ثم نكتفى بالمناورة !

قال ثائر حاقد :

- بل سنطلق كل القنابل وليكن ما يكون . !

قال أحدهم مترددا :

- يجب أن يكون لدينا رصيد ولو قنبلة واحدة للرد عند اللزوم .

حسم هادىء الموضوع :

- لنقترع ولتكن القرعة هى الفاصلة : !

قال الهادىء الأسمر بعد الاقتراع :

- ألم أقل لكم إن القدر نفسه يحمينا ويهدينا إلى الأصوب !

٣

انفجر الصوت أمام الطائرة ، . . التى حلقت مع انتصاف الليل من علو خمسين ألف قدم . . ثم سبعين ، . . ثم مائة ، . . حولها تطايرت مئات الصواريخ ، بيد أنها كانت تبتعد بجهاز مضلل ذى موجات إليكترونية كثيفة . كانت المدن والقرى الصغيرة تزدهى بالأنوار التى حددت الطرق والشوارع والمنشآت وحتى المنازل الصغيرة ، غير أن الأنوار سرعان ما انطفأت ليسود الظلام الأسود الممزق بصيحات الذعر ، والخوف الذى سرعان ما ساد الأرجاء .

كان قائد الطائرة ، قابضا على جهاز توجيه القنبلة .

- الجميع صامت ، عدا أنفاس متأججة وعيون لامعة .

قال صوت ثائر :

- إنها لحظة عمر طويل

- يدعون علينا بالإرهاب ولا يقولون من هم . !

قال الجميع :

- أطلق القنبلة . !

انطلقت القنبلة ، . . وبنفس سرعة ما فوق الصوت عادت الطائرة أدراجها ، تفجر الصوت ، وهبطت فى الجزيرة الصغيرة وسط الليل والبحر ، والماضى والحاضر والمستقبل ، عند الهبوط تعانقوا طويلا ، ولكن أحدهم كان صامتا لم يكن يشاركهم فرحتهم الطاغية .

٤

عند انتصاف النهار التالى كانوا قد أصغوا طويلا إلى الإذاعات ، ماذا حدث ، . . ألم يطلقوا القنبلة ليدمروا قلب العدو ؟ هناك خطأ بالتأكيد !

فجأة انقطعت إذاعات لتعلن أن قنبلة نووية سقطت على العدو ، كاملة تماما غير أن جهاز التفجير قد أمن فى اللحظات الأخيرة ، . . وأن ذلك يعنى إنذرا مخيفا وهائلا . . نظروا إلى الوجه الأسمر ، لم يحاولوا الاندفاع للاعتداء عليه ، . . نظروا إليه فى ذهول الدهشة كان يملك القوة والدمار ولكنه تراجع ، لماذا لا يردون ؟ ولكن عليهم الانتظار .

قال أحدهم مصوبا كلامه إليه :

- تعنى أنه الإنذار الأخير ، أليس كذلك ؟

انطلق القارب ، . . تبتعد الجزيرة ، بينما امتزجت زرقة البحر بالعتمة ، إثر الغروب .

قال أحدهم وهم يلمسون الأرض بأرجلهم الصلبة .

- إنه الإنذار ، . . والانتظار الأخيرين . !

فؤاد بركات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خالد أحمد السيد محمد

قصة

النداء

صوت ما ينطلق من سراديب أعماقه البعيدة ، يناديه :
« ياإسماعيل . . عما قريب ستموت .
لايندهش ! . .
ينزعج ! . .
لا يتساءل ! . .
لا يتأمل ! . .

يعتقد أن الموت على البشر حق . . نعم ليس به مرض وصحته كالحديد ، ولكن من قال إن الموت لا يأتى للأصحاء ؟! .

والأهم من هذا أن النداء صادف من نفسه ارتياحا عميقا ، وكأنه كان يتوقعه أو ينتظره أو يريده .

: ــ ياإسماعيل . . عما قريب ستموت . . .

يتغلغل الشعور باقتراب الموت فى أعماقه

فى الصباح ، عندما ذهب إلى الشركة ، كان كل شىء يبدو كما هو . . نفس المكاتب نفس المقاعد . . نفس الوجوه العكره ، وأصحابها الأراذل .

الشىء الوحيد الذى نال منه التغيير كان هو إسماعيل نفسه ، فقد كان وجه إسماعيل هادئا مسترخيا ، لا يكسوه التوتر كعادته ، فبدا راضيا .

لاحظ الزملاء ذلك ، فأيقنوا أن هناك سرا ما وراء هذا التغيير .

قال له الأستاذ حنفى ــ زميله ــ ساخرا : مالك على غير عادتك ؟ هل ماما ــ يقصد زوجته ــ أعطتك مصروفا سخيا اليوم ؟

ضحك الجميع . أما هو فقد ابتسم فى لا مبالاة ، وكأن الأمر لا يعنيه . . فلم يعد يثور ــ وهو مقبل على الموت ــ لهذه الأشياء التافهة . . لم يشتمهم كما كان يفعل من قبل .

لم يقل لهم كعادته دائما : ــ « لماذا تهينوننى هكذا ؟ . .
لماذا تسخرون منى ؟ . .
ألانى رجل فى حالى ،
ولا أعرف التنكيت
مثلكم ! . .
حرام عليكم . .
ألا تخافون الله ؟ !!! . .

بعضهم يرق قلبه لكلام إسماعيل ، فيقول أحدهم للآخر فى أسف : والله رجل غلبان . إلا أن هذا البعض لا يلبث أن يعود للتريقة عليه ،

وهم فى ذلك ، يلتمسون لأنفسهم التبريرات ، والأعذار فيقولون : ــ وما ذنبنا نحن إذا كان شكله ، وملبسه ، وطريقة كلامه أيضا تغرى بالتريقة عليه ؟

يدفن وجهه فى الأوراق الملقاه على مكتبه . . يخرج من درج مكتبه أوراقا بيضاء ، ويشرع فى كتابة التقرير الذى طلبه منه سيادة المدير . . فالويل كل الويل ، إذا تأخر فى كتابته .

يقول الأستاذ محسن ــ بصوت مرتفع ــ لحنفى الجالس على

المكتب المجاور له : ـ يبدو أن ماما قد ضربته بالأمس ، لذلك فهو اليوم فى غاية الأدب .

ينطلق الجميع ضاحكين . . يتجاهلهم ، ولا يرفع وجهه عن الأوراق التى يكتبها . يهمس أحدهم فى أذن آخر : ـ إذا ظل صاحبك يتجاهلنا هكذا ، فسوف نفقد تسليتنا الوحيدة فى هذه الشركة الكئيبة .

يهز الآخر رأسه مؤيدا . . يشعر بهمساتهم ، ولكنه يتجاهل كل شىء . . حتى كرامته المهدرة بينهم .

يتغلغل فى نفسه الاعتقاد بأنه سيموت قريبا . . يعقد العزم على أن يستعد للموت .

: ـ ياإسماعيل . . عما قريب ستموت .

لا يتزعج ! . .

لا يندهش ! . .

لا يتساءل ! . .

لا يتأمل ! . .

يتحول مضمون النداء إلى أمل فى الخلاص .

يمر على الحاج عبد الله فى بيته . . الحاج عبد الله له فى ذمته عشرة جنيهات ، ولابد من تسديدها .

فالموت آت لا محالة ، وهو لا يريد أن يلقى الله وفى عنقه دين .

يقول له الحاج : ـ ليس بين الطيبين حساب ياأستاذ إسماعيل . . لا أدرى لماذا أنت متعجل هكذا ؟!

يقول إسماعيل : ـ ليس أحد يضامن عمره ياحاج .

يرجع إلى بيته مرتاحا لقضاء الدين . . ينظر إلى زوجته ، ويقول فى نفسه : ـ سأرتاح منك أنت الأخرى .

تضع له على العشاء الفول ، والجبن . . يأكل بدون اعتراض ، ولا يثور كعادته . . تتعجب فى نفسها ، ولكنها تصمت .

يتوضأ ليصلى العشاء . . يخشع فى صلاته ويتأنى ، كما لم يفعل من قبل . . كانت صلاته قبل ذلك سريعة متعجلة .

تتعجب لأحواله وتتعجب . . تغيرت أحواله كثيرا . . لم يعد يراجعها فى مصروف جيبه الذى تعطيه إياه فى أول الشهر ، عندما يسلمها راتبه كاملا . . وهو ـ أيضا ـ لم يعد يُقبل على الشجار معها ، أو الإعتراض على أى شىء تفعله .

فى النهاية ، استنتجت أنها قد استطاعت ترويضه ، بعد هذا العمر الطويل . . سلبته سلطته وسلطانه ، كما كانت تخطط لذلك منذ زمن .

تقول له ، بقرف واضح : ـ سأنام الآن . . هل تريد شيئا منى قبل أن أنام ؟ . هو يعلم أن عروضها تلك من باب « سد الخانة » ، فإذا قال لها أريد شيئا ، قالت له : ـ ولماذا لا تفعله بنفسك . أتظننى جارية عندك ؟ . يعلم كل هذا جيدا ، لهذا قال لها بهدوء شكرا .

: ـ ياإسماعيل . . عما قريب ستموت

لا يتزعج ! . .

لا يندهش ! . .

لايتساءل ! . .

لا يتأمل ! . .

يشعر بالألفه مع الصوت ، ويحبه .

يمتلىء كيانه بالإحساس بدنو الأجل ، فتغشاه السكينة وتجد الراحة طريقها إلى نفسه . يتأمل زوجته النائمة إلى جواره فى الفراش ، ويقول بصوت لا يكاد يسمع : ـ كم أكرهك ياهذه ! لكم يكره زوجته هذه . . كان يقول لنفسه دائما : « ليس فى هذه الملعونة شىء يمكن أن يحب . .

لكم أحب النحيفات ، وهذه المعلونة بدينة . .

لكم أحب النساء الطيبات المستكينات وهذه الملعونة شيطانة متسلطة . .

لكم أحب الولد وتهفو إليه نفسى ، وهذه المعلونة عاقر » .

فى السابق ، حاول أن يطلقها . ولكن أسرته كانت له بالمرصاد . قال له أبوه ساخطا : ـ أتريد أن تطلق ابنة عمك ؟! . . هل جننت ؟ . . ماذا سيقول الناس عنا . . أترضى أن يقال إننا نرمى لحمنا فى الشارع . . أترضى بذلك ؟ كن عاقلا وأمسك عليك زوجك ، وإلا فلا أنت ابنى ولا أعرفك .

فقال له إسماعيل مستعطفا : لا أحبها ياأبى . . لقد جعلتنى أكرهها وأكره الدنيا كلها من أجلها .

فقال أبوه منتهرا : أنا لا أحب أن أسمع هذا الكلام .

: أريد ولدا ياأبى . . أريد ذرية ، وهى عاقر .

: ـ ارض بما قسمه الله لك ، ولا تجلب لنا الفضائح .

لكم يكره ضعفه أمام أبيه .

: ـ ياإسماعيل . . عما قريب ستموت .

يتأمل .

ينزعج .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتساءل ، ولأول مرة : ـ لماذا أنا الذى يجب أن يموت ؟
لماذا لا تموت هى ؟
لماذا لا يموت زملائى فى المكتب ؟
لماذا لا يموتون جميعا وأبقى أنا ؟
: ـ ياإسماعيل .. أنت الذى تريد الموت !

يقول إسماعيل مذعورا : لا .. لا أريد الموت .. الحياة بذاتها لا غبار عليها .. هم السبب ..
هم السبب !

: ـ ياإسماعيل .. لقد حيرتنى .. افعل ما بدا لك .

ينقطع الصوت .. يحاول بلا جدوى أن يواصل الحديث معه .. يحتاج إلى مشورته .. يشعر بأن الصوت قد ذهب إلى غير رجعة .. يفتقده ..

يتنبه إلى شخير زوجته المزعج ، وهو يعلو تدريجيا وبانتظام .. ينظر إليها بحقد شديد .. تمتد يده ـ فجأة ـ لتطبق على رقبتها .. تنتفض من سباتها ، وتنظر إليه ذاهلة يشدد من ضغط يديه على رقبتها .. تحاول التخلص منه بكل ما أوتيت من قوة ، ولكنه ـ للمرة الأولى فى حياته ـ كان هو الأقوى .

الاسكندرية : خالد أحمد السيد محمد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فوزى شلبى

قصة

صمت المحطات البعيدة

عجلات القطار تطوى القضبان ، وتطوى الأنهار ، الخضرة ، المدن ، الصحراء ، وتطوى الأرض ، لم يكلم أحدنا الآخر فى شىء .

هو شارد يحيط نفسه بهالة من الصمت .

وأنا مشغول بنفسى ، أحس بشىء من الراحة ، أمان عديدة أعلقها على هذه اللحظة ، لحظة العودة بالطولة كل الرفاق العائدين تتهلل وجوههم ، كلما أسرع القطار .

لماذا تتلبد السماء بالغيوم كلما تأمل المرء غموض الغد ؟ ملعون شيطان اليأس ، وملعونة كل الشياطين ! الأب العاجز سوف يقوى بمجرد وجودى بجانبه معينا له ، والأم المريضة سوف أوفر لها الدواء ، والأخت العزيزة سوف تجهز وتزف لعريسها ، والصغير الغالى سوف أحقق له أحلامه البسيطة ؛ وبعد اليوم لن يعايره أحد بثيابه الممزقة . أما مهجة الروح والفؤاد التى طال انتظارها لى فعن قريب سيجمعنا بيت واحد . بالتأكيد جميعهم فى انتظارى ! .

• • •

لمحته يدقق النظر لرؤية أسراب من الحدأة والغربان تنقض على بقايا الجلود المهملة على الأرض فى نهم وشراسة . تأملت المنظر قبل أن يبتعد مطوياً بالسرعة ابتلعت ريقى فى عسر ، إن هذا المنظر كالفأل السيىء .

صمت الرفيق مميت (صمت لا تمزقه جلبة الركاب ، ولا رقص السعداء ، ولا يخترقه بوق القطار المفزع) كلماته الأخيرة التى تفوه بها قبل أن نودع ساحة النزال تحيرنى ؛ فبالرغم من صيحات الانتصار الملفوفة بأحضان النجاة (المستديرة) أصابنى برصاصة من الحروف ؛ حينما نظر إلىّ نظرة رثاء وإشفاق وهو يقول :

ـ لم نجونا ؟!

تلاشت سعادة الظافرين عن لوحة النظر . تتابعت أحداث الحرب فى سرعة البرق (حطام الطائرات ، الصواريخ ، الدبابات ، أشلاء الرجال ، الشظايا التى تطعن فى الصدور ، وتطيح بالأطراف ، وتمزق الرؤوس) الوطن ، الجهاد ، التضحية ، الشهادة ، تلونت الرمال بالدماء .

تحيرنى عبارته الوحيدة التى استأنف بعدها هذا الصمت اللعين ، كما حيرنى أمره طويلاً . بدا ظريفاً رقيق الطبع . لم يكمل تعليمه رغم أنفه . يعتبر الدنيا ابتسامة طويلة ساخرة ، ينظر إليها نظرة خاصة ، ويجعل من ابتسامته ستارة لداخله . يتنازل عن اجازته مازحاً ليصبح لغزه محكماً . نوادره المرحة تعليقاته على كل شىء ، تكفلت بعلمنا جميعاً بما كان يكتم ، حفر الزمن جراحاً بأعماقه ، ومع ذلك يبدو لنا أنه لا يفكر حتى فى يومه .

كانت أسرته فى رغد من العيش ، إلا أن التجارة أتت على أموال والده وحياته ، عندما داعبته بإحدى « مقالبها » ليرث تركة ثقيلة من الديون والمعاناة .

ومنذ الوهلة الأولى لبدء القتال أصبح إنسانا آخر لا عهد لنا به ، لا يبالى بخطر ولا يتكلم ، كأنه أصيب فى حسه ولسانه ، ومن لحظتها وهو يلوذ بالصمت .

اشتدت رحى الحرب ؛ فاشتد حوله وثاق الصمت .
وتجسدت فيه قلة المبالاة وعدم الاكتراث بالموت . وكلما حمى الوطيس أبلى بلاء خرافيا كان العدو يكر علينا فتصبح الحالة المعنوية للجميع هباء وهواء إثر تضاعف الخسائر ! ولكنه كان يقود هجمات تجعل الغلبة لنا ؛ وكأنه لم يفعل شيئاً ! ففى كل مرة كان الندم يطل من عينيه ، ندم على شىء مجهول !

وفى صمت ــ أيضاً ــ تقلد أعظم أوسمة البطولة . وداثماً كانت هناك آثار الندم والمرارة مجسدة بعمق على ملامحه . ولكنه صار بالصمت أسطورة بيننا .

* * *

ــ « الأحلام والأمانى شىء والحقيقة دائما شىء آخر » .
هذا بعض من كلامه الجاد ، القليل . لست أدرى لماذا طرأ على ذهنى الآن ؟
لم أنجح فى الخروج به من قوقعته !
صمته الآن مختلف وغريب .
نظرت إلى الشمس المغلفة بالضباب .
يجب أن أستقر على أمر بشأن الغد . سأبحث عن عمل مناسب لمؤهلى الجامعى . كل الأحلام مزهرة بالخيال ، وكل الآمال معلقة رهن عودتى وكأنى المسيح المنتظر ! ماذا ستجدى الوظيفة ؟ مهما كان دخلها فالمتطلبات دائما أكبر !
سيظل الوضع على ما هو عليه ولا حيلة لى فى ذلك .

* * *

اقتربت محطته ولم تبد عليه بادرة استعداد للنزول .
نبهته ولم يكترث .
توقف القطار ، وتحرك ثانية ، ولم يتحرك هو !
لم يكلف نفسه عناء التفاتة بنظرة خاطفة على بلده !
قاتلته بجدل عنيف . نظر إلىّ نظرات غريبة . تلاشى الصمت أخيراً ؛ ونطق باستهتار جاد :
ــ لا تشغل بالك بأمرى ، فكل الأماكن تتساوى ! ستجد فى كل مكان غبار الحياة يكسو كل شىء ؛ أما تلك الوجوه التى تبدو خالية من العبوس والهموم ، فلو خلعت أقنعتها المرنة لتجسدت لك معاناتها وآلامها فى أبهى وأزهى الصور .

* * * *

الصمت الرهيب احتوانى مرغماً !
وقف القطار على رصيف محطتى . هزنى هو بشدة منبهاً إياى !
كان ذهنى شارداً فى خاطر غريب استولى علىّ تفسيراً لصمته الطويل ، أخذت أتأمل الخاطر وأقلبه على جميع الوجوه« كان يبغى الموت فى المعركة كى يرتدى انتحاره ثوب الشهادة » وتركته لمصيره المجهول ، مودعاً إياه بابتسامة يعرفها جيداً . إنها ابتسامته القديمة .

طنطا : فوزى عبد المجيد شلبى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إسماعيل بكر

قصة البيت والعصفور

ـ ١ ـ

لم أستطع أن أصل إلى السبب ، الذى من أجله وُضِعت تلك القضبان الحديدية على كل نوافذ البيت . منذ نشأتى وأنا أراها .. تعودت عليها .. ألِفت النظر إلى الخارج من خلالها ، فلم أعد أحس بها ، خاصة أن النوافذ نفسها تماما مثل كل نوافذ البيوت الأخرى ، فيما عدا هذه القضبان .

سألت أبى مرة وأنا صغير عن سبب وجود تلك القضبان على نوافذ بيتنا وحده فابتسم ابتسامة خفيفة لم أعرف معناها ثم قال :

ـ هكذا أراد صاحب البيت .

لم أفهم شيئا فعاودت السؤال :

ـ ولماذا أراد صاحب البيت ذلك ؟

صمت لحظة خيل إلىّ فيها أنه حائر ، ثم ما لبث أن قال بنفس الابتسامة :

ـ حتى لا تسقط من النافذة أيها الصغير الشقى !

فى بداهة قلت :

ـ وكيف أسقط منها وأنا مازلت لا أصل إليها ؟

اتسعت ابتسامة أبى وقال :

ـ ربما لكى لا أسقط منها أنا .

ثم انطلق خارجا وابتسامته مازالت فوق شفتيه ، وظللت أنظر فى إثره والبلاهة تكسونى .

منذ ذلك الوقت ، نسيت تلك القضبان تماما ، لم أحاول السؤال عنها مرة ثانية ، صارت فى نظرى مثل حوائط البيت أو السلم أو الأبواب .

ـ ٢ ـ

فى سن الشباب ، أحسست بالثورة على كل ما هو غير طبيعى .. أخبرت أبى الشيخ أن هذه القضبان تضايقنى .. ذكرنى أبى أن المنزل أصبح له مالك جديد ، واقترح أن أذهب إليه مع باقى شباب السكان ، لنحدثه فى أمرها .

راقتنى الفكرة ، كما راقت كل شباب البيت ..

اجتمعنا وذهبنا للمالك الجديد .. أفصحنا له عن ضيقنا الشديد بهذه القضبان العتيقة .. استمع الرجل فى هدوء ، وبثقة وعدنا بأنه سيعمل على إزالة ضيقنا .. طلب منا قليلا من الصبر .

ذات صباح جاء عدد من العمال . أخبرونا بأنهم حضروا من أجل تلك القضبان .. فتحنا لهم كل الأبواب . تركناهم وذهبنا لأعمالنا .. فى نهاية اليوم عدنا .. لم نجد أثرا للعمال ، وكانت القضبان الحديدية قد طليت بلون جميل .. انتابنا الذهول .. ذهبنا مرة أخرى لصاحب البيت . قال متعجبا .

ـ ألا يعجبكم لون القضبان الجديد . ألم يصبح مريحا للنظر ؟

لم يستمع لكل ما قلناه من كلام ، وتركنا غاضبا . . انصرفنا نحن أشد غضبا .

قال أبى الشيخ :
ـ لا بأس . هناك تقدم على أية حال .
وكذلك قال باقى الآباء الشيوخ .

منذ ذلك اليوم لم أستطع أن أنسى تلك القضبان اللعينة . . كثيرا ما فكرت فى نزعها عنوة ، وليفعل صاحب البيت ما يشاء . لكن تحذيرات أبى جعلتنى أتردد كثيرا .

ـ ٣ ـ

مع مطلع كل صباح . وبعد استيقاظى من النوم . أمد يدى لأفتح النافذة فتصدمنى قضبانها . أزداد لها كرها ، ويتأجج فى صدرى لهيب .

فى صباح أحد الأيام ، استيقظت لأفتح نافذتى . وبينما أصب غضبى وكراهيتى على قضبانها ، إذ بعصفور جميل رشيق ينفذ من بينها ، ويدور فى الحجرة ثم يستقر فوق « الدولاب » . . انطلقت من العصفور شقشقة رقيقة ، لتنظم لحنا بديعا ، انساب فى نفسى . فهدأ بعض ثورتها ، ونفث جزءا من غضبتها . . بعد قليل ، انساب العصفور من بين القضبان ، وتركنى أشعر بشىء من السكينة .

تكرر هذا المشهد فى صباح اليوم التالى ، وفى كل صباح . . صرت أنتظر العصفور . لا أستطيع الذهاب إلى عملى إلا بعد سماع شدوه العذب ، يسرى بين جوانحى ، فأستمد منه زادا يعيننى على تحمل مشاق يومى . . تكلم أهل البيت جميعا عن هذا العصفور وأفصحوا عن حبهم الكبير له .

ذات صباح ، وأثناء اجتياز العصفورة للنافذة إلى الحجرة ، إذ به يصطدم بأحد قضبانها ، فيسقط مترنحا . . سقط قلبى معه . . تحامل العصفور وعاود طيرانه ، لكن إلى الخارج ، دون غناء . . لم يأت فى اليوم التالى ، ولا فى أى يوم آخر .

حزن الجميع . . اضطرمت نيران الغضب فى النفوس .

ـ ٤ ـ

ذات صباح جديد ، استيقظت على أصوات مدوية ، لكنها تبعث بالنشوة إلى النفس ، والفرحة إلى القلب . أصوات مختلفة النغمات ، لكنها تؤلف لحنا واحدا جبارا . هزنى بعنف فلم أملك سوى الاندفاع إليه ، والذوبان فيه ، لأصبح إحدى نغماته الثائرة . . اتجه اللحن الهادر ناحية القضبان .

بنى سويف : إسماعيل بكر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد غريب جودة

قصة

الـزنـاد...

ضغطت الحاجة فريدة زر الغسالة وتملكها شعور بالراحة عندما أدى هذا الفعل البسيط إلى سريان الحركة فى أجزاء الآلة فراحت ترسل هديرها الصاخب . . أسرعت المرأة إلى المطبخ وتناولت إصبع موز ودلفت إلى الـــردهـة حيث زوجها وحفيدها الصغير . .

قبلت الحاجة فريدة الطفل وناولته إصبع الموز وقالت وهى تسرع عائدة إلى المطبخ :

ــ أتريد شيئا يا حاج ؟

أجاب الشيخ دون أن يرفع عينيه عن صحيفته :- شكرا يا «ست الكل» . . بعد هنيهة صدرت عن الطفل حركة مفاجئة لمحها جده بطرف عينيه فنهض حانقا ونهر الصغير بعنف :- عيب يا بشير . . عيب يا ولد . . انخرط الطفل المدلل فى بكاء عنيف كان له على الحاجة فريدة وقع أبواق الإنذار فأسرعت تطوى المسافة بين المطبخ والردهة فى وثبات سريعة متلاحقة كأنها أنثى الكانجرو . .

ارتمى الطفل على صدر المرأة فحملته وراحت تربت عليه فى حنان وقالت :

ــ اسم الله على حبيبى . .

وتحولت إلى زوجها متنمرة بعد أن أدركت سر صراخ الطفل :

ــ مالك به ؟ . . ألا تطيقه أبدا ؟

نحى الشيخ صحيفته جانبا وأشاح بيمناه محتجا وهو يقول فى حدة :

ــ أعرفت ما فعله ؟

قالت فى هجة ساخرة : وماذا فعل ؟ . . أهال عليك السقف ؟

قال حانقا : ألقى بقشرة الموز من النافذة يا حضرة المحامى . .

استدارت لتعود الى المطبخ والطفل مازال على صدرها . . وقالت فى مزيد من السخرية : تسلم يا حاج ! . .

ثم مصمصت شفتيها واستطردت وهى تغيب عن ناظريه :

ــ معك حق . . يمكن قشرة الموز تخرب الدنيا !

اكتفى الشيخ بنظرة تنم عن الاشمئزاز وعاد يدس رأسه بين الصفحات . . وكانت بداية أزمة جديدة بين الزوجين . . .

فى موقع آخر من المدينة أوشكت أزمة أخرى على الحدوث . .

ففى إحدى قاعات سفارة « مالاريكا » راح ثلاثة رجال يتبادلون الحديث وقوفا حول منضدة كبيرة تقع أسفل العلم المالاريكى الضخم المنشور على الحائط . . بدا الرجل ذو الحلة العسكرية المرصعة بالأوسمة ثائرا للغاية . . وقال وهو يطرق المنضدة براحته :

ـ حسنا يا جنرال .. أنت فى إجازة طوال إقامتى فى هذا البلد ..

وعلا صوته وهو يقول :

ـ زيارتى ليست رسمية .. أنا هنا لأستنشق شذى التاريخ .. أنا هنا لأنعم بسحر الشرق وأطالع وجوه الناس فى الشارع .. ولن أسمح بحصار الحراس ومظاردات الصحفيين ..

ثم حملق فى الجنرال وقال محذرا : إذا تفوهت بالمزيد فلتعد نفسك من الغد للاستمتاع بشمس الكاريبى ..

وتحول إلى السفير وقال فى تساؤل آمر : أليس كذلك سعادة السفير ؟

غلبت على السفير حاسته الدبلوماسية فلجأ إلى اللباقة علّه ينقذ الموقف :

ـ بلى يا سيدى الدون دياز .. لكن الأحرى بفخامتك أن تصفح عن سيادة المستشار العسكرى .. إنه يحاول فقط ان يضطلع بأعباء وظيفته .. خصوصا فى هذا الوقت الذى يسعى فيه الخونة إلى اغتيال عظماء البلاد .. ثم راح يراوغ قائلا :

ـ ومع ذلك فالأمر رهن إشارة فخامتكم .. يمكننا تدبير الحراسة بطريقة مستترة ..

أشار الرجل الكبير بيده ناهيا السفير عن المضى فى الحديث وقال فى حسم :

ـ لا داعى .. سأكتفى بسائقك وسيارة عادية مستأجرة .. ولتثق أن هؤلاء الأوغاد لا يستطيعون الوصول الى هذه العاصمة .. وعلى فرض وصولهم ، لا أظن أن إجادتى للرماية قد صارت موضع شك ! ورفع يمناه وربت على الجانب الأيسر من صدره إيماء إلى وجود سلاحه .. أسقط فى يد السفير وقال مستسلما :

ـ الأمر وما تريد يا دون دياز ..

انتابت الجنرال الدهشة من خنوع السفير وخضوعه المهين ، لكنه آثر الصمت بعد أن بدأ يستوثق من صحة الشائعات التى تؤكد ان العجوز الداهية « الدون روبرتو أماريللو دياز » عم رئيس مالاريكا ورأس الأسرة المسيطرة على مقاليد الأمور فيها هو بالفعل أقوى رجل فى البلاد ..

فتح السائق باب السيارة الخلفى وهو ينحنى للدون دياز ، لكن هذا تخطاه وجلس فى المقعد الأمامى .. لبث السائق برهة متحيرا ثم حزم أمره واتجه إلى مقعده وأدار المحرك فى مزيج من مشاعر الدهشة والرهبة .. نظر الدون دياز إلى السائق شذرا وقال :

ـ لو كنت أعرف معالم هذه المدينة ما كانت بى حاجة إلى مثلك ..

وبعد ساعة من التجوال فى الأحياء القديمة أشار العجوز إلى السائق بالتوقف وغادر السيارة بمفرده ليسير وسط الجماهير الرائحة والغادية ..

طال به المطاف دون كلل وهو يتطلع متفحصا كل ما يقابله بعين الخبير .. لمح شادرا منصوبا فى شارع جانبى فاتجه إليه وراح يمعن البصر فى صفوف عرائس المولد التى راقه ما بينها وبين راقصات الفلامنجو من شبه .. غادر الدون دياز الشادر فلم يطل به المطاف حتى أبصر جمعاً من الناس يتحلقون حول كل شىء ما .. شق طريقه فى ثبات وسط الحشد الغفير وتطلع ليرى رجلا أمامه منضدة صغيرة وبيده ثمرة يقشرها بآلة معدنية وهو يهدر بالصياح . راق المشهد للشيخ لكنه اضطر إلى الانصراف عندما وجد الناس يتحولون عن البائع وبضاعته من فرط اهتمامهم بقبعته .. أسرع الخطى وسط الزحام فكاد يصطدم بفتى يحمل على رأسه جبلا من صوانى الكعك ، وكان المطاف قد انتهى به أمام بيت الحاج .. رشدى .. اندفع العجوز الداهية إلى حافة « الرصيف » ليتفادى حامل الصوانى فوقع كعب حذائه على قشرة الموز الذى ألقاها الصغير بشير فكان الانزلاق الهائل وارتطام رأس الدون دياز بالحافة البازلتية الحادة ..

تجمع المارة حول الدون دياز يدفعهم مزيج من الفضول والرغبة فى المعاونة .. لم ينتبه أحد منهم إلى قبعة العجوز التى طارت بعيدا ولا إلى الغلام الذى سارع باقتناصها ولاذ بالفرار تاركا الدون دياز دون الأمارة الوحيدة الدالة على هويته الأجنبية التى لا يمكن الاستدلال عليها من سحنته الشبيهة بسحن سكان البلاد ولا ثيابه الخالية من الأوراق فيما عدا الدولارات ..

تتابع الناس يحاولون إفاقة الدون دياز .. ناداه بعضهم وهو يقسم بأن الشيخ قوى كالحصان ... وتمادى أحدهم فلطم وجنته لطما خفيفا وحثه على النهوض والكف عن الدلال ...

لكن الجمع الحاشد أدرك أخيرا أبعاد الموقف عندما انبثق خيطان من الدم السميك من أنف الدون دياز وفمه ، وانطلق الناس يتسابقون فى طلب النجدة .. بعد انتظار طويل جاءت السيارة البيضاء ذات الأبواق المدوية لتقل العجوز الى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المستشفى . . وهناك ظلت الجثة مجهولة الهوية لعدة ساعات كانت كافية لكى تستكمل الأحداث دورتها . .

* * * * *

إثر إعلان وكالات الأنباء عن اختفاء الدون دياز رفعت حالة الاستعداد بين القوات المالاريكية وانعقد البرلمان ومجلس الحرب دون انفضاض . . . وبدأت أربع فرق ميدانية على رأسها ما يربو على مائة جنرال فى التحرك نحو الحدود مع كوستادورا حيث معاقل الثوار الذين تسميهم حكومة مالاريكا بالمتمردين . .

* * * * *

عقب اكتشاف هوية الجثة فى الثامنة مساء بعد عشر ساعات من حادث الانزلاق سارعت وكالات الأنباء بإذاعة نبأ مصرع الدون دياز قبل الوقوف على التفاصيل . . وبعد دقائق معدودات كان سلاح الجو المالاريكى يقصف معاقل الثوار داخل أراضى كوستادورا ويقصف معها قرى الحدود والقوات النظامية الكوستادورية . . .

بعد دقائق أخرى أعلنت حالة الحرب رسميا وتلاحقت البيانات العسكرية ثم بدأ المالاريكيون فى الإغارة على عاصمة كوستادورا ونفذوا أمرا يقضى بقصف منطقة قصر الرئاسة على سبيل الخطأ . .

وعندما أذيعت التفاصيل الكاملة لمصرع الدون دياز فى ساعة متأخرة من الليل وتبين أن الحادث راجع للقضاء والقدر لم يكن لذلك أى أثر على إيقاف آلة الحرب عن الدوران ، إذ إستمرت المعارك سجالا حتى بعد أن أظهر الرئيس أرماندو دياز على الملأ وأعلن عبر موجات الأثير أن قادة البلاد قد وقعوا ضحية خطأ مؤسف . . وبشر الملايين بأن الأوامر قد صدرت إلى قوات مالاريكا بالتوقف عن إطلاق النار ، وناشد شعب وحكومة كوستادورا الصديقة وعلى رأسها الرئيس الحكيم بيدرو كاستيللو لوبيز أن يتفهموا الموقف ويتعاونوا من أجل السلام . . لكن مارد الحرب كان قد أفلت من عقاله ففى تلك الأونة كانت أسراب السلاح الجوى الكوستادورى تشق أجواز الفضاء فى طريقها إلى عاصمة مالاريكا بتصل فى نفس اللحظات التى كان الرئيس دياز يهم بمغادرة برج التليفزيون . . .

* * * * *

فى مساء اليوم التالى استمع شعب مالاريكا بمشاعر متفاوتة إلى الرئيس الجديد الجنرال روميرو ألفاريز دياز الذى نُصب عقب ذلك اليوم رئيسا للبلاد خلفا لابن عمه الذى لاقى حتفه أثناء الغارة الجوية . . .

أعلن الجنرال دياز أن البلاد قد هوجمت بخسة ووحشية . . . وأن الملابسات المحيطة بالغارات الجوية الواسعة والاجتياح البرى بالمدرعات تؤكد أن خطة الغزو التى تنفذ الآن إنما هى معدة منذ وقت طويل وظلت فى انتظار حادث عارض كمبرر لشن الحرب . . واندفع الجنرال كمن أصابته لوثة ليعلن بصوت هادر أن بلاده تتلقى فى هذا اللحظات جسرا جويا هائلا من الأشقاء الأوفياء فى دولة رتشلندا نصيرة الحرية ، وهدد بضرب العدو الحقيقى الذى يدعم مجرمى الحرب حكام كوستادورا . . وبلغ الهياج بالجنرال أشده وهو يضع النقط على الحروف ويجهر بأن القوات المالاريكية سوف تغير على الوحدات البحرية السلافيلندية إذا حاولت الاقتراب من سواحل كوستادورا بما تحمله من شحنات السلاح . . .

* * * * *

حتى ذلك الوقت لم تكن آلة الحرب قد وصلت فى دورانها بعد إلى نقطة الفزع العظمى . . . لكنها اقتربت منها بالفعل بعد ظهر اليوم الثالث عندما أعلنت إذاعة مالاريكا فى بيان عاصف أن السلاحين الجوى والبحرى قد اعترضا مسار ثلاث سفن شحن سلافيلندية ضخمة وقطعتين بحريتين تحملان الأعلام الحمراء وأغرقتها جميعا . . . لكن البث الإذاعى المالاريكى انقطع فجأة قبل إذاعة التفاصيل نظرا لتحول دار الإذاعة إلى مسحوق ناعم فى أعقاب غارة نووية مفاجئة محت بها الغواصات السلافنلندية عاصمة مالاريكا من الوجود . . .

* * * * *

ولا يعلم أحدٌ كم لبثت الحياة على كوكب الأرض بعد ذلك الحادث الأخير . . لكن الأمر الوحيد المؤكد أن مئات الملايين من البشر قد استمعوا فى رعب قاتل إلى أزيز الرؤوس النووية يدوى فى سماوات قارات الأرض وهى فى طريقها لتدمر أهدافها بدقة وإحكام . . . ورأوا بعيونهم للمرة الأولى والأخيرة سحب عُش الغراب العملاقة وهى تنبثق من مدن كوكبهم . . .

وعندما حل الشتاء النووى أخيرا كان الحاج رشدى والحاجة فريدة والطفل بشير ممددين بلا حراك فى ردهة شقتهم . . وكان بيد الطفل إصبع موز أخرى قضم جزءاً منها دون أن يمهله القدر لإلقاء القشرة من النافذة . . .

محمد غريب جودة

ممدوح راشد

قصة

مسافة بين الإبهام والسبابة

ـ ١ ـ

ثانية أعود إلى مدينتى بعد سنوات القتال والغربة والترحال .. أمام أبوابها أريح جيادى .. وأستريح أيضا .. أنظر وأتأمل .. يدفعنى حنين مبهم الرغبة فى استعادة الماضى ـ إنها نفس الأشجار وإن اختفى لونها الأخضر .. نفس الحقول وإن صارت بلا زرع .. المنازل تبدو هامدة الحركة أرهف أذنى .. لا تغريد ، لا سقسقة ، لا نقيق لا صرير ، لا نباح ـ لا عواء ، لا شىء ! . لا شىء سوى السكون .. كل الأشياء تغيرت .. ما كان موجوداً لم يعد قائما .. ولا أدرى متى سيتحقق ما سيكون .. يزعجنى هذا السكون المميت حتى الفزع لأنى لا أعلم له سبباً ...

يوم رحلت عن مدينتى لم أكن كما تعودت . تلقيت الأمر دون احتجاج ونفذته دون اعتراض .. مازق القيادة ورّطنى .. كنت أقاتل وظهرى للحائط .. اضطررت للتضحية بابنتى .. ذبحتها ليبحر الأسطول أضعتها إرضاء لآلهة تطربها صرخات الضحايا وتسكرها الدماء المتدفقة الساخنة .

أمواج البحر تلطمنى بعنف فأفيق .. اكتشفت بشاعة فعلتى .. كنت أداة صماء فى أيدى آلهة متقلبة المزاج .. هوائية النزوات .. لا تعرف الرحمة .. فاض بى الألم .. والغضب أيضا .. قررت الانتقام .. عمدت إلى أسلحتى .. شددت قوسى بعناية .. صوبت سهمى بدقة نحو الآلهة .. وانطلق السهم ـ عادة لا يطيش ـ فإذا به يستقر فى صدرى ويجعلنى طريح الأرض .. والوهم أيضا .. رضيت بالاستسلام وظللت فيه حتى لاحت أسوار طروادة ..

فى خيمتى أظل مستيقظا .. لا يغمض لى جفن ـ أرشو نفسى بأقداح شراب فتعطى لإفكارى حرية التفكير .. هذه الحرب ليست من أجل هيلين أو ميثاق الشرف الذى عاهدت أخى عليه .. إنها مجرد رغبة فى إثبات الوجود والتعبير عن الذات أعطاها باريس النعس سبباً لتعلن عن نفسها وتنطلق مدمرة ما حولها وفى النهاية نفسها ، فكان حتما أن أحاول أن أصنع من هزيمتى انتصاراً ..

بالخديعة فتحت طروادة .. علت الصرخات ثم سكنت .. ارتفعت ألسنة النار .. هدمت طروادة .. لم أترك فيها حجراً على حجر .. أو أحياء ليدفنوا القتلى ؛ وأبحرت بسفنى وها أنا ذا أعود بعد رحلة البحث عن مرسى .. منتصراً .. وإن أكن مرهقا .. على رأسى إكليل غار .. وإن كان بداخل أشواك خيانة .. بجسدى ألف جرح لم يندمل .. ويقلبى رغبة فى الثأر لشرفى .. وتحت قدمىّ تجلس كاسندرا .. ويرغمنى أشعر بشىء ما يتربص بى ليفاجئنى لحظة عودتى .. كم تخيفنى لحظات الرحيل والعودة ! .

ـ ٢ ـ

أتحرك نحو أبواب مدينتى .. تهرول كاسندرا لتلحق بى .. اضطرت أن تحبنى لتحصل على بعض حريتها .. عند أبواب المدينة سجدت كاسندرا .. رفعت يديها مبتهلة إلى أثينا لتنقل

دعواتها إلى باقى الآلهة ثم توجهت بالحديث إلىّ فى خضوع . . وحب أيضا . .

« حمداً للآلهة على سلامتك يامولاى لقد حفظتك ورعتك »

أى آلهة يابنيتى ؟ أتلك التى تتشدق بعطفها علينا ومحاباتها لنا عندما لا نكون فى حاجة إلى ذلك . . أم تلك التى لا نعرف ماذا تخبىء لنا فى خطواتنا القادمة ؟ أنا لا يهمنى هذه أو تلك . لقد روضت نفسى على تقبل كل ما يحدث مهما يكن حتى لا تبدو مرارة هزيمتى انتصاراً لها فأشعر بقتامة أيامى . .

« ليست الأيام كلها طيبة يامولاى »

لا توجد أيام طيبة وأخرى سيئة بل توجد أيام فحسب . . الأمس كان يحسد الغد على أنه لم يأت . . والغد صار يحسد الأمس على أنه ولّى . . والحاضر أجوف يقلقنى ويفزعنى فأضيق بأيامى كلها ورغم ذلك أعيشها وأعيش ما قبلها وما بعدها مضطراً وإن كنت بالداخل أتآكل وأتضاءل . .

« لا تتشاءم فأنت ملك عظيم وانسان أعظم »

يابنيتى كلنا عظماء . . إن عظمتنا كامنة فينا تدفعنا إلى الارتقاء فنشعر بها من طريقة ارتقائنا وإن كانت تسفر عن وجهها عند السقوط فبقدر عظمتنا يكون سقوطنا .

« إن كانت العودة تعنى السقوط فدعنا نفرّ يامولاى » وإلى أين نفر ياكاسندرا ؟ . . إن الحياة مسافة بين الإبهام والسبابة . . محسوبة من قبل ومحددة البداية والنهاية . . ولا عاصم لنا . . لا لن أفر .

يجب أن أعود . . مقدور أن أفعل . . أعرف أنى سأواجه ما يسوء . . ليل معتم تكمن فيه الخديعة وتتنفس الكراهية . . لكنه قدرى ولن أفر منه أو أساوم فيه بصلاة أو قربان وسأتقبله كما يليق بملك . .

« فلتعش حياتك يامولاى ولا تركب رأسك »

لقد عشت حياتى ياصغيرة كما أود . . لحظات سلام ومثلها للمعارك والقتال وأخرى غير قليلة للمتعة ولم أنس الصلاة فى معابد الآلهة حتى يستمر الوفاق . . فعلت كل ما يرضينى ويشعرنى بوجودى ولست بنادم على شىء قط . . الحق أقول ربما تنتابنى لحظات ندم على ما لم أفعل لكنها لا تلبث أن تزول بعد تحقق الفعل . .

« فلتشرح لقومك يامولاى . إنهم طيبون وسيفهمون »

لقد أفنيت عمرى كله فى البحث عما يبرر سلوكى فى الحياة برغم يقينى أنى مجبر عليها . . ولن أفسر وأوضح تصرفاتى لشعبى . . إنهم رعاع يسهل إثارتهم بكلمة ويمثلها يرضون . . وأنا أعرف كيف أسكت صياحهم الذى يعلو خلف الأبواب بانتصاراتى . .

« أحيانا تبدو مفقود الذكاء يامولاى »

لست غبيا ياكاسندراولم أكن قط . .لكن إحساسى بأنى أكثر تميزاً يجعلنى أتصرف بغباء أكثر . وإذا كنت اخذ على الآخرين شدة غبائهم فإنى آخذ على نفسى شدة ذكائها فهى تجعلنى فى بعض الأحيان أبدو مثلهم وربما أقل قليلا . .

ـ ٣ ـ

انفتحت أبواب الجحيم . . ومدينتى أيضا . . انبعث حولى ألف صياح منكر . . الرعاع يزاحمون عربتى . . يسدون الطريق . . الجياد تجفل . . وكاسندرا . . وأنا أيضا . . سقط إكليل النصر من على رأسى . . اختفت كاسندرا من جانبى . . حاولت أن أتكلم فضاع صوتى . . يرمونى بالأحجار وبكل نقيصة فيهم . . يضعون علىّ أوزارهم . . ولهم الحق فلابد من فداء . .

« أين أطفالنا ؟ »

أى أطفال ؟ لم يكن معى فى طروادة أطفال بل جنود وأبطال حاربوا بشجاعة وماتوا بشرف

« قاتل لا يرحم ! »

لم أقتل أحداً . . والطرواديون أيضا لم يفعلوا . . كلنا كنا نبحث عن بطولة .

« أخذ الأقوات ولم يبق سوى جدب وجفاف »

علا صوت شره وجد لدى العامة صدى فتصايحوا يطلبون رأسى . . كيف تجرؤن ؟ . ويلا ذنب ! . . أنا لم أخطىء . . لا يوجد خطاة وصائبون بل يوجد بشر فقط . أما الخطايا فهى كالفضائل ملازمة لنا كرائحة عرقنا ، لا يستطيع الزمن محوها من داخلنا ، وسنظل أبداً نعامل أنفسنا كما لو كنا مذنبين ويجب أن ننتظر القصاص .

أطار حجر درعى ثم أعقبته أحجار أصابتنى لكنى لم أرفع يداً لأحمى نفسى . . فلا يليق بملك أن يقاتل شعبه . . أيضا لا يليق بشعب أن يقتل مليكه لكنهم يتغافلون . . اضطررت إلى الفرار برغم أنى لم أفر من معركة قط لكن حتى المنتصر لا يخلو من جبن فى المعارك الخاسرة .

وصلت القصر . . لم أجد حراساً ـ كانوا مع الرعاع يتصايحون ـ دخلت فى سرعة . . أغلقت الأبواب فى لهفة وتلوت صلاة حمدت فيها الآلهة أجمعين ـ ولم أنس أصغرهم شأنا ـ واستدرت لتفاجئنى طعنة قاتلة من يد لا أعرف صاحبها وإن طوّقها سوار كنت أهديته يوماً لزوجتى . .

ممدوح راشد

مسرحية

المشنوق

مسرحية تراجيكوميدى من فصلين

إبراهيم عبد العليم

الفصل الأول

(المنظر : ردهة سجن : باب على اليمين يؤدى الى غرفة الإعدام . وباب على اليسار للخروج . فى الخلف زنزانة بابها من أسياخ الحديد فيمكننا أن نرى من يجلس فيها بكامله وبداخلها دكة خشبية . باقى الأثاث فقير أولا أثاث بالمرة)

المكان : أى مكان

الزمان : أى زمان

الوقت : صباحا

(يدخل الجلاد فى مزيج من الهلع والدهشة . رجل ضخم الجثة ، له شارب كثيف وحاجبان كثان . لا تبدو عليه القسوة بل البلاهة وهو نموذج للرجل الذى ينفذ الأوامر دون أن يعى معناها . فى ملابسه الرسمية) .

الجلاد : (يخبط كفاً بكف) أما عجيبة ! . ثلاثون عاما فى هذه المهنة . . ولم أر مثل هذا أبدا ولا مرة . . ثلاثون عاما كنت فيها مثالا للجد والانضباط . . أقود المحكوم عليه الى الغرفة وأضع على وجهه الكيس الذى يغطى عينيه وعلى رقبته الحبل المتين . . وانتظر ريثما يقرأ حضرة المأمور الحكم . . ثم أشد الرافعة فتنفتح الفتحة وتتدلدل قدما المحكوم عليه بكل طاعة وانضباط . . ثم أحصل أنا على علاوة أشترى بمعظمها نبيذا لكى أنسى همومى . . كل المحكوم عليهم كانوا طيعين . . يشنقون بكل سهولة . . إلا هذا . . (يدخل الشاويش عطية نوبتجى السجن) .

عطية : ما بالك يا رجل تحدث نفسك ؟

الجلاد : (مرتبكا) أنا لا أحدث نفسى . . من الذى يحدث نفسه ؟

عطية : عجبا لك ! صوتك واصل للشارع . قل لى : انتهيت من المهمة ؟

الجلاد : أية مهمة ؟

عطية : ألديك مهمة أخرى ؟ شنق المحكوم عليه ؟

الجلاد : آه . . هذا ؟ نعم . . لا . . بل نعم . .

عطية : ما هذا ؟ نعم أم لا ؟ أتعبث بالأوامر ؟ أرجوك أريد أن أسلم نوبتى على خير . .

الجلاد : ومن الذى سيفسد نوبتك ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عطية : ألا تدرى أن عدم تنفيذ الأوامر سيجعل المأمور متوترا . . . وربما استدعى المحافظ والوزير . . وهذا يعنى أن « أطبق نوبتين » ؟ . . قل لى إذا كانت لديك مشكلة . . أساعدك فى حلها . .

الجلاد : (قلقا) الحق يا عطية انى لم أشنق المحكوم عليه اليوم . .

عطية : ولماذا ؟

الجلاد : لا أدرى . . ولكنه . . يرفض أن يشنق . .

عطية : يرفض أن يشنق ! . عجبا ! . أنا أسمع هذا لأول مرة ! .

الجلاد : وأنا أيضا أرى هذا لأول مرة منذ ثلاثين عاما . . ولكن هذا ما حدث . . فكلما شددت الرافعة . . قفز الملعون على أطراف أصابعه متفاديا الهوة واضعا قدميه على الأرضية . . ثلاث مرات وهو يفعل ذلك متفاديا توسلاتى إليه بأن يشنق لننتهى . . .

عطية : وأين هو الآن ؟

الجلاد : تركته بالغرفة . . قال إنه يريد أن يصلح ملابسه ويسرح شعره .

عطية : عجبا ! . وأين المأمور ؟ أنا لم أسمع تلاوة الحكم ؟

الجلاد : كان المأمور معى قبل ساعتين . . ثم شعر بالتعب فسلمنى المسجون وقرار حكمه . . ثم أوصانى بإعدامه عند الفجر ريثما يذهب هو لينام ! .

عطية : من الذى ينام ؟

الجلاد : المأمور . . مسكين ! . انه يتعب بسرعة . . وواجبه ثقيل . .

عطية : عجبا ! . ماذا يحدث فى نوبتى ؟

(يدخل فريد فى بدلة الإعدام . فى الأربعين . . يرتدى طاقية السجن . (ودود وهادىء) .

فريد : صباح الخير يا سادة . . كيف حالكم ؟

الجلاد : (مغيظا) انظروا الى الرجل ! . انه يسألنا عن أحوالنا ! .

فريد : وأى شىء أفضل من السؤال عن الحال ؟

الجلاد : أأصدقك وأنت الذى فعلت ما فعلت بى ؟

فريد : حاشا لله أن أسبب لك أذى !

الجلاد : نعم سببت لى أذى . . سيخصم من راتبى جزاء رفضك الشنق . . وربما طردت من عملى وتشرد أولادى . . بسببك . . الحل الوحيد هو أن اهاجر . . فورا . .

فريد : حسنا تفعل . . فالبلد لم يعد يطاق ! .

الجلاد : نعم . . البلد لم يعد يطاق مادام فيه أمثالك ممن لا يهمهم أن يفقد المرء عمله ويشرد أولاده . . وتطلق زوجه . .

عطية : دعك من ذلك أيها الاحمق . .

الجلاد : الا ترى ما يفعل يا شاويش عطية ؟ يخنقنى هذا الهدوء البارد ! .

عطية : قلت دعك من ذلك . . (لفريد) وأنت ايها الرجل . . ماذا دهاك ؟

فريد : لم يدهنى شىء !

عطية : تثير الاضطراب وتخرق قوانين الانضباط دون أن يطرف لك جفن !

فريد : وفيماذا خرقت قوانين الانضباط . . قل لى ؟

عطية : عجبا ألم ترفض الشنق ؟

فريد : (بهدوء) نعم . .

الجلاد : أرأيت ؟ انه يعترف ! .

عطية : ونحن لا نريد شنقك بمزاجنا . . فلدينا حكم من القاضى بذلك . . ورفضك لهذا معناه خرق القوانين .

فريد : عجبا لكم . . تريدون شنقى دون أن أحتج ! .

عطية : كان باستطاعتك الاحتجاج هناك فى المحكمة . . أما هنا . .

فريد : هناك أو هنا . . المسألة عندى لا تختلف . . فهى حياتى على أى حال . .

عطية : حياتك لا تهمنا . . فأنت بالنسبة لنا رقم . . مجرد رقم فى ملف . . وفيما بعد عند الجرد السنوى للملفات والدفاتر سنخبرهم بأن عدد من شنقوا لدينا هذا العام هو - بإضافة رقمك - كذا . .

فريد : وهكذا . . أصبحت رقما . . مجرد رقم ! .

عطية : (بود) ايه يا ولدى . . كلنا أرقام ! . فأنا مثلا الشاويش رقم كذا فى هذا السجن . . ورقم كذا فى الوزارة . . وهذا الجلاد رقم كذا . . الشعب كله حين يخضع للتعداد يسمونه كذا مليون . . يا ولدى كلنا أرقام . .

(يجلس على حجر) .

فريد : نعم . . وأنا المشنوق رقم كذا . . والمدفون رقم كذا . .

عطية : وأى نعمة يرجوها المرء سوى ميتة هادئة بدون تكاليف ! . ففى حالتك ستتكفل الحكومة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بدفنك فيما اذا ادعى أهلك الفقر . . وينتهى الأمر كله . . إنها مريحة ! . ولكنك أحمق ! . وماذا يغريك فى الحياة ؟ بؤس وشقاء وهم . . أتعتقد أن أحدا من أهلك يرغب فى بقائك حيا ؟

فريد : هذا والله كلام طيب يا سيدى الجاويش . . وإذن - اذا كان الأمر كذلك فلم لا تنضم إلينا وتكافح معنا ضد النظام الفاسد ؟

عطية : (ينهض فزعا) لقد نسيت نفسى وتحدثت معك بما لا يجوز . . أخبرنى أيها الرجل . . هل ستشنق أم لا ؟

فريد : (بهدوء) لا . .

عطية : اذن ينبغى إيقاظ المأمور ليرى شأنه . . هذه مشكلة ! .

الجلاد : (فزعا) انتظر يا شاويش . . لا توقظه . . سنحاول إقناعه مرة اخرى . .

عطية : (وهو خارج) أقنعه أنت . . أما أنا فلدى عمل . .
(يخرج من اليسار)

الجلاد : أرأيت ما فعلته بى ؟ يخنقنى فيك هذا البرود . . هكذا بعض الناس . . لا يهتمون بتخريب بيت وتشريد أولاد . . ولماذا ستهتم ببيت وأسرة ؟ أنت كنت تنوى تخريب نظام حكم . . تخريب دولة بكاملها . . أتعرف انى أفكر الآن فى القضاء عليك بطريقة أخرى . . أطعنك بسكين مثلا . . وكله شنق على أى حال ! .

فريد : تطعننى بسكين ؟ ولكن هذه جريمة قتل ! .

الجلاد : نعم جريمة قتل إذا كان المقتول رجلاً بريئا . . أما إذا كان مذنبا - أنت محكوم عليك بالموت . . ولم يقل القاضى فى حكمه . . كما لم يكتب فى التقرير أنك يجب أن تموت بالخنق بواسطة الحبل . قيل « الاعدام شنقا » . . وهذا قد يشمل أيضا القتل بسكين ! .

فريد : هذا تحليل رائع يا عزيزى . . فلم لا تفعل ذلك ؟

الجلاد : إن حظك الطيب أوقعك فى يد رجل لا يحب القتل (يضحك فريد وينتبه الجلاد الى خطئه) لا تظن أن مهنتى هى القتل . . فأنا موظف حكومة . . أقوم بأداء عمل . . مقابل راتب شهرى . .

فريد : قل لى يا سيدى الجلاد . . كم رجلا قتلت فى حياتك ؟ . . آسف أقصد كم عدد الذين شنقتهم بأوامر من الحكومة ؟

الجلاد : لا أعرف العدد بالضبط . . فأنا أمارس عملى بأمانة منذ ثلاثين عاما . .

فريد : وكم تشنق شهرياً فى المتوسط ؟

الجلاد : يختلف ذلك . . ففى شهر قد أشنق عشرة أو عشرين . . وقد تمر عدة أشهر وأنا عاطل دون عمل ! .

فريد : عاطل ؟ نعم . . فاليد البطالة نجسة ! . ولكن ألا تشعر بتأنيب ضمير وأنت تشنق الناس ؟

الجلاد : ولماذا أشعر بذلك ؟ هم قتلة وسفاحون . . وأنا أحمى المجتمع منهم . .

فريد : ولكن لست قاتلا . . أنا مسجون سياسى ! .

الجلاد : لا شأن لى بهذا . . فلا تهمنى هذه التصنيفات . . أنا أنفذ فقط ! وفى ماذا يختلف المسجون السياسى عن غيره ؟ لعله أخطر . . فالقاتل الآخر يقتل فردا أو فردين والمسجون السياسى يقتل العديدين حين يخرب بلدا بأكمله فلا يسلم نساؤه ولا أطفاله .

فريد : آه . . هذا هو ما قالوه لك ؟

الجلاد : نعم . . ولكنه الحق أيضا . .
(يدخل المأمور وعطية . المأمور رجل فى الستين . . ضخم الجثة . طيب القلب . . يبدو أنه ارتدى ملابسه على عجل . . شعره مهوش . . وعيناه حمراوان من أثر النوم .) .

المأمور : (فزعا) ماذا حدث ؟ (للجلاد) لماذا تقف هنا ؟ (الجلاد يؤدى التحية بخوف) ألم تنفذ الأمر ؟ أوشكت الشمس على الشروق . . (ينتبه لفريد . .) أما زلت هنا ؟ لم لم تصعد إلى السماء ؟ (يشير لأعلى) أيفهمنى أحد ماذا يحدث هنا ؟

الجلاد : (مازال يؤدى التحية خائفا) يا سيدى المأمور . . رفض هذا المحكوم عليه الشنق ! .

المأمور : (مستنكرا) ما معنى هذا ؟ رفض الشنق ؟ ماذا يعنى بذلك ؟
أتعبث ؟ ماذا تركنا للأطفال ؟ (لفريد) قل لى أيها الرجل . . أقالوا لك إننا ندير حضانة للأطفال ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فريد : لا يا سيدى . . بل قالوا لى إنكم تديرون سجنا لشنق الناس ! .

المأمور : وإذن ما معنى هذا ؟كيف ترفض الشنق بعد كل هذه الإجراءات الطويلة المعقدة التى مررت بها منذ قبضوا عليك فى القسم وبت ليلة موجعة فيه ثم رحلوك فى اليوم التالى إلى المعتقل حيث عذبت عذاب الملكين . ثم عرضت على النيابة . . ثم المحكمة . . وضيع القاضى عشرات الساعات فى دراسة ملفك وترافع عتاة المحامين معك أوضدك وكتب عشرات الصحفيين معك أو ضدك . . ثم سيطر القاضى على عاطفته الإنسانية الطيبة . . وحكم عليك بالإعدام شنقا . . ثم صعدت الأوراق ووقع عليها المفتى . ثم بعد ذلك ترفض الشنق ؟ قل لى : أكان كل هذا عبثا ؟

فريد : لا يا سيدى . . لم يكن عبثا ! .

المأمور : ومادمت تعرف ذلك . . فلماذا اذن . .

فريد : أنا أعرفه . . ولكنه لا يهمنى . . لقد سجنت وحكم على لأننى عارضت نظام الحكم . . فلماذا تريدنى أن أطيعه الآن ؟ ما رأيك ؟ ألست منطقيا ؟

المأمور : (متحيرا) ولكن لا بد - أيا كان الأمر - من إطاعة نظام الحكم ! .

فريد : لن أطيع الحكم الصادر ضدى حتى تقتلونى بطريقة أخرى ! .

المأمور : بأى طريقة ؟

فريد : (مشيرا إلى الجلاد) قال هذا الرجل إنه يمكنه قتلى بسكين ! .

(المأمور ينظر إلى الجلاد بقسوة) .

الجلاد : (خائفا) كنت أمزح يا سيدى ! .

فريد : ولكنها طريقة جيدة على أى حال . .

المأمور : ليس ذلك داخلا فى سلطتى . . إن الأوامر أن أشنقك بالحبل ! .

فريد : ولماذا الحبل ؟ إنها طريقة عتيقة ليس فيها ابتكار ! . أليس من حقى اختيار الطريقة التى سأموت بها ؟

المأمور : عجبا . . انك ستموت على أى حال . . فما أهمية الطريقة ؟

(مرغبا) هيا يا ولدى . . ربنا يهديك . . ستنتهى النوبة ويصحو الجميع وتصبح فضيحة . . ماذا سأقول للمسئولين إذا لم أنفذ أمرهم ؟ سيتهمونى بأننى مشترك معك فى مؤامرتك ضد نظام الحكم . . سيفصلونى دون معاش ويشرد أولادى . .

الجلاد : قلت له ذلك أيضا يا سيدى المأمور ! .

المأمور : أخرس أنت ! . (لفريد) هيا يا ولدى . . سأحال على المعاش بعد أشهر ولا أريد أن تلوث سمعتى بالوحل ! .

فريد : أثرت عطفى يا سيدى المأمور . . ولكن ماذا تريدنى أن أفعل لك ؟

المأمور : أن تشنق . .

فريد : إلا هذا ! . (يبتعد) .

المأمور : (بحدة ويتحرك تجاهه وكأنه سيضربه) يا ولد يجب أن تشنق ! .

فريد : (مبتعدا بسرعة) لن أشنق . . وربنا لن أشنق ! .

المأمور : (متهالكا) عشت عمرى بأكمله أؤدى عملى كما ينبغى . . تقاريرى السرية ممتازة . . وثناء رؤسائى على جعل زملائى يحسدوننى . . لم أدع يوما أحداً من رؤسائى يوجه إلى ملحوظة . . سمعتى حسادة كتصل السكين . . أولادى يفخرون بأبيهم الذى أفنى عمره فى خدمة نظام الحكم . . على يدى تاب الكثيرون من المشاغبين الذين ظنوا أنفسهم قادرين على الإطاحة بالنظام وتهديد أمن البلاد . . وترويع المواطنين المساكين . . سأحال على المعاش بعد عدة أشهر وملفى نظيف كالخزف . . (يتجه اليه بقوة) وتريد أنت ببساطة أن تهدم كل شىء ؟ لن أسمح لك بذلك أبدا . . أتفهم ؟ شاويش عطية ؟

عطية : (يؤدى التحية) نعم يا سيدى ؟

المأمور : أرسل فى طلب الخدمة . . ينبغى أن يحمل قسراً الى المشنقة لتنفيذ الحكم . .

عطية : ولكن يا سيدى (مترددا) أقول إنه - (ينظر إلى الجلاد) .

المأمور : ماذا ؟

الجلاد : (لنجدة عطية) ليست المشكلة فى ذلك يا سيدى . . وإلا لكنت فعلت أنا ذلك وانتهيت . . المشكلة انه هو لا يريد الشنق . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المأمور : (ساخطا) أأنت سكران أيها الجلاد ؟ ومنذ متى كان أحد يرغب فى الشنق ؟

الجلاد : منذ ثلاثين عاما يا سيدى . . منذ أن عملت أنا هنا على الأقل . . كان المشنوقون يتقبلون الحكم بنفس راضية . . لا أقول ذلك بالضبط . . بل . . ربما كان نوعا من اليأس . . يستقبلون الحكم الصادر ضدهم بالفزع . . ربما تأثير الصدمة . . ثم يتخبطون فى السلوك . . فقد يسبون سجانيهم أو - أحيانا - يضربونهم . . على أنه : ماذا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها ؟ . . وقد ينهارون ويبكون كالأطفال . . وبعد ذلك وساعة تنفيذ الحكم . . يسيرون مع سجانيهم فى رضوخ واستسلام ويصعدون إلى المشنقة فى هدوء ودون ضجة . . إنه نوع من اليأس يصيبهم يا سيدى . . ولكن هذا يا سيدى . . أقصد أنه ابن جنية ! . .

المأمور : ما ابن جنية هذه ؟ ماذا تريد أن تقول ؟

الجلاد : انه يا سيدى لم يصب بالفزع ساعة سماعه الحكم الصادر ضده . . هو قال لى ذلك . . وكذلك زملاؤه فى القفص . . ثم لم يصب بالإحباط ولا بالتخبط فى السلوك وفضلا عن ذلك لم يصب عقله بالتوقف . . ذلك الذى يصيب كل المحكوم عليهم . . فهو يفكر . . يفكر . . يفكر حتى وهو على وشك الموت . . أتصدق يا سيدى إنه يفكر حتى ساعة أن أشد الرافعة . . وجدته - ويا للغرابة ! - يرشدنى إلى الطريقة الصحيحة لشد الرافعة ! .

المأمور : وهل سمعت كلامه ؟

الجلاد : لقد ارتبكت يا سيدى . . فأنت لا يمكن أن تؤدى عملا بطريقة جيدة إذا وجه أحدهم إليك ملحوظة تختص به . . ولكنى ما ان شددت الرافعة بالطريقة التى أخبرنى بها حتى قفز الملعون لكى يتجنب سقوط قدميه فى الهوة . . ووضع أطراف أصابعه على الأرضية المجاورة وبذلك فشلت العملية كلها . . صدقنى أنه ليس ذنبى . . إنه ذنب أبيه !

المأمور : أبوه ؟ وما بال أبيه ؟

الجلاد : إنه هو الذى أنجبه بهذا الطول الفارع مما جعله يتمكن من لمس الأرضية بقدميه . . إنه أبوه يا سيدى هو السبب ! .

المأمور : دعك من ذلك . . وقل لى . . ألا يمكن تقصير الحبل ؟ .

الجلاد : لا يا سيدى . . فهو قصير بما فيه الكفاية ! .

المأمور : إذن يمكن تغطية عينيه حتى لا يرى لحظة شد الرافعة ! .

الجلاد : لا يمكن يا سيدى . . فالغطاء الذى نستعمله مثقوب أمام العينين ! .

المأمور : لفه إلى الجهة الأخرى . .

الجلاد : الغطاء أم المشنوق ؟ .

المأمور : الغطاء أيها الغبى ! .

الجلاد : إنه مثقوب من الخلف ! .

المأمور : ماذا ؟ أتعبث بى ؟ لا تدعنى اتهمك بالتواطؤ معه . .

الجلاد : (خائفا) معاذ الله يا سيدى ! . إننى أشرح الأمر . . ألم أقل لك يا سيدى إنه « ابن جنية » ! .

المأمور : وبعد ؟ ألا مخرج إذن ؟ (متحيرا ينظر إلى الجميع . فريد لا يبالى وكأن الأمر لا يعنيه) .

الجلاد : صدقنى ياسيدى . . يمكننا قتله بطريقة أخرى . . ثم يدفن ونكتب تقريرنا كالمعتاد !

المأمور : أتريدنى أن ارتكب القتل (أنا حامى حمى القانون)؟ إننى لا أخالف ضميرى . قالوا الإعدام شنقا فلابُد أن ينفذ الأمر كما أمرنا . . أما قتله بطريقة أخرى فهو جريمة . . لا يسمح لى ضميرى بها . .

الجلاد : وماذا نفعل يا سيدى إذا كانت المشنقة قديمة ؟ طلبت منهم عدة مرات أن يشتروا لنا مشنقة جديدة . .

فريد : (ضاحكا) وهل تشترى المشانق ؟

الجلاد : (ينظر إليه بغيظ ثم مستمراً) ولم يستمع الى أحد يا سيدى ! .

(يدخل جندى الحراسة) .

الجندى : (يؤدى التحية) تغيير الخدمة يا سيدى . .

المأمور : (محنقا) ما الذى دخل بك هنا أيها الغبى ؟

الجندى : (مذهولا) تغيير الخدمة يا سيدى . .

المأمور : (لعطية) اذهب لتغيير الخدمة . . ولكن لا يسمح لأحد بالانصراف أبدا حتى إشعار آخر . .

عطية : (يؤدى التحية) حاضر يا سيدى . .

(يخرج ومعه الجندى) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المأمور : (يلف ويدور ويزأر كالاسد) أرأيت ماذا فعلت بنا أيها الرجل ؟
دقائق وينتشر الخبر فى البلد كلها . . ماذا فعلت يا ربى لأجازى بذلك ؟

فريد : أهدأ يا سيدى ! .

المأمور : أهدأ ؟ أتقول أهدأ بهذا البرود ؟ لكم أتمنى أن أخنقك بيدى هاتين ! .
(يتجه نحوه ويحاول خنقه بالفعل . فريد هادىء . يتوقف المأمور بعد فترة) لكن لا ينبغى أن أفعل ذلك . . فأنا رجل قانون . .

الجلاد : دعنى أنا أفعلها يا سيدى ! .

المأمور : اسكت أنت ! . لو كنت تحسن أداء عملك لما أوقعتنا فى هذه الورطة ! .

الجلاد : أنا يا سيدى ؟

المأمور : وتسمع كلامه حين يوجهك لشد الرافعة ! . وأنت تدعى أن لك ثلاثين عاما فى مهنة الشنق . . لو كان حمارا لأتقن المهنة جيدا . .

الجلاد : الواقع يا سيدى . .

المأمور : قلت اسكت ! . ولا أريد أن أراك أمامى . .
(يخرج الجلاد . . المأمور يلف ويدور ويزأر كالأسد) هذا هو ماخفته دائما . . كنت أريد أن أنهى الأشهر الباقية على خير . . نظيف الملف . . حسن السمعة . . محبوبا من رؤسائى . . ممدوحا من مرءوسيى (يشير كدائرة) هذا السجن أنا الذى بنيته . . (يفرد راحتيه) بيدى هاتين . . نفذت الأوامر الموكل إلى تنفيذها . . ويعلم الجميع أننى لم أفعل ذلك برغبة منى . . كان كل ما فعلته بأوامر عليا . . والرجل الشريف هو من ينفذ أوامر رؤسائه دون مراجعة . . دون أن يسمح لنفسه بالتفكير فى تجاوزها عن الحد . . أو - استغفر الله - فى خطئها ! . ما شأنى أنا ؟ أنا دائما أطلب من أولادى أن يعيشوا ساكنين . . يمشوا جوار الحائط . . يتنازع الحكام الحكم فيما بينهم . . ما شأننا بهم ؟ نحن مواطنون نعيش حياتنا ونموت بهدوء دون أن يكون من حقنا أن نسأل لماذا يمتلىء البحر ويفرغ ؟ لماذا يجور على الشاطىء أحيانا فيغرق البيوت والناس ؟ . . للكون أناسه الذين يسيرونه كما يشاؤون . . أما نحن - ماذا نحن ؟

فريد : عظيم يا سيدى المأمور ! . كان هذا حالنا فيما مضى . . ولكننى قررت أن أقف فى العراء خالعا ملابسى لكى أفهم . . قررت أن أسأل البحر : لم تمتلىء وتفرغ ؟ لماذا تغرق الناس والبيوت ؟ . أهذا ليس حقى ؟

المأمور : لا . . ليس حقك . . لقد فعلتها بالفعل - فماذا حدث ؟ سألت البحر فأغرقك فى طريقه . . وقفت أمام الموج فلا بد أن تزول من الوجود . . لا يوجد ما يمكن أن يصد الأمواج وبالذات إذا كانت عالية وقوية وسريعة . . كان عليك أن تلقى بنفسك أرضا كى تعبرك الأمواج . . هذا هو ما أعرفه . . . هذا هو ديدنى . . والآن لا فائدة . . لقد سلمت . . على أن أتصل بالمحافظ وأتحمل بعض التقريع . . وربما نقطه سوداء فى ملفى . . وربما أحلت على المعاش مبكرا . . لا يهم كل ذلك . . لقد تعبت . .
(يدخل عطية)

عطية : اتصل سيادة المحافظ يا سيدى تليفونيا . . وهو فى الطريق ! .

المأمور : (مندهشا) وكيف عرف المحافظ بالأمر ؟ أيقرأ أفكارى ؟

عطية : لا أعرف يا سيدى . . ولكنه عرف . . ربما جندى الحراسة أبلغ زملاءه . . وهكذا - لا شىء يخفى فى بلادنا ! .

المأمور : (يفرك يديه قلقا) نعم . . لك حق . . يا لها من بلاد ! .

فريد : (يضحك فجأة بمرح)

المأمور : (محنقا) ما الذى يضحكك يا هذا ؟ . . هل الظرف مناسب للضحك ؟

فريد : عفوا يا سيدى المأمور . . ولكننى حين عرفت أننى سأقابل المحافظ شخصيا بعد دقائق أصابنى الفرح . . فلم يحدث فى حياتى أن قابلت عظيما من العظماء . . أولئك الذين نرى صورهم فى الصحف . . ترى ما شكل هذا المحافظ على الطبيعة ؟

المأمور : (بحدة) وماشكله ؟ « بنى آدم » ككل بنى آدم ! .

فريد : عفوا ! . حسبته من طينة أخرى غير طينة البشر ! .
(فريد يتجه الى الجهة الأخرى ويصمت) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المأمور : (جانبا) لم يكن ينقصنا إلا هذا ! . (منـاديا) يا عطية ؟

عطية : نعم يا سيدى ؟

المأمور : هل كل شيء جاهز ؟ الخدمة القديمة والجديدة ؟

عطية : استلمت الخـدمـة مـواقعهـا . . أمـا من أنهوا ورديتهم فقـد أمـرتهم بـالانتـظار تـنفيـذا لتعليماتكم . .

المأمور : والنظافة . . والمساجين . . الـزنـازين . . العنابر . . قائمة الطعام . . دورات المياه .

عطية : (قلقا) الواقع يا سيدى . . أننا . . لم يتـح لنا الوقت الكافى . .

المأمور : ماذا تقصد ؟

عطية : أعنى أنه . . لقد صرفنا المساجين بـالأمس إلى زنازينهم حتى لا يروا تـرتيبات الاعـداد لإعدام هذا (يشير إلى فريد) فلم نستطع تنظيف قاعة الطعام بعد العشاء . . ولا دورات المياه . . كما أن المساجين بـالـطبـع لم يستحمـوا ولم يحلقـوا بعد . . وخصوصا بعد العمل الشاق فى الجبـل أمس . .

المأمور : (يتمشى ويـداه خلف ظهـره) عـظيـم ! . سيحضر المحافظ لكى يمتع أنفه بـرائحة كـريهة تنبعث من دورات الميـاه . . ووجـوه ورءوس طويلة الشعر وملابس مهدله قذرة . . لقد أكمل الديكور المسرحى الموقف . . الآن على أن أنتظر ليس التقريع وحده بسبب تمرد هـذا (يشير إلى فريد) ولكن أيضا الإهانة والفصل من الخدمة وربما دون معاش . . ويعاير أولادى زملاؤهم فى المدارس لأن أباهم عجـز عن ادارة سجن . . (بحركة يأس) ليكن ما يكون ! .

فريد : ما الأمر يا سيدى المأمور ؟

المأمور : (بغيظ) وما شأنك أنت ؟

فريد : أردت أساعدك . . إذا كانت هناك مشكلة ! .

المأمور : تساعدنى فيم ؟ .

فريد : فى ما تأمر به !

المأمور : أحقا ؟ (فرحا) .

فريد : نعم . . بالطبع ! .

المأمور : ولكن . . لا . . لن تستطيع ! .

فريد : جربنى يا سيدى !

المأمور : تعنى انـك يمكنك ان تضبط إرادتـك . . وتنفذ وعدك لى ؟

فريد : لقد وعدت ! . (يدخل الجلاد وينتظر الأمر) .

المأمور : (للجـلاد) اذن خـذه يـا هـذا لكى يشنق . . (الجلاد فرح)

فريد : (متراجعا الى بعيد) إلا هذا ! .

(الجلاد يعود خائبا يخرج)

المأمور : (تبوخ فرحته) ألم أقل لك إنك لن تستطيع ؟

فريد : صدقنى يا سيدى . . أنا أريد أن أقدم إليك أى خـدمة . . حتى لـو كـانت تلك ان أنـزع لـك عينى . . أو أهب لك روحى . . ولكن بطريقة أخرى غير الشنق ! .

المأمور : (يتمشى غاضبا) هـذا هو مـا ينوبنـا منك . . الجـدل والكـلام الفـارغ . . مسـاجـين آخـر زمن ! . ليرحمنا الله ! .

(صوت قعقعة سلاح فى الخارج وكلمة : حرس سلاح . . يدخل المحافظ . رجل قوى الجسم فى الستين . . له كرش بارز . . أصلع الرأس . . . ويـرتدى نـظارة سميكة . . يتحـدث من أنفه بسرعة ويعرج فى مشيه) . .

المحافظ : ما هذا الذى أسمع عن سجنـك أيها المـأمور ؟ يقولون إنه تمرد ورفض الشنق ؟

المأمور : لا ياسيدى المحـافظ . . السجين لم يـرفض الشنق . . وهل يرفض السجن الشنق ؟ . . إنه مشنـوق واحـد يـا سيدى هـو الـذى رفض الشنق ! .

المحافظ : ما هذا اللغو ؟ تحدث بهدوء حتى أفهمك ! .

المأمور : أنا أتحدث بهدوء يا سيدى ! .

المحافظ : أين هو هذا ؟

المأمور : (مترددا ثم ليتخلص من الموقف يشير إلى فريد) هو هذا ! .

المحافظ : (يـرمق فـريـد ويتجـه نـاحيتـه) مـا هـذا ؟ ما أنت ؟ .

فريد : بنى آدم يا سيدى ! .

المحافظ : أعـرف هذا . . فنحن لا نشنق الحيـوانات ! . تحدث عن نفسك ! .

فريد : أنا فريـد . . أربعون عـاما . . أعمـل كاتبـا - مؤلفا للكتب . .

المحافظ : عظيم . . ولماذا تعطل القانون ؟

فريد : أنا لا أعطل القانون يا سيدى . . فهو ميت . . وهل يمكن أن يعطل الميت إلا عن الدفن ؟

المحافظ : هذه الجرأة عجيبة لم أسمع بها من قبل ! .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فريد : (مرحا) من يعش يرى العجائب يا سيدى ! (يضحك) .

المحافظ : (يرمقه بغيظ) أفى الأمر ما يضحك ؟

فريد : أنا أراه كذلك . . والمسألة وجهة نظر ! .

المحافظ : أأنت الذى تعارض نظام الحكم وصدق على الحكم بشنقك ؟

فريد : نعم يا سيدى . . لولا أننى لا أعارض نظام الحكم . . بل أعارض فساد الحكم ! .

المحافظ : وتقول ذلك أمامى ؟ هذه جرأة متناهية ! .

المأمور : ها أنت ترى يا سيدى المحافظ كم أشقى مع هؤلاء الاشقياء الملاعين ! .

المحافظ : اسكت أنت . . فلو كنت تعرف عملك لما جرؤ هذا على مجرد الحديث ! . لا عجب إذن أن أرى القذارة فى كل مكان فى السجن . .

المأمور : سيدى . .

المحافظ : سيكون حسابك عسيرا فيما بعد ! . والآن ماذا حدث . . ؟ ولكن لتنته الأمر ولا أريد أن يعرف أحد بذلك . يجب أن ينتهى الموضوع بأسرع ما يمكن ! .

عطية : ولكن يا سيدى . . أقصد . .

المحافظ : ماذا تريد أنت أيضا . ؟

عطية : اقول ياسيدى أن شنق المحكوم عليه الآن غير جائز ! .

المحافظ : ما معنى هذا ؟

عطية : لقد سطعت الشمس . . واستيقظ الجميع . . واللائحة تقول إنه ينبغى إجراء عملية الشنق فجرا ! .

فريد : نعم . . لكى يستقبل المشنوق آخرته من أولها ! .

المحافظ : اسكت انت ! عجبا ! . (يتمشى ويداه خلف ظهره) لم ينقصنى إلا اصحاب الروتين ! . الحكم صدر بشنقه اليوم . . فلست أرى فارقا كبيرا بين الفجر قبل شروق الشمس والفجر بعده ! .

عطية : ولكن يا سيدى . .

المحافظ : انتهينا ! . كنت أفكر فقط ! . (ينظر إلى السماء) يا رب أعنى على الخلاص من هذا المأزق ! .

فريد : نعم . . ادعه لكى يعينك على شنقى ! .

(المحافظ ينظر إليه بغيظ) عندى فكرة يا سيدى اقترحها الجلاد على المأمور فلم يوافق عليها . .

المحافظ : (يرمق المأمور) وماهى ؟

فريد : المقصود بالشنق هو القتل . . فلماذا يجب أن يكون هذا بالحبل . . لم لا تقتلونى بسكين أو بالرصاص مثلا ؟

المحافظ : (للمأمور) فكرة لا بأس بها . . لم لم تنفذها ؟

المأمور : لا أستطيع يا سيدى ! .

المحافظ : ولماذا لا تستطيع ؟ انه واجبك ! .

المأمور : واجبى حسب نص الحكم هو شنق المتهم . . والشنق فى العرف هو الخنق بالحبل . . فكيف أخالف الأمر وأقتله بسكين ؟ إن هذا يعد قتلا يا سيدى ! .

المحافظ : لا تخف ! . أفعل ذلك على مسئوليتى ! .

المأمور : لا أستطيع يا سيدى ! . يمكنك ان تأمر أنت الجلاد بقتله بسكين وهو - أقصد الجلاد - يرحب بذلك ! .

المحافظ : (فزعا) وما شأنى أنا بذلك ؟ أنا آمر رجلا بالقتل ؟ أجننت ؟

المأمور : عفوا يا سيدى . . أنا لا أستطيع ! .

المحافظ : لا بأس . . لا بأس . . إذن مالعمل الآن ؟

المأمور : لا أعرف يا سيدى ! .

(يدخل جندى ويسر فى إذن الشاويش عطية ثم ينصرف) .

عطية : (يؤدى التحية) سيادة الوزير قادم يا سيدى . . أتصل تليفونيا الآن ! .

المحافظ : وكيف علم الوزير ؟ شىء عجيب ! .

المأمور : نفس ما حدث لى يا سيدى . . فقد علمت أنت بالأمر دون أن أخبرك به ! .

المحافظ : حسنا ليحضر الوزير فقد نجد حلا لذلك معا ! . يتركنى لأواجه تلال المشاكل هنا وأبدو أمام الحاكم صغيرا عاجزا ؟ . عليه إذن أن يشاركنى تبعة المسئولية . .

(صوت قعقعة سلاح ثم صيحة حرس سلاح . يدخل الوزير . رجل طويل القامة . مهيب . . ضعيف النظر جدا ويسحبه أحد السعاة . شعره أبيض مجعد كالقطن) .

الوزير : (للساعى) من بالحجرة يا ولد ؟

الساعى : هذا سيادة المحافظ والمأمور . . والمشنوق ! .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوزير : لم يشنق بعد أيها الأحمق . . فسمه اسما آخر . .

الساعى : غير المشنوق ! .

الوزير : مغفل ! . أتعامل مع الحمقى والمغفلين . . أقول له اسم آخر فيردد نفس الاسم مسبوقا بلفظه نافية : (للساعى) اسحبنى جهة المحافظ . .

الساعى : (يسحبه) ها هو . . أمام عينك اليمنى ! .

الوزير : أمام عينى اليمنى ؟ أيها الغبى . وهل أنا أرى الطريق أمامى حتى يمكننى رؤية عينى اليمنى ؟ أيها المحافظ . .

المحافظ : نعم ؟

الوزير : نعم ؟ فتح الله عليك بعد صمت بنعم ؟ قل لى . . لماذا لم يشنق المشنوق ؟

المحافظ : انه مسئولية المأمور أيها الوزير ! .

المأمور : (فزعا) بل هى مسئولية الجلاد يا سيدى ! .

الوزير : عجبا . . كل يزيح الهم عن كتفيه . . وأين الجلاد ؟

المأمور : أتت به يا شاويش عطية . .

عطية : (يؤدى التحية) حالا يا فندم ! . (ويخرج) .

المأمور : (يتجه نحو الوزير) سيدى الوزير . . ان الجلاد يقول إن هناك عيبا فى المشنقة هو الذى منع اتمام المهمة وشنق المتهم ! .

الوزير : عيب فى المشنقة ؟ . وكيف يمكن أن يكون هناك عيب فى المشنقة ؟ هل المشانق يلزمها صيانة أيضا ؟

المأمور : طبعا يا سيدى . . أليست آلة ؟

الوزير : بالطبع آلة . . وإن كنت فيما قبل أصنفها مع أشياء أخرى . . حتى قلت لى أنت إنها آلة . . والآن أخبرنى . . ما هو عيب آلة الشنق هذه ؟

المأمور : إن المسافة - يا سيدى قصيرة بين السقف المعلّق فيه المشنقة وبين الأرضية . . فإذا وقف المشنوق وعلق فى رقبته الحبل انثنت ركبتاه حتى يباغت بشد الرافعة فتنفتح الهوة وتنفرد ركبتا المشنوق فيخنقه الحبل . .

الوزير : عظيم ! . وأين العيب إذن ؟ انى أراها أداة جيدة الشنق ! .

المأمور : العيب يا سيدى فى هذا الرجل نفسه (يشير الى فريد) إنه طويل القامة جدا . . ولكن ليس هذا هو المهم . . فطوال القامة يمكن على أى حال شنقهم . . هذا الرجل لئيم يا سيدى . . إنه جنس نمرود يهرب من الشنق بالقفز قبل فتح الهوة لكى يلامس الأرضية المجاورة . . فيتوقف عمل الآلة . .

الوزير : عجيب ! .ولما تقصرون طول الحبل ؟

المأمور : انه متهرى بسب القدم ! .

الوزير : غيروه بحبل جديد ! .

المأمور : يحتاج هذا إلى مناقصة ! .

الوزير : اشتروا مشنقة جديدة . . اقترضوا مشنقة من السجن المجاور ! .

المأمور : يا سيدى هذه إجراءات تحتاج إلى وقت . . ونحن نريد الانتهاء بسرعة قبل أن نتهم بإعاقة تنفيذ الحكم .عجبا ! . وما الحل إذن فى رأيك ؟

المأمور : لا يوجد سوى حل واحد : إقناع المتهم بأنه يجب أن يشنق ! .

الوزير : إقناعه بأنه يجب أن يشنق ؟ وهل يمكن إقناع أحد بذلك ؟ عجيب هذا ! (للساعى) خذنى إلى المشنوق ! .

الساعى : لم يشنق بعد يا سيدى ! (يسحبه) .

الوزير : يا للفصاحة ! . (ينادى وهو يبحث بعينيه) أنت أيها الرجل المشاغب ! .

فريد : (ينبهه) أنا هنا . . ولكنى لست مشاغبا !

الوزير : أنت تعطل تنفيذ القانون . . فكيف تكون غير مشاغب ؟

فريد : أنا لا أعطل تنفيذ القانون . . بل أدعو إلى العمل به !

الوزير : (بلهجة تقريرية) تدعو إلى العمل به بأن تكون أول من يخالفه ! . يالها من طريقة جديدة لترويج الأفكار ! . . فل لى لماذا لا تريد أن تشنق ؟

فريد : يا له من سؤال يا سيدى ! . وهل يوجد من يريد أن يشنق ؟

الوزير : نعم يوجد . . حين تضيق الدنيا بفرد . . ولكن قل لى : لماذا لم تصب بالاحباط واليأس برغم الهول الذى رأيته هنا . . ألست إنسيا . . أخلقت من طينة غير طينة البشر ؟ أتختلف عمن شنق ممن سبقوك ؟

فريد : لا يا سيدى لم أخلق من طينة أخرى . . بل إن مصيبتى أننى أعى كونى بشريا . . غير أن الأمر أننى رجل صاحب مبادىء ! .

الوزير : عظيم ! . أو تمنعك هذه المبادىء من الإصابة باليأس ؟ أتجعلك فوق مستوى البشر ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فريد : لا .. أبدا .. بل هى تجعلنى إنسيا فحسب .. ولكنها أيضا تجعلنى قويا واثقا بنفسى !.

الوزير : واثقا بنفسه .. أترون ؟ واذن فمن المستحيل إصابتك بإحباط ؟

فريد : تماما يا سيدى .. عبثا تحاول !.

الوزير : (يشير للساعى) ولماذا إذن يسحبنى هذا المغفل من المنزل إلى مكتبى بالوزارة ثم إلى هنا ؟ أما كان من الأفضل لو أكملت أحلامى فى فراشى الدافىء ؟ قل لى أيها المأمور ..

المأمور : نعم يا سيدى ؟

الوزير : ألا يمكن عمل شىء ما لإصلاح هذه المشنقة اللعينة ؟

المأمور : لا يا سيدى .. للأسف !.

الوزير : ألا بد إذن من إقناعه .. بأن يشنق بإرادته ؟

المأمور : تماما يا سيدى ..

الوزير : (جانباً) غريبه حكاية المشنقة التى تعمل بشروط ! (للمأمور) أين أنت ؟ أيها المأمور ؟

المأمور : (ينبهه) أنا هنا يا سيدى ..

الوزير : قل لى كيف يمكن إقناعه ..

المأمور : (هامسا) يمكن ذلك يا سيدى بسهولة تامة ..

الوزير : كيف ؟

المأمور : يمكن ذلك بسهولة للنساء ..

الوزير : النساء ؟ ماذا تعنى ؟

المأمور : نُحضر نساءه : أمه زوجته ابنته .. ثم نهددهن أمامه حتى يلين ويطلب أن يشنق بنفسه رحمة بهن !.

الوزير : نعم .. هذه فكرة حسنة .. تستدعى نساءه .. ولكن بدون تعذيب أريدك أن تقنعهن بأن يقنعنه .. والمثل يقول .. إذا أردت أن تذل رجلا .. سلط عليه امرأة (يضحك الوزير والمأمور والمحافظ)

المحافظ : هذه فكرة حسنة .. يا لك من مأمور عجوز !.

المأمور : (سعيداً بالمديح وينحنى) فى خدمة بلدنا يا سيدى !. (يدخل عطيه والجلاد الذى يبدو عليه النعاس ويفرك عينيه) لماذا تأخرتما ؟

الوزير : من هذا ؟

المأمور : إنه الجلاد يا سيدى .. أنت طلبته ..

الوزير : أنا طلبت جلادا ؟.. بالمناسبة ما معنى الجلاد ؟

المأمور : انه الرجل الذى يشنق الناس يا سيدى !

الوزير : آه نعم .. الذى يشنق الناس .. عرفت الآن .. ولماذا لا يسمونه « شنّاق » ؟

فريد : (ضاحكا) شناق ؟ نعم بالطبع .. سؤال وجيه !

المأمور : (فى حيرة) الواقع يا سيدى .. لم تخطر هذه الفكرة على بالى قط !..

المحافظ : (هامسا) سيدى الوزير .. لا داعى لهذا .. فهناك أغراب !..

الوزير : نعم هناك أغراب .. ولكن ما الذى لا داعى له ؟ هل أخطأت ؟ إذا كنت قد أخطأت فالعتب ـ إذن ـ على النظر !.

المحافظ : (يائسا) لا .. ليست هناك أخطاء .. (لعطية يشير إلى الجلاد) أين كنتما ؟

عطية : (مرتبكا) الواقع يا سيدى .. أننا .. كنا نمر على الخدمة ..

المحافظ : ولماذا لم تمر أنت وترسله هو إلى هنا ؟

عطية : لم أكن أعرف أن نومه ثقيل إلى هذه الدرجة !. (ينتبه إلى خطئه بعد فوات الأوان)

المأمور : نوم ؟ أتنام فى الخدمة أيها المغفل ؟ (الجلاد خائفا)

الوزير : من فضلكم لا داعى لهذا الآن .. وأنت أيها الرجل الذى يشنق الناس ..

الجلاد : (يؤدى التحية) نعم يا سيدى ؟

الوزير : (للساعى) اسحبنى عنده .. (يسحبه ثم لهم) لماذا كنا نريد هذا القاتل ؟

المأمور : أى قاتل يا سيدى ؟

الوزير : هذا الذى يشنق الناس ..

المأمور : آه .. كنا نريد أن نسأله عن المشنقة ..

الوزير : آلة الشنق الفاسدة هذه ؟ أعتقد أننا انتهينا منها .. أليس كذلك ..

المأمور : نعم يا سيدى انتهينا منها ..

الجلاد : ولكنى أريد أن أقول شيئا يا سيدى ..

الوزير : ماذا تريد ؟

الجلاد : لست أنا المذنب يا سيدى فى عدم قيام المشنقة بواجبها الوطنى ..

الوزير : من المذنب إذن ؟

الجلاد : أبوه ..

الوزير : أبو من ؟.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجلاد : أبو المتهم !.
الوزير : وهل أبوه سيشنق أيضا ؟
المأمور : لا يا سيدى . . هو يقصد أن أباه أنجبه طويل القامه جدا !.
الوزير : الأباء دائما مذنبون . . (للجلاد) إذن أذهب أيها الرجل لتنام . . أريدك أن تكون متيقظا تماما حين نفرغ من إقناع هذا الرجل . . هيا انصرف ولا تحلم ! . .
الجلاد : (يؤدى التحية) حاضر يا سيدى ! . . (ينصرف سعيدا)
الوزير : وأنت أيها المأمور . . أفعل كما اتفقنا . .
المأمور : (يؤدى التحيه) حاضر يا سيدى الوزير !.
الوزير : أنصرف أيها المحافظ ؟
المحافظ : نعم . .
الوزير : (للساعى) اسحبنى يا ولد !. (يخرجون)
المأمور : (لفريد) أرأيت ما فعلت أيها الشقى ؟ قلبت الحكومة رأسا على عقب !.
فريد : هذا حسن على أى حال . . لم استطع قلبها بالجدية . . فلأقلبها إذن ببعض الشقاوة !.
المأمور : (ينادى) يا شاويش عطيه . . (يدخل عطية) خذه إلى زنزانته . . (يأخذه ويدخله زنزانته) . . المأمور يفرك يديه ثم يرفعهما عاليا فكرة جهنمية . . النساء . . يارب تنفع !
(يخرج . . ستار)

الفصل الثانى

نفس المنظر :
فريد جالس على الأريكة بداخل الزنزانه ويداه بين ركبتيه . يدخل المأمور وفكرية أم فريد والشاويش عطيه .

المأمور : ها هو ابنك . . كما اتفقنا . . عليك بإقناعه حفاظا على أشياء كثيرة حدثتك عنها . . لا أريد خروجا عن المطلوب . .
فكرية : لست بحاجة لأن تهددنى يا سيدى المأمور !.
المأمور : أنا لا أهددك . . لماذا هذه العصبية ؟ لعل فهمت الآن سرّ ابنك !
فكرية : إلى ماذا تلمّح ؟
المأمور : لا شىء . . دعينا نتحدث فى المهم . .
فكرية : لقد حدثتنى فيه ــ هذا المهم ــ عشر مرات . . أنا لست غبيه ! . .
المأمور : أعرف . . أعرف . . والآن سأنصـــرف . . يا عطية . . لا تسمح لأى مخلوق بالدخول إلى هنا قط . .
عطية : نعم يـا سيـدى ! . . (يخـرجـان . وتبكى فكرية . . أمراة فى الستين . ترتدى ملابس سوداء أنيقة . . وطرحة سوداء شفافة وقفازا . تبدو هادئة . . متأملة . . وإن كانت تثور أحيانا بفورات فجائية يتبعها هدوء متوسطة القامة والوزن) .
فكرية : (تذهب إلى الزنزانة وتنبهه دون انفعال) تعال هنا يا فريد . .
فريد : (يخرج ويتواجهان فى منتصف المسرح) نعم يا أمى ؟
فكرية : (ترمقه) أراك فى أسعد حال ! . .
فريد : (ينظر إلى نفسه ساخرا) كما ترين . . فى ملابس الإعدام . . هذا شىء يبذل الكثيرون عرقهم ودماءهم فى سبيله . .
فكرية : وفكرت فى طلبنا لزيارتك . .
فريد : نعم (ساخرا) لكى تتمتعوا برؤيتى !.
فكرية : نحن لم نقصر . . زرناك كلما احتجت . . وكما هو الواجب . . وأحضرنا لك ما تشتهى !.
فريد : كما هو الواجب !. كنت دائما يا أمى تؤدين الواجب . . هذا أعلمه جيدا !.
فكرية : (تنتبه إلى تعليقه) ليس أداء الواجب عيباً . .
فريد : لا يا أمى . . ليس عيبا . . إذ تمليه مقتضيات الظروف الاجتماعية !.
فكرية : (بهدوء) أجئت بى إلى هنا لكى تسخر منى . .
فريد : لا يـا أمى . . أنـا لم آت بـك إلى هنـا . . بـل هم . .
فكرية : لا تختلف كثيراً . . فهو نتيجة لتصرفك !.
فريد : أرادوك أن تقنعينى بأن أشنق !.
فكرية : هـذا ليس ذنبى . . سرت فى تيار أقوى من قدرتك فجرفك معه . . أنت عنيد كأبيك . . ودائما كان يفعل ما يجلب عليه المصائب . . والآن جلبت عليك عداء الجميع : الحكومة

والناس . . ماذا كنت تنتظر ؟ أنا لا أحب أن أفقد كرامتى بالجرى وراءك ؟

فريد : هذا حق . . فقد جلبت العداء . . ولكنى لم أسر فى تيار أقوى من قدرتى . . بل سرت فى التيار الصحيح . . وسواء كان أقوى منى أم أضعف فهو على أى حال الصحيح . . وماذا يهمنى من عداء الجميع . . (يرمقها ساخرا) فالجميع على كل أعدائى من قبل ! وأنا يا أمى لم أطلب منك أن تجرى ورائى فتفقدى كرامتك . .

فكرية : (ثائرة) مازلت على عنادك الغبى ! . لماذا لم تعش حياتك كما يعيش الناس ؟ تريد أن تصلح كل شىء ؟ فلماذا لم تصلح نفسك أولا ؟ كان أبوك يثير نقمتى وغيظى دائما بغبائه وعناده الأحمق !

فريد : نعم يا أمى . . لعلى لم أكن ابنا طيبا . . ولكنك وأبى تسببتما فى شقائى . فبالساعات كنتما تتشاجران . . وبالأيام تختصمان . . ويستغلنى كل منكم فى إغاظة الآخر باستمالتى إليه . . وبعد ذلك أظل كما مهملا أياما طويلة . .

فكرية : ليس الأمر كذلك . .

فريد : ومع ذلك . . فأنا فعلت ما فعلت لأجلكم . . لقد أردت أن تفهما حقيقة العلاقة الزوجية . . حقيقة العلاقة بين الآباء والأبناء . . فليست المسألة ملكية يا أمى . .

فكرية : (ساخرة) وتريد أن تفهمنا ذلك بأن تشنق ؟

فريد : لعلى أسرفت فى العناد معهم . . فالأمر كان يحتاج إلى بعض السياسة . . بعض المرونة لا تخيب وتخفف من حدة الأمور . .

فكرية : والآن ماذا أنت صانع ؟

فريد : اتريدين أن اشنق يا أمى ؟ (تطرق صامته) هو سؤال محرج ! . أو لعله لا يليق أن يسأل ! .

فكرية : أنا لا أريدك أن تشنق . . بل أريدك أن تطيعهم . .

فريد : أطيعهم ؟ يعنى ذلك أن اشنق يا أمى !

فكرية : ليست أعرف كيف تفكر . . لقد ولدنا وتعودنا على طاعة الكبار أيا كان الأمر . .

فريد : طاعة الكبار ! . ولذلك تسببتما فى تعاستى ! .

فكرية : (متشكية) وهل كنت تسمع لنا رأيا ؟ كنت تفعل ما يشير عليك به رأسك . . كنت عنيدا منذ صغرك . . ألم تكن ترفض الاستجابة لأى مشورة منى ؟ . . وهل كنت متجنيه حين تركتك لنفسك ؟ ثم بعد أن كبرت تعودت على ذلك حتى لم يعد أحد فى الكون يملاء رأسك فرحت تناطح الصخر . . . . تعارض الحكام ! . ما شأنك بهم ؟ لعلك كنت تطمع فى احتلال مكانهم . . تعودت على ألا يعجبك الحال المائل . . هذا حسن ! . . ولكن لم لا تهتم بشئونك وحدك ؟ مالك ولغيرك ؟ لم لا تنتبه لحالك الذى هو أكثر ميلا ؟

فريد : لك حق أن تسخرى منى ! . ولكنك تتجاهلين أن حالى المائل أنت تسببت فيه بحبك لنفسك واهتمامك بإثارة إعجاب الناس لك سواء بالمظهر الحسن أو بالتدخل لإصلاح ما بين الناس أو تزويجهم . . وتركت ابنك مهملا لا يجد من يتدخل لا صلاح شئونه . . يا أمى إن أول طريق الإصلاح يأتى من الأسرة . . لم لا تقولين هذا لنفسك بدلا من أن تسخرى منى ؟

فكرية : يا ولدى لم لا تنسى ما فات ؟

فريد : مازلت متحفظة يا أمى فى إظهار عواطفك ! . . تريدين أن ننسى ما فات ؟ . ليت ذلك كان ممكنا . . لعلنا نستطيع أن نبدأ من جديد . . أتذكرين كيف كنت تستقبلين مرضى بنفس هادئة . . فى حين أنك تصابين بالهلع إذا مرض أى شخص آخر من إخواتك وأقاربك ؟ ماذا يعنى هذا ؟ كنت أنتظر نظرة خوف واحدة من عينيك الجميلتين توجهينها لابنك الوحيد . . كالتى كنت أراها فى مرض شخص آخر . . .

فكرية : يا ولد أنت تبالغ . . ليس ذلك صحيحا كله ! .

فريد : صحيح كله أو بعضه لا يهم . . أريد فقط أن أعرف كيف تستقبلين نبأ موتى ! .

فكرية : (مندهشة) موتك ؟

فريد : أظننت أننى لن أموت لو شنقت ؟

فكرية : لم أتصور أن . . .

فريد : لم تتصورى ماذا ؟ جئت لإقناعى بأن أشنق فماذا يعنى ذلك ؟

فكرية : لم أفكر فى الموضوع من هذه الزاوية . .

فريد : فيم فكرت إذن ؟

فكرية : لا تعذبنى ! . .

فريد : عرفت الآن أنك تتعذبين لأجلى ! .

فكرية : (تبكى) كفى . . كفى ! . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فريد : (بهدأ) كما تشاءين يا أمى ! . لن أثقل عليك . . وأشكرك لأنك جئت تطلبين منى الموت .

فكرية : (مازالت تبكى) لا فائدة . . لا فائدة . . لم يكن من الحكمة أن آتى ! . .

فريد : يمكنك الأنصراف يا أمى . . وغدا تسمعين نبأ موتى . .
(تنظر إليه لحظة . . ثم تخرج باكيه) . .
أبكيتها . . لعلنى أستحق الشنق بالفعل ! .
(يدخل المأمور مهرولا) .

المأمور : هه ؟ كيف الحال ؟

فريد : عظيم يا سيدى ! . . إننى فى خير حال ! .

المأمور : إذن فقد اقتنعت ؟ أنا أعرف أن النساء لهن طرق عجيبة فى الإقناع !

فريد : نعم . . غير أن هذه الطرق لم تفلح هذه المرة ! .

المأمور : ماذا تعنى ؟ ألم تقتنع ؟

فريد : يا سيدى أنا رجل لا يخفل برأى النساء ! .

المأمور : (محبطا) أوه . . يا لهذا الحظ النحس ! . لم تفلح هذه الحيلة . . لا بأس . . لنجرب محاولة أخرى ! . ولكن أقول . . بدلا من ذلك يا بنى . . لم لا تشنق من نفسك وتنتهى ؟

فريد : فكرة عظيمة يا سيدى . . غير أنى لا أحب ذلك ! .

المأمور : لا بأس . . سنرى إذا كنت تحب أم لا . .
(يخرج . . بعد قليل تدخل صفية زوجة فريد . امرأة فى الثلاثين جميلة جمالاً من النوع الهادىء . تبدو عليها البراءة . هادئة وملابسها أنيقة فى حدود . محتشمة . سوداء الشعر ولكنها تجمعه فى الخلف بدون تسريحة ما ، تدخل خائفة مترددة) .

فريد : مرحبا يا زوجتى الحبيبة . . أنت أيضا ؟

صفية : أنا أيضا ماذا ؟ كيف حالك يا فريد ؟

فريد : كما ترين . . أو كما تشاءين ! .

صفية : (مرتبكة وتبحث له فى حقيبتها) أحضرت لك بعض السجائر . ! .

فريد : (يتناول منها) أشكرك . . ولو إنى لن أنهى العلبة كلها . . يمكنك أن تأخذى الباقى معك . .

صفية : لماذا ؟

فريد : عجيب . . ألا تعلمين بأننى بأشنق اليوم ؟

صفية : لا تقل ذلك أرجوك . . دعنا على الأقل نستمتع بما بقى من وقت . .

فريد : لك حق ! . . هذا هو الواجب على الأقل . .

صفية : ليس الواجب . . بل الحب ! .

فريد : نعم الحب . . نسيت ذلك ! .

صفية : (قلقة) لماذا تلومنى ولم أذنب ؟

فريد : لا تقلقى . . فمن المفروض أن أشعر أنا بالقلق . . فبعد دقائق لن أكون هنا . . لن أتنفس . . ولن أتحدث . . ولن أعود أحب . .

صفية : فريد . . أنا . .

فريد : لا عليك يا عزيزتى فأنا أفكر بصوت عال . . ربما كان من الأفضل لك لو لم تحضرى لكيلا تشاهدى اللحظة الأليمة . .

صفية : (تبكى) لا أعرف ماذا سأفعل بدونك ! . إننى أتساءل ماذا لو عشت حياتك كبقية الناس ترعى شئون أولادك وزوجتك . .

فريد : (يطمئنها بيديه) لو عشت كذلك لمت كمدا يا عزيزتى . . فلست أنا بالرجل الذى يعيش حياة خاملة الذكر . . فضلا عن أنه ليس من الحصافة أن أترك الأمور تسير نحو الخطر وأظل متشبثا بركن آمن دافىء . .

صفية : لا أعرف لماذا تفعل بنا ذلك ! .

فريد : ليس بكم بل من أجلكم . .

صفية : أمن أجلنا تضحى بنفسك ؟ اسمعنى يا فريد . . لم لا نحاول مساومتهم ؟ . . أعنى إذا كان الأمر يقتضى اعتذاراً منك لهم . .

فريد : لا تكونى ساذجة يا عزيزتى . . فليس الأمر كذلك ! .

صفية : فريد . . ابنتك ستتزوج ! .

فريد : (فرحا) أحقا ؟ هذا خبر عظيم جدا ! .

صفية : تصور أنها خطبت لابن القاضى ؟

فريد : أى قاض ؟

صفية : ذلك الذى . . حكم عليك . .

فريد : (مخيبا) ابن القاضى ؟ ولكن . .

صفية : فريد . . لم لا تفعل شيئا ؟

فريد : فات الوقت يا صفية . . لعل فى قبول ذلك القاضى للخطبة بعض العزاء فهو على الأقل لا يعتبرنى مجرما . . يمكنك الآن أن تنصرفى . . ولا تبالغى فى الحزن . . فابنتنا ستتزوج رجلا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مرموقا .. فاطمئني على سمعتها .. ستحزنين لأجلي ـ كما أقدر ـ شهرا أو شهرين .. ثم ستنسين وربما تحبين وتتزوجين .. رجلا آخر ..

صفية : (باكية) لا يا فريد .. أنت لا تعلم كم أحبك !.

فريد : بل أعلم !..

صفية : أنت لا تعلم شيئا .. عرفت في ترهاتك التي تسميها فكرا وفي معارضة أناس لست كفوا لهم .. ونسيت أن تفكر في أنا .. عودتني أن أنام نصف مفتوحة العينين .. قلقة .. منتظرة أن يدق الباب في نصف الليل لكي يدخل رجال غلاظ قساة يرتدون الزي الرسمي لكي يعبثوا بالبيت تحطيما وإفسادا بحثا عن منشورات أو أوراق أو مستندات ثم يجرونك معهم بملابس النوم ككلب حقير .. أو كمتهم بتهمة لا أخلاقية .. حيث لا أعلم عنك شيئا شهورا وربما سنوات .. وبعد ذلك تعود إلى فجأة محطما .. مذهول النظرات لا علم لي بما فعلوه معك .. وحين ذاك أقول لنفسي ربما كان ذلك أفضل إنه الآن سيتفرغ لبيته وأولاده .. ولا تمر إلا أيام حتى تعود سيرتك الأولى وكأن شيئا لم يحدث مطلقا .. ولم تسأل نفسك كيف أدير أموري في غيابك .. كيف أطعم ابنتك .. كنت أظنك ستعرف كل شيء وحدك .. وهذا ما جعلني أمتنع عن التحدث إليك الحديث الذي انتويته دائما .. ولكنك لم تفهم .. لم تفهم أبدا ..

فريد : هون عليك يا عزيزتي .. ربما لم أكن زوجا مسئولا .. هذا هو ما حدث ببساطة .. غير أنني اعتقدت أنني أفعل ذلك لأجلكم .. كانت لحظة غباء لا أكثر !.

صفية : وكيف نصلح ما فات (ترتمي على صدره) لا أطيق الحياة بدونك .. قل لي ماذا تفعل لو مت أنا ؟

فريد : لو مت أنت ؟ اندمج في الحياة فورا .. أعيش مع الناس .. أفرح لزواج ابنتي .. وأبحث عن سعادتها قدر ما أستطيع .. احتفظ بكل شيء كما هو .. أقول لنفسي هذه الكتب كانت تقرؤها صفية وهذا المكتب كانت تكتب عليه .. وهذا الكرسي اشترته بنفسها .. وهذا الشارع مشينا فيه معا وكانت تداعبني بشقاوة .. أجعلك حية دائما في نظري ونظر الناس ..

صفية : لست أعتقد أنني أقوى على ذلك .

فريد : بل ستقوين .. وفيما بعد ستتذكرين كلماتي .. وتؤمنين بصحتها والآن يا عزيزتي .. أريد أن أرى البنت الملعونة التي تزوجت دون أن تستشير رأي أبيها ..

صفية : كانت ستخبرك .. رفضت الارتباط بكلمة إلا بعد أن تطمئن لرأيك .. ولكنني طمأنتها بأنك ستفرح لذلك .. صدقني .. هذا هو ما حدث ..

فريد : أنا أعرف يا عزيزتي .. أعرف ..

صفية : (تجفف دموعها بسرعة) سأحضرها لك لكي تخبرك بنفسها .. (تجري إلى الخارج)

فريد : مسكينة !. سيبت لها الشقاء .. يا لي من مغفل !. ليت عمري يمتد شهورا لأعوضها .. ولكن لا داعي ، كل شيء انتهى !. (تدخل نورا ابنته ومعها القاضي .. رجل في الستين ولكنه أسود الشعر ملامحه هادئة ولا توحي بشيء معين .. نورا فتاة في العشرين على قدر من الجمال طويلة الشعر الأسود .. تبدو خجولا ..) أهلا بالابنة المحبوبة .. زهرة العمر .. (يشير إلى القاضي) إذن ستتزوجين من ابن هذا ؟ مرحىً ! هذا شيء طيب ..

القاضي : نعم .. ستتزوج من ابني .. وقد شجعته على ذلك حين رأيته مترددا لأنه أعتقد أنني لن أوافق .. غير أني رجل يعرف كيف يفرق بين الأمور . أنت لست مجرما .. بل لعلك بطل .. وفي هذا ما يعزيك عن الحكم الصادر ضدك ..

فريد : نعم يعزيني .. أنت تعتقد بأنني لست مجرما .. ومع ذلك فقد أصدرت الحكم ..

القاضي : صدقني إنها ظروف .. حكمت على زملائك في القضية بمدد سجن متفاوته بين الستين والثلاث سنوات .. لعل الحكم عليك كان قاسيا .. ولكنه مطلوب .. إنها الظروف والحظ !

فريد : الظروف والحظ !. أعرف الحظ السيء جيدا . فهو يصرّ على صحبتي !.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القاضى : هـون عليك يـا رجـل . . يتبغى أن تفـرح . . فابنتك ستتزوج ! . . .

فريد : ابنتى ستتزوج . . وهذا شىء يستحق الفرح ! . من قال إننى لم أفرح ؟ لكننى فقط صدمت . . لعلنى لم أفكر يوما فى سعادة ابنتى . . وهذا يثبت أننى لست أبا طيبا ! .

نورا : لا تقل ذلك يا أبى ! .

فريد : بل هى الحقيقية . . أنا لا أستحقك ! . (يخفى وجهه لكى لا يبكى)

نورا : (قلقه) أبى . . ما بك ؟

فريد : لا شىء يـا ابنتى . . إنـه الفـرح . . يستثـير الشجون والعواطف . . .

نورا : بل أنت غاضب منى يا أبى . . أنا لم أستأذنك فى خـطوبتى لحسام وهـو نفسه ابن القـاضى الذى حكم عليـك ذلـك الحكم القـاسى . . ولكنـه أقنعنى بأنها ظروف اضطرته لذلك . . وهو سوء حظ يمكن أن يتعرض له أى شخص فى العالم ! . أبى . . . ألا تصدقنى ؟

فريد : بل أصدقك يا أبنتى (يمسح دموعه) قد أكـون فكرت لحظة فى أنك نسيتنى . . أو . . كرهتنى وتصورت أنك ستخفين سيرتى القذرة عن أبنائك خجـلا منى ومن عـارى . . غـير أنها ليست إلا لحظة واحدة . . عدت بعدها إلى وعيى . . لا بـأس يا ابنتى . . إنها زيجة مشرفة عـلى أى حـال . . ومن كـلام القـاضى عـرفت أنـك ستفرحين بى بعد موق . . وستحـدثين أبنـاءك عنى . . قائلة لهم : كان جدكم رجلا شريفا . . وبطلا . . مات شهيدا فى ساحة النزال .

نورا : أبى ! (تعانقه باكية) أنا دائما أفخر بك فأنت أب جـدير بـالفخر . . . وإذا كـانت هـذه الـزيجة لا ترضيك فسأفض كل شىء فورا . .

فريد : لا . . يا ابنتى لا

نورا : (تتجه إلى القاضى) عمىّ ؟ لم لا نفعل شيئا ؟ نقدم نقضا للحكم . . . استئنافا . . يجب أن نفعل شيئا . . أفعل شيئا أرجوك . .

القاضى : (يهز رأسه أسفا) فات الوقت يا أبنتى ! .

نورا : سـأرجـو المحـافظ والـوزيـر . . سـأركـع تحت قدميهما . . سأمرغ وجهى فى التراب لأجلهما . . عماه . . يجب أن نتحرك . . لابد أن ننقذه . .

فريد : يـا ابنتى لا تعذبى نفسـك . لعلنى المسئول . . فلو كنت أطعت أوامر الجلاد لا نتهى الأمر . .

نورا : ولكنـه لم يتـه يـا أبى . . لعل فى هـذا التـأخير حكمة . . لم لا نستثمرها ؟ سنفعل أى شىء . . كل شىء ! . .

فريد : (يحتضنهـا) اهدأى يـا ابنتى اهـدأى . . هـذا التأخير كان عذابا ولم يكن لحكمة . . والسبب فى ذلـك أننى أنـا . . أردت أن أنقـذ حيـاتى لكى أواصل حرب الفساد . . هه . . . يا لها من أنانية بشعة ! (يطلقها ليمسح دموعه) .

القاضى : تريد أن تحارب الفساد ! . يا لك من رجل غرّ لم تعلمه تجارب السنين شيئا ! . الفساد يا رجل لن ينتهى أبدا من العالم . . طالما بقى الإنسان . . ولكنـك شأن غيـرك من المثاليين . . تريـد أن تتصور عالما مستحيلا . . عـالما غير موجود فى الكون ولن يوجد . .

فريد : قـد أكـون بـالغت بعض الشىء . . ولكننى لا أتصور عالما مستحيلا . . بل عالما ممكنا عـلى الأرض يعيش فيه الناس معا فى سلام ويقتسمون رغيف العيش فى تسـامح ورفق . . هـذا هـو عالمى . . أهو مستحيل ؟ نعم هو مستحيل . . ولكنى ـ لغبائى ـ لم أفطن لـذلـك . . أرجـو يا سيدى القاضى أن ترعى ابنتى وهى فى كنفك زوجة لابنك ! .

القاضى : اطمئن . . سأرعاها كابنتى . .

نورا : ماذا ستفعل يا أبى ؟

فريد : سببت لكم الشقاء . . للجميع . . ولنفسى . . ينبغى أن أختفى من حيـاتكم . . هـذا هـو المنطق !

نورا : لا يا أبى . . لا تفعل . . سنجد حلا . !

فريد : فـات الوقت يـا ابنتى . . عليـك أن تستعـدى لزواجك . . وتذكرينى بخير . .

نورا : (تبكى) أبى . . لا . . . لا تتركنا . .

فريد : (يحاول الضحك) أنا دائما أتركك . . فلن يجد جديد (يـداعب ذقنها) أريـد أن أرى بسمتك للمرة الأخيرة . . كى أغمض عينى عليهـا . . وربما أحلم . . لا أعرف ما إذا كانوا يحلمون فى العـالم الآخـر (تبتسم لـه) نعم . . هـذا هـو ما أحب أن أراه . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القاضى : تعالى يا ابنتى . . دعى والدك يستنشق الهواء ويستدعى ذكرياته . . (يحتضنها ثم يطلقها أثناء حديث فريد) .

فريد : الذكريات كلها تتراءى الآن أمام عينى كشريط سينما سريع . . غير أننى تكفينى مفاتيحها لكى ألتقط عناصرها الهامة . . وهذا شىء جميل . . لم أكن أعرفه قبل ذلك . . كنت فى الزانزانة وحدى أبتسم وأتفاءل لا أدرى لم . . شعور بفأل حسن كان يسيطر على . . لعله الفرح الذى يسبق الكارثة . . إن الطبيعة تهيئنا لاستقبال المصائب بشحنة فرح أولية لأجداث بعض التوازن فلا نجنُّ أو نموت حزنا (يبتسم) وسمعت أيضا . . أن الإنسان قبل موته يتحول إلى فيلسوف ! أترين . . أصبح أبوك فيلسوفا . . وهى موهبة تضاف إلى مواهبه العديدة فتجعلك تفخرين أكثر بأبيك ! .

(يدخل الوزير يسحبه الساعى والمحافظ وهو يعرج . . والمأمور . . . . والجلاد والأم فكرية والزوجة صفية) .

الوزير : هه ؟ هل انتهيتم ؟ هل نجحت خطتك أيها المأمور ؟

المأمور : سترى يا سيدى الوزير . . سترى . .

الوزير : (للساعى) من بالحجرة يا ولد ؟

الساعى : هذا القاضى والمشنوق والابنة . .

الوزير : ابنة من فيهما ؟ .

الساعى : ابنه المشنوق وخطيبة ابن القاضى . .

الوزير : ومن أتى بخطيبة ابن القاضى هنا ؟ أسيشنق القاضى أيضا ؟

الساعى : كلا يا سيدى . . وهل يشنق القاضى ؟ ومن الذى يحكم على قاضٍ بالشنق إذا كان هو نفسه الذى يحكم على الناس ؟ ابنة المشنوق يا سيدى هى نفسها خطيبة ابن القاضى ؟

الوزير : ما كل هذه الفصاحة ؟ وما الذى استفيده أنا إذا خطبت ابنة المشنوق لابن القاضى أو لابنك أنت ؟ أنا كل ما يهمنى هو الشنق . . حدثنى عن أى مشنوق أفهمك . . (ينادى) أنت أيها الرجل الذى سيشنق . .

فريد : (يتقدم منه) أنا هنا يا سيدى . .

الوزير : تقدم منى لأسمعك (يتقدم منه) علام عولت ؟ .

فريد : أنا جاهز يا سيدى ! .

الوزير : إذن فماذا ننتظر ؟ (ينادى) أيها القاتل . . الجلاد ؟

الجلاد : نعم يا سيدى ؟

الوزير : خذه وأشنقه . . وأنت أيها المأمور . . لك مكافأة على فكرتك الجهنمية !

المأمور : أشكرك يا سيدى . . الآن يمكننى شراء ملابس المدارس للأولاد ! .

المحافظ : (لفريد) يمكنك أن تودع أهلك . .

فريد : أشكرك يا سيدى ! .

نورا : (تتقدم) أيها الوزير . .

الوزير : (للساعى) من هذه ؟

الساعى : أنها ابنته . . وخطيبة . .

الوزير : انتهى . . لا داعى لإلقاء خطبة ثانية . . ماذا تريدين يا ابنتى ؟

نورا : سيدى الوزير . . أريد أن أقول إنه . . إذا كان يمكن عمل شىء . .

الوزير : دائما يمكن عمل شىء فلا يوجد مستحيل . . ولكن فى ماذا ؟

نورا : فى العفو عن أبى بالطبع . .

الوزير : إلا هذا ! .

نورا : سيدى . . إنه مستعد للاعتذار إليكم وعمل كل ما تريدون . .

الوزير : أنا لا شأن لى يا ابنتى . . فالمحافظ هو المسئول . .

نورا : (تتجه إليه) سيدى المحافظ . . افعل شيئا أرجوك . .

المحافظ : يا ابنتى أنا لا شأن لى بالأمر كله . . فهو عمل المأمور . .

نورا : (تتجه إلى المأمور) سيدى . . أليس لك بنات ؟ أرجوك أفعل شيئا . . دع أبى يعيش . . وسأفعل ما تطلبه منى . .

المأمور : يا ابنتى أنا أنفذ الأوامر فقط . . وهذا القاضى هو من حكم عليه . . لست مسئولا إلا عن تنفيذ الحكم يأتى إلى . . إما بالسجن أو بالشنق أو بالأفراج . صدقينى يا ابنتى فأنا رجل لا حول لى . .

نورا : (محتدة) كلكم تتهربون من أجل قتل أبى . . كلكم قتلة سفاحون . . مصاصو دماء . . أنا أكرهكم . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القاضى : (يحتضنها) تعالى يا ابنتى واهدئى . .
المحافظ : أسمعت ؟ لا تعذبها أكثر من ذلك . .
فريد : نعم . . لا ينبغى أن أعذبها . . ليته كل شىء فى لحظة ، ويرتاح الجميع . . أنا جاهز يا سيدى (يتحرك)
صفية : فريد ؟
فريد : (يتوقف) ماذا ؟
صفية : ألا تريد حتى أن تودعنى الوداع الأخير ؟
فريد : الوداع الأخير ؟ (يعانقها) ما أعذبه . . غير أننى أردت أن أجعلك تظنين أننى سأغيب فى واحدة من غيباتى التى كنت أبعد بها عنك سجينا لا تعرفين عنه شيئا . . لكى تتصورى أننى ساعود فجأة . . كما كنت أفعل . . محطما . . مذهولا . . ولكن تكفى عودتى ! . لا تبكى يا عزيزتى . . فالبكاء يجعل الفراق أشد لوعة . وجهزى جيداً لزواج ابنتنا . . اصرفى عليها كل مدخراتى أريدها أن تكون أجمل عروس فى الكون . . (يطلقها برفق) . . هيا يا سيدى ! . .
(يخرج ووراءه الجلاد . . لحظة صمت) .
الوزير : هل انتهينا يا ولد ؟
الساعى : لا يا سيدى . .
الوزير : وما أدراك ؟
الساعى : النساء لم يصرخن . . وهن فى أحوال كهذه يملأن الدنيا صراخا وضجيجا ! .
الوزير : عليك اللعنة ! . دائما تصدمنى بفصاحتك ! .
(نسمع صوت هبدة مكتومة فيبين الفزع على الجميع . . يدخل الجلاد هادئا منكسا)
الجلاد : تم تنفيذ المهمة . . البقية فى حياتكم ! . .
(يخرج)
(نورا تبكى بحرقة وتخرج من اليسار جارية ووراءها القاضى الباقون ينكسون رؤوسهم . . صفية تبكى بصمت)
الوزير : الآن انتهى المولد ؟ البقية فى حياتكم . . اسحبى يا ولد . .
الساعى : إلى أين ؟
الوزير : إلى البيت لأنام . .
(يخرجان)
المحافظ : هيا أيتها السيدات لعمل الإجراءات واستلام الجثة . . وأنت أيها المأمور . . سأعفو عن كل هذه الأخطاء : المشانق والنوم أثناء الخدمة والروائح الكريهه . . هذه المرة . . مكافأة لك على فكرتك البارعة التى انقذتنا . .
المأمور : أشكرك يا سيدى . .
المحافظ : (وهو خارج) صرف امورك وحل مشاكلك ! . (يخرج)
المأمور : وأنتما ايتها السيدتان . . لا فائدة من البقاء . . انتهى كل شىء . . . .
فكرية : نعم . . ستخرج . . هيا يا صفية . .
(تأخذها وتخرجان . . المأمور تبدو على وجهه الراحة . لحظة صمت يدخل الجلاد)
الجلاد : سيدى المأمور . .
المأمور : ماذا تريد ؟
الجلاد : ينبغى أن نضمن عدم حدوث ذلك مرة أخرى ! .
المأمور : ما ذلك ؟
الجلاد : أقصد أن نجلب مشنقة جديدة . .
المأمور : نعم سنفعل . . سنكتب إلى المسئولين . . فمن الحرام أن نعذب الناس . . ينبغى أن يكون الشنق سهلا ومريحا . . أتعرف ؟ لقد أصابتنى هذه الحادثة بشىء يمكن تسميته بالصدمة . . فتحت وعيى على أشياء كثيرة كنت أغمض عينى عنها على أساس أنها لا تعنينى . كنت أحمق ولا شك . . كيف لم يخطر ببالى لحظة أن هؤلاء المساجين والمحكوم عليهم هم بشر أيضا ولهم أهل وأقارب يحبونهم ؟ هذا أمر مؤلم لو كنت أنا مكانه . . ومع ذلك فقد خطرت ببالى فكرة استدعاء نسائه . . لكى أزيد من آلامهن وأعرضهن لتجربة قاسية . . لكم يؤنبنى ضميرى . .
الجلاد : لا تهتم يا سيدى فقد انتهى الأمر . .
المأمور : انتهى فى الواقع وفى السجلات . . ولكنه لم ينته فى صدرى . . سأعيش به إلى الأبد . . ترى كيف سأنظر إلى زوجتى وأدعوها حبيبتى ؟ كيف سأحب أولادى وأدللهم وأشترى لهم ما يرغبون فيه ؟ هل لمثلى أن يحب أولاده ؟ ذلك الذى كم سجن وعذب وشنق ؟ لقد تعبت بما فيه الكفاية . . ينبغى أن أكتفى بذلك . . سأطلب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إحالتى إلى الاستيداع فيكفينى ما عانيته فى الساعات الماضية .

الجلاد : أنا أيضا يا سيدى أثار فى الحادث شجونا . . كنت أستعمل المشنقة . . بطريقة بدائية . . ولا أخفى عليك يا سيدى أن بها مسماراً غير مثبت . وكنت أثبته بيدى اليسرى وأنا أشد الرافعة . . ولكن لما حاول هذا الملعون فريد توجيهى إلى كيفية عمل المشنقة أصابنى الارتباك فنسيت أن أسند المسمار بيدى اليسرى . . وساعد هذا على عدم عمل المشنقة بالسرعة الكافية . . فأتيح له الوقت للقفز إلى الأرضية ولكنى الآن لم أعد أنظر إلى المشنوقين كما أنظر إلى قطط زوجتى وكلابها . . بل كأناس مثلى تماما ومثل زوجتى أيضا . . ولهذا فلا أعتقد أننى سأقوى بعد على تثبيت المسمار بيدى اليسرى وشد الرافعة باليمنى . . فأرجوك يا سيدى أن تصدق على طلبى أنا أيضا للاستعفاء قبل رحيلك . .

المأمور : سنرى ذلك . . سنرى . . أنا ذاهب إلى الادارة . .

(يخرج من اليسار) .

الجلاد : هيه . . لعنك الله أيها الرجل . . أثرت شجوننا جميعا ! . ما ضرك لو كنت شنقت بلا ضجة وأرحتنا ؟

(يخرج من اليمين واثناء خروجه ينزل الستار) .

القاهرة : أبراهيم عبد العليم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أغنية العاشق "مطاوع"

عز الدين نجيب

الدخان يتصاعد
والحريق فى كل قلبى
وأنا أغنى أغنية من دم مر . . وعتمة
وبالكاد - سوف استطيع أن أنفذ بنصل
فى بطن النهار المر
وأرسم لوحة من جديد . . .
« عبد المنعم مطاوع »

كان رحيله مباغتا وغامضا ، مُنْسربا من عالمنا فى عبور رقيق - كحياته - فى إحدى ليالى مدينة كفر الشيخ الباردة الكئيبة منذ خمس سنوات ، بالتحديد يوم ٢٥ فبراير ١٩٨٢ ، بعد دقائق معدودة من نقله إلى المستشفى العام مصابا بنوبة قلبية ، وكان قد تخطى آنذاك سن السادسة والأربعين ببضعة أشهر .

ولعلنا الآن نستطيع أن ننظر إلى حياته وتراثه الفنى بمنظار الحقيقة ، لوضعه فى مكانه الصحيح فى مسار الحركة الفنية المصرية ، التى تجاهلته فى قسوة قاتلة . . حيا وميتا !

لزومية الصمت :

إن مطاوع يعد من جيل الستينيات الذى يتصدر الحركة التشكيلية اليوم ، وكان مؤهلا بموهبة غير عادية ليكون واحدا من ألمع نجومها ، لولا أن تضافرت كل الظروف المأسوية ضده ، منذ أن كان طالبا بكلية الفنون الجميلة بالاسكندرية ، ضمن أول دفعة دخلتها (١٩٥٧) وحتى وفاته (١٩٨٢) ليعيش ما بين التاريخين حياة لاتدانيها فى عذاباتها حياة فنان جوخ : مشردا ، مفلسا ، وحيدا ، بلا مسكن ولا مرسم ولا زوجة ولا أهل أو رفيق ، مهجورا من الحبيب ، مجروحا بالإهانة والاشفاق ، مرفوضا من اللجان الفنية ، تائها فى متاهات مرضه النفسى !

والعجيب حقا ، أنه على مدى اثنتين وعشرين عاما ، منذ صدمته النفسية المدمرة وهو طالب عام ١٩٦٠ ، وفى خضم هذه الحياة الظالمة ، الخليقة بخفق روح أى فنان أو شاعر ، لم يتوقف عن الرسم والشعر والابتسام ، ظلت متوهجة بداخله روح الطفل البريئة ، أو روح الطائر المغرد لمحبوبته فوق أعالى الأشجار . وإن كان قد لزم الصمت أغلب أوقاته بالنسبة للمجتمع المحيط به ، فإن أشعاره كانت دائما لسانه الطليق فى التواصل مع الآخرين ، وقد تضمنها ديوان بعنوان « لزومية الصمت » ، أصدره له صديقه الفنان السكندرى عصمت داوستاشى عام ١٩٧٧ . وهو الذى تكفل - بالتعاون مع أصدقاء مطاوع بكفر الشيخ ودسوق « مسقط رأسه » ومع مديرية الثقافة بالمحافظة - بجمع تراثه الفنى المبعثر والممزق كجسد أوزيريس ، وترميم جزء منه ، وتخصيص مكان له بقصر الثقافة هناك ، وإقامة معرض له بالقاهرة فى ذكرى وفاته الثانية ، من خلال المركز القومى للفنون التشكيلية ، لم يحضر حفل افتتاحه بقاعة إخناتون مع الفنان مصطفى عبد المعطى - مدير المركز وزميل مطاوع فى الدراسة - إلا شخص واحد فقط . . . هو عصمت !! . . وهكذا ظلا يتجولان وحدهما تماما داخل قاعات المعرض الخالية ، فى احتفال سيريالى صامت ومهيب كالطقوس ، يليق بصمت عبد المنعم مطاوع !

الملحمية الشعرية :

إن أعماله الفنية - لوحاته الزيتية ورسومه بالحبر الشينى والجاف - تعد من أفضل ما أبدع بمصر فى إطار ما يمكن أن نسميه « بالملحمة الشعرية » ، وتتميز ملحمية مطاوع بتجسيدها لروح مصر الممتدة عبر الزمن ، وتغنيها العاشق بجلال مجدها ، بزراعها وصياديها ، بحزن نسائها وصبر رجالها ، بسخاء أمومتها ونقاء طفولتها ، بسالة جنودها وحمائم سلامها ، بخيول مصرها وقوارب عبورها ، بمراكب شمسها إذ تحمل مياواتها الى عالم الخلود . . مبشرا - من خلال كل هذا - بالأمل والسلام والحب ، دون سقوط فى الخطابية أو الوصفية إلا نادرا ، بل فى اطار من الرؤى الخيالية والحلم الشاعرى ، حلم كثيرا ما تتنازع فيه أدوار البطولة : المرأة والطفل . . والمرأة هى أمه التى ماتت فى

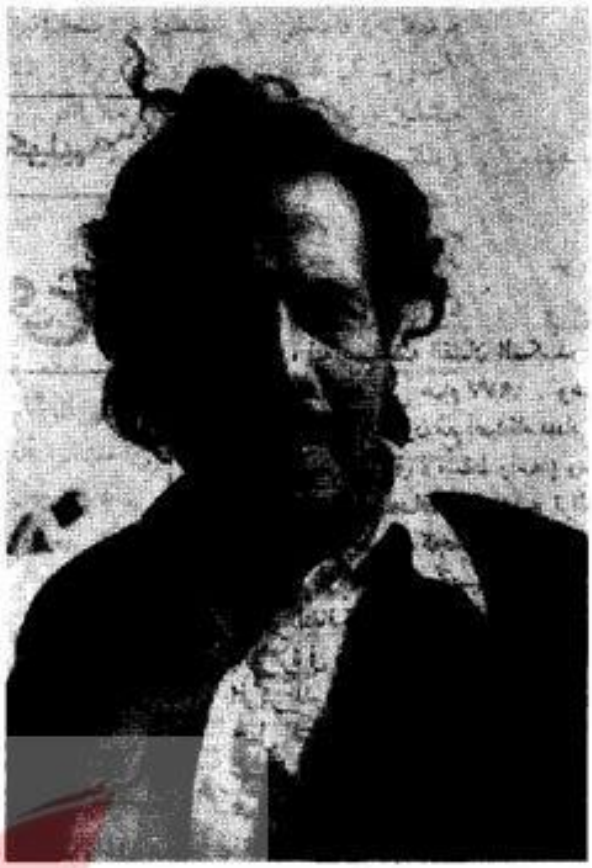

الفنان عبد المنعم مطاوع

فجر طفولته بدسوق قبل أن يعى ملامحها أو يتعم بحنانها ، وهى الحبيبة التى ذبحت قلبه بالخيانة فى يفاعته ، لكن المرأة سمت فى النهاية حتى أصبحت فى لوحاته رمزا لمصر ، معشوقته الوحيدة الباقية التى لا يمكن أن تخونه ، أما الطفل ، فهو مطاوع نفسه ، يستخرجه الفنان من بئر الذاكرة ، ليجعله أحيانا شاهدا محايدا على الحدث ، وأحيانا طرفا مشاركا فيه ، يتيها ، خائفا ، متشبثا بعنق الأم ، أو بأرجل الأمهات الغريبات ، أو قانعا من السعادة بمنح البهجة لرفاقه الصغار ، إذ يصنع لهم طائرة ورقية ملونة ، أو عائدا بيراعم الحب على زورق يطير .

معماره الفنى :

وكما فى الشعر الملحمى ، نجد مطاوع يلجأ إلى أسلوب يتسم بالمشهدية المسرحية ، وبالرصانة والفخامة ، أقرب إلى الكلاسيكية الجديدة أو الى تصوير محمود سعيد ، وتقوم على توازن دقيق بين الكتل ، يصل أحيانا الى حد التماثل أو السيمترية (كما فى الشعر العمودى) ، وعلى وجود الخط كعنصر رئيسى يجعل بقية العناصر عوامل مساعدة له ، وعلى ثبات التكوين فوق نقاط ارتكاز راسخة ، غالبا ما تكون على شكل مثلث مستقر ، وعلى استطالة الأشكال وسموقها إلى أعلى وانسيابية أطرافها (متمثلا الفن المصرى القديم) ، وعلى اقتصاد الألوان ، حتى تبقى البطولة للأسود والأزرق والأحمر ، بمعالجة تمنحها قدرا من الغموض والثقافة ، بما تستقبله من أضواء سحرية مجهولة المصدر ، وما تعكسه من ظلال تتلاشى كالدخان ، ويقوم هذا الأسلوب أحيانا على التوازى بين الخطوط أفقيا أو رأسيا ، أو على التتابع ذى الإيقاع الوئيد (كما فى التصوير المصرى القديم أيضا) حيث يتم تصفيف الأشخاص متجاورين ، أو تصفيف الشرائح الأفقية بعضها فوق بعض . . . ويقوم أسلوبه - أخيرا - على بناء ثلاثيات أو رباعيات من التكوينات فى لوحة واحدة ، لكل منها استقلالها ، وإن جمعها إطار واحد وموضوع واحد ونسيج تصويرى واحد (لوحة الصيادين الثلاثة) .

عالم من الحلم :

وعالم هذه اللوحات لا يقف عند حدود الموضوع القومى أو الملحمى ، بل يتجاوزه الى رؤية ميتافيزيقية فوق الزمانوالمكان ، تعكس حالة سكونية واجفة ، تحبس أنفاسها متوجسة فى انتظار حدث كونى ، أو تتربص بها قوى خفية ، وكثيرا ما يدعوك عالمه - بقواربه الأسطورية على شكل مقعد ملكى ، المتأهبة للرحيل - إلى سفر بعيد نحو شواطىء مجهولة ، ولا تدرى إن كانت دعوته المخاتلة تلك : الى البر الشرقى . . إلى الحياة ، أم هى رحلة الى البر الغربى . . الى ماوراء الحياة ! .

يقول فى أحد خطاباته) « . . . أود أن أسافر بعيدا ، إن فى نفسى قلقا على شىء هناك . . عندما أسافر . . هل سأعود ؟ - ماذا هنا يدعونى أن أعود ؟ » .

لكن هذا (العالم - الحلم) لا يخيفك ، بل يسحبك فى نعومة إلى أعماقه ، ويثير تعاطفك مع الانسان الذى يسكنه ، حتى ينبض قلبك إشفاقا عليه مما يتهدده ، أو يرق حنانا لوداعته وبراءته ، أو يؤخذ بقوته واستقامته . . ولا تقف « لا معقولية » عالمه حائلا بينك وبين أن تجوس فى حناياه ، فهى « لا معقولية أليفة » إن صح التعبير ، تبزغ من قاع ذكرياتنا إذ كنا أطفالا لا نستمع إلى الحواديت . . غير أن لا معقوليته لا تتشابه مع لا معقولية السرياليين (مثل دى كيريكو وماجريت ودالى) إذ هى فى الحقيقة نقيض لهم ، حيث يخلو عالمه من الاغتراب والعزلة واجتثاث الجذور وتقطيع الأوصال وبرودة المشاعر ، تلك الملامح التى تميزهم وتعبر عن مجتمع صناعى ضاع فيه الانسان . . بل نجد عالم مطاوع مليئا بالتراحم والتلاحم الإنسانى ، نستشف منه جذور الانتماء والتماسك الأسرى ، ونستشعر إشعاع الدفء وهو يتواصل بين الكائنات الحية بل والجماد (لاحظ فى لوحاته كثرة الثنائيات المتلازمة والمتلاصقة ، حتى فى الطير والقوارب) .

وبالرغم من هذه الخصوبة الابداعية والنضج التكنيكى ، قد يدهشنا أن نجد

أعمال مطاوع على مدار عشرين سنة تقريبا منسوجة على وتيرة أسلوبية لا تكاد تتغير ، وكأنه ظل أسيرا لاكتشافاته الأسلوبية المبكرة ، كما قد يدهشنا فى عدد قليل من اللوحات انقسامها الى جزءين ، لكل منهما أسلوب مختلف ، أحدهما تصويرى ناضج بكل المقاييس ، والآخر لا يخلو من الثرثرة الزخرفية (مثل لوحة حاملة التوأمين) - أو قد يتميز جزؤها الأعلى بشاعرية الحلم ، متمثلة فى فتاة محلقة فى الفضاء مثلا ، والأسفل بالخطابية الدعائية ، متمثلة فى سواعد الفلاحين والعمال تلوح بأدوات الإنتاج (لوحة السواعد) ، مما يجعلك تتمنى لو أن اللوحة قطعت عند منتصفها .

إلا أن معرفتنا بحياة الفنان قد تساعدنا على فهم هذا التناقض .

ذبح الكبرياء :

لقد نضجت موهبة مطاوع وبلغت ذروتها الإبداعية وهو بعد فى السنة الثالثة بكلية الفنون الجميلة . . . ولا يكاد يختلف اثنان من زملاء دفعته على سبقه لجميع أقرانه ، فقد كان نضجه الفنى يتجاوز التعاليم الاكاديمية التى يلقنها بعض الأساتذة ، مندفعا إلى آفاق المدارس الحديثة ، كما كان لذلك أثره بلا شك فى أن تهزّ زميلته التى أحبها ، لكن ابنة المدينة البرجوازية لا تظل دائما وفية للعهود والاقتناعات المبدئية التى آمن بها ابن دسوق ، حين أخلص لحبه كما أخلص لفنه وشعره . . وهكذا طارت العصفورة النزقة من غصنه العارى إلى طائر يملك غصنا مورقا بالأمانى السهلة التحقيق ، إذ يملك ما لا يملكه الفنان الفقير من مؤهلات مادية ، كما يملك آلة بيانو يعزف لها عليها أعذب الألحان ويفتح لها - من خلالها - طريق الشهرة كمغنية ذهبية الصوت . .

وترنّح مطاوع من نزيف الجرح حتى كاد يفقد توازنه ، لكنه تشبث بكبريائه وشموخه ، مرتكزا على أرضه الصلبة ، كنابغة يلتف حوله الجميع ، يشيدون بفنه ويحفظون أشعاره ، كما كان يعزّيه ما أصبح فى حكم اليقين بالنسبة له وللجميع ، وهو أنه سيعين معيدا بالكلية فور تخرجه .

لكن ما لبثت أن انقضت عليه الضربة الثانية - القاضية - وسط مملكة نبوغه أعنى وسط المرسم بالكلية ووسط كل زملائه ، عندما انهالت صفعة مدوية على وجهه ، إثر مجادلة بينه وبين أحد اساتذته ، إذ راح يوبخه على أفكاره المنطرفة عن الفن الحديث ، ويحقر من شأن بعض الفنانين المجددين بالاسكندرية . .

إنهار شموخ النابغة تحت وقع الصفعة المباغتة ، أمام عشرات العيون التى كانت تتخذه قدوة ، وهى تحدق فيه مترقبة ما سيحدث . . ولم يحدث شىء ! . . كان الفتى الريفى الخجول أعجز من أن يكسر قيم القرية ، التى تؤكد خضوع الصغير للكبير ، والتلميذ للأستاذ ، فكبت مشاعره ، ولم يكن أمامه إلا أن ينسحب إلى أعماق صَدَفته مزدرداً إهانته وذله ، وأن يتوارى عن الأنظار حتى يخفى عاره الذى يكسو خده .

وحدث ما كان لا بد أن يحدث : أصيبت باكتئاب نفسى ، واعتزل الحياة فى بيت أقربائه الذين كان ضيفا عليهم ، لعجزه عن تدبير مسكن خاص ، مما كان يشعره دائما بالنقص إزاء الآخرين ، وإزاء صديقته على الأخص ، وانقطع عن الكلية حتى بعد أن تكاتف الجميع وأقنعوا الأستاذ بالذهاب إليه والاعتذار له ، وبعد أن قبل مطاوع العودة إلى الكلية ، لم يعد قط إلى طبيعته ، كان الكسر أفدح من أن يُجبر . . فكيف يمكن لأى ترضية أن تعيد إليه أغلى ما فقد : كبرياءه وحبيبته ؟ ! . . لا زمته حالة الاكتئاب والصمت ، والشعور باضطهاد العالم وتآمره عليه ، وبدأت تساوره الخيالات الغريبة فى اليقظة والمنام ، وظل يعيش عالمين متناقضين : عالم الباطن ، بخيالات الانتقام لكرامته الجريحة وتحقيق بطولات خارقة ، تؤهله لمصاحبة عباقرة العالم فى الفن والشعر ، بل التفوق عليهم ، حتى يأتى إليه مضطهدوه راكعين تحت أقدامه طالبين الصفح ، وعالم الخارج ، بغلظته واستبداده واستعصائه على التغيير ، مما يجعله أمامه قزما ضئيلا مهانا خائفا دائما من بطش الآخرين ، خاصة بطش من له أى سلطة !

أدت هذه الحالة إلى تخلفه عاما دراسيا عن زملائه ، فى الوقت الذى عين منهم سبعة معيدين بالكلية فور تخرجهم ، ووجد نفسه فى العام الجديد تلميذا لهم . . لكنه تشبث بأطراف موهبته مصمما على النجاح بتفوق حتى يلحق بزملائه ويعين فى العام التالى معيدا ، واستطاع بالفعل الحصول على تقدير ممتاز فى البكالوريوس عام ١٩٦٣ . وكان التعيين بالكلية يعنى بالنسبة إليه كل مستقبله : يعنى أن يستعيد مملكة الأستاذية ، ويعنى أن يسافر فى بعثة أوربا ، ويعنى أن يعيش حياة محترمة أدبيا وماديا ، بما يرد له اعتباره أمام حبيبته ، ويتيح له اختيار شريكة لحياته ، ويعنى أن يعيش فى عالم الفن الذى لا يحب ولا يعرف غيره . .

لكنهم خيبوا أمله ! . . وكانت هذه الضربة الثالثة كافية للإجهاز عليه !

● أقنعوه أن ما يفعل . . هم ! :

وازداد ارتداداً إلى داخل ذاته ، واجترارا لعالمه الباطنى ، وتأويلا لكل سلوك من المحيطين به ، حتى ممن كانوا يتعاطفون معه وقت المحنة الذين أصبحوا معيدين بالكلية ، بعد أن تخلوا عنه جميعا ، وكان فى وسعهم إنقاذه حسب اعتقاده ، لدرجة أنه كان يسيطر عليه حتى آخر حياته شعور بأنهم سرقوا فنه واستولوا على أفكاره ونسبوها إلى أنفسهم . . يقول فى إحدى قصائده المنثورة :

حينما بدأنا نرسم فى اللوحات
أمسكنا الفراجين بلهفة وحب
كانت لهفة من حولنا على حبنا
أجَلْ وَقَدَرْ
لذلك أقنعونا أن ما نفعل . . هُم !
وأن ما ننتج . . . هُم !
لذلك لا تبتئس . . واعلم
أن الفشل الذى تحقق . . هُم ! . . هُم !

ويمكن القول أنه منذ ذلك الوقت تحددت علاقته بعالم الخارج كعلاقة عابر السبيل المتوجس منه خيفة وحذرا . . وبالنسبة للفن : لم يعد يستقبل من مدارسه الحديثة ومن خبرات الحركة الفنية التى يتصل بها بشكل أو بآخر ، إلا ما يتوافق مع

اخر ماوصل إليه من مدركات ابداعية وخبرات تقنية قبل حادث الصفعة . وقصارى ما أضافه أنه وصل بهذه المدركات والخبرات إلى درجة من التجويد ، وأخصبها بما امتلكه ، خلال حالته النفسية المضطربة ، من رؤى الأحلام وذكريات الطفولة وشفافية جديدة جعلته يرى ما لا يراه الآخرون فى الواقع ، ويقيم معماره الفنى وفق قوانين ذاتية محضة ، يعود بعضها الى خبراته الماضية ، ويعود البعض الآخر الى اتصاله الحميم بالفن المصرى القديم ، فترة دراسته فى « مرسم الأقصر » عامى ١٩٦٥ - ١٩٦٦ ، وارتباطه العميق بجذور الأجداد ، وتشبعه بحضارة مصر وامتدادها عبر الزمن ، وهو ما انعكس بوضوح على مجمل عماله التعبيرى حتى وفاته .

وربما يرجع ما يبدو فى بعض اللوحات من اختلاف الأسلوب فى اللوحة الواحدة ، إلى التناقض بين عالمى الداخل والخارج فى نفسه خلال إنجازه للوحة ، وربما يرجع أحيانا أخرى إلى رغبته فى كسب رضاء الآخرين عن فنه بإعطائهم ما يريدونه ، خاصة لظروف وجوده فى محيط إقليمى يتطلب الوضوح فى العمل الفنى ، واحتياجه الملح لتجاوبهم مع فنه وإعجابهم به ، وهو القيمة الوحيدة التى يعيش عليها ، فيعمد إلى الوضوح الزائد أو النبرة الخطابية أو الزخرفة الدارجة ، أما فيما عدا تلك اللوحات - وعددها قليل بالنسبة لمجمل تراثه - فإن أعماله تعكس درجة عالية من السيطرة على زمام اللوحة ، وأظن أن ذلك لم يكن ليتأتى إلا بسيطرته على زمام إرادته .. كان يقاوم انحناءه وضياعه بالفن .

● كان الفن خلاصة :

إن البناء الهندسى الرصين ، والصرحية المستتبة لكتله التصويرية ، واهتماماته ، من خلالها ، بالقضايا الوطنية والقومية ، تعنى أن أعلى حالاته النفسية وأكثرها امتلاكاً لوجوده ، هى الفترات التى كان يرسم فيها .. ولا نستطيع أن ندرك قوة الإرادة التى كان يمارسها ليتفوق على عذابه ، حتى يغرس نصله فى بطن النهار المر ، إلا من خلال كلماته بعنوان « كلمات مهداة إلى فنان » :

الدخان يتصاعد
والحريق فى كل قلبى
وأنا أغنى أغنية من دم مر .. وعتمة
وبالكاد - سوف استطيع أن انفذ بنصل
فى بطن النهار المر
وارسم لوحة جديدة ...

لكنها للأسف كانت فترات خاطفة ، تلك التى كان يستطيع فيها امتلاك وجوده بالرسم ، لأن الحد الأدنى اللازم من الاستقرار المادى للإنتاج لم يكن متاحا له ..

وتلك كانت مأساة حياته الأخرى ..

كان آخر خطاب أرسله الى صديقه عصمت داوستاشى (وهو خطابه العشرون) كاستنجاد الغريق فعلا - يقول :

« إن أمل عابر السبيل فى شقة تأويه للمعيشة لا يخبو .. أما بالنسبة لى - فقد انتهى بالفعل .. إذ أن رغبتى الصادقة فى إحياء مرسمى قد أجهضت ، وما زلت فى حالة صبر غير مشروع على شقة تعد فى نظرى مستقبل ، ومازال حلمى بان أكون إلى جوارك فى الإسكندرية ملأ كيانى ، لأن وحدتى الآن لا داعى لها فعلا ، ولأننى كبرت سنا كما تعلم ، ومر عيد ميلادى الشهر الماضى دون أن تضاء فيه شمعة واحدة .. » .

● من أين له كل هذا الانتشاء ؟

بعد ما يقرب من عشرين عاما عقب تخرجه ، يجد الفنان نفسه بلا بيت يأويه ، ولا مرسم ينتج فيه ، ولا رفيق يشاركه عيد ميلاده ، ولا حتى مشروعية للصبر أملا فى الحصول على شقة تساوى مستقبله .. بعد عشرين عاما من الفن ، لم يكن يستطيع أن يشترى قلما للرسم أو علبة ألوان ، لأن مرتبه لا يكاد يسد رمقه ، وكان دائما مكبلا بالديون لباعة السجائر والسندوتشات التى كانت كل طعامه ، وتصور يوما أن خلاصه الوحيد هو الحصول على منحه للتفرغ للفن من وزارة الثقافة ، لأنها سوف تضمن له - فضلا عن تخصيص كل وقته للفن - عشرة جنيهات تقريبا فوق مرتبه الحكومى ، كمقابل لثمن خامات الرسم .. وتقدم بأعماله إلى لجنة التفرغ ، لكنها رفضت إعطائه المنحة ، ولم يعلم حتى وفاته لماذا رفضته ، لكنه كان يعلم شيئا واحدا :

كنت أعلم أن العالم يملؤن بالحزن
يحسو على هامتى التراب
وينفض ريشه الملون علىّ
ويغمس فى قرارى مرقمه الجارح
كنت أعلم أننى امتداد بلا توقف
اغتراب بلا لزوم ...

أى إرادة أسطورية كى يواصل الرسم بعد ذلك ؟ .. أليست بطولة فى حد ذاتها اذ ترك لنا هذه الأعمال ؟ - فيا بالنا اذ نرى فيها عرائس الأحلام المجنحة .. والأطفال يمرحون .. والحمائم ترفرف بفرحة الحرية .. والمقاتلين يحلقون بأعلام العبور .. والخيول تصهل .. ووجه الأم يضوى بالحنان الجميل .. والحدائق تزدان بالنور الملون وتفعم بوهج الحياة ! .. من أين له - ذلك الظامىء عمره - كل هذا الرى ؟ .. من أين له كل هذا الفرح .. هذه الرحابة .. هذا الانتشار ؟ .. وإلى أى أرض كان ينتمى - ذلك الشريد - إذ ضن عليه الوطن بأمتار تأويه حيا ، وما ضنّ بها عليه ميتا ؟ ..

هل كان قديسا ؟ .. لا .. بل كان محبا عظيما .. أحب حتى القلوب الحجرية التى حطمت قلبه ، حيث يقول فى « الذكرى - الحب » :

حبى نغم ..
أهوى قلوبا من حجر
أحنو عليها
حبى رحيب كالأفق
مِلك البشر

إن عشرين عاما هجر حبيبته لم تنسه حبه وانتظاره لها ، وها هو يفتح قلبه من خلال قصيدة « إضافة » :

الحب فى الفؤاد دمعة من الأسى
آه يا عمرى المكدود
تهتُ فى البحار الزرق والعَتَم
عدتُ دون غرام
كأنك النديم فى ليالى السكر والهزيمة
مضيّعا ... مشردا .

كريشة جرّها السباق في أمسياته الغريبة
الليلة ميعادها .. ميعاد عَوْدها
ميعاد عنكبوت حبها القديم .

● روح تحترق :

عرفته لأول مرة عام ١٩٦٧ ، اذ كنت اعمل مديرا لقصر الثقافة بكفر الشيخ ، وجاءنى بخطاب تعيين للعمل بالقصر بعد عودته من مرسم الأقصر ، وعرفت شيئا عن مأساته وظروفه .. أدركت أنه لم يكن بحاجة إلى وظيفة فقط ، وإنما إلى أسرة ترعاه ، فقد كان يمر عليه أحيانا يوم وليلة بدون طعام بعد أن تبتلع السجائر والدانتون مرتبه الصغير في أوائل الشهر ، وكان أخ يعمل خياطا بدسوق هو الوحيد الذى كان يأتى لزيارته بين الحين والآخر ويوصيني به خيرا ، ويترك معى بعض العون القليل له (وقد توفى بعد مطاوع بسنوات) - وكل ما استطعت تدبيره من أجله - كغريب مثله في هذه المدينة - أن أدبر له حجرة صغيرة جدا فوق سطح مبنى القصر يتخذ منها مرسما ، وزودته بما يحتاجه من أدوات الرسم ، (وما زالت هذه الحجرة هى المكان الوحيد لتخزين أعماله حتى اليوم) .. وبدأ مطاوع يخرج من صندوق صمته ، ويفصح عن روحه الرقيقة الوديعة ، ويتحقق عن طريق الجهر بالشعر والأحلام مع مشاهير الفنانين التى يراها في المنام . وأخذ يورق بالزهر من خلال الرسم والأشعار ، وكان حصوله على تلك الحجرة الصغيرة قد فعل به السحر .. فأخذ يتبدد الحذر المتبادل في العلاقة بينه وبين الآخرين ، وازداد اقترابا منه ثلاثتنا الذين جمعتنا ظروف العمل في كفر الشيخ آنذاك : الشاعر عفيفى مطر ، والفنان محمود بقشيش .. وأنا .

وفجأة انهار كل شيء مع دوى هزيمة ٥ يونيو ٦٧ ، وبينما كنا نلصق آذاننا على الراديو تلمسا لخبر ، كالغريق يتشبث بقشة ، كان مطاوع يجلس في ركن منطويا على نفسه ، يدور فيما حوله بنظرات زائغة ، ثم يهب فجأة مكشر الوجه ويدور من حجرة إلى حجرة وكأنه يبحث عن شخص لا بد من عقابه ، ويعود للانطواء على نفسه من جديد . وبينما وجد كل زملائه في العمل ملاذا من الانهيار ، وفي الاحتماء بالجموع وشحذ الهمم ملاذا من اليأس ، دخل مطاوع مختارا صندوق الصمت .. كان ما حدث هزيمته الشخصية وفي إطلالاته القليلة خارج الصندوق ، كان يسترجع مشاهد من معبد هابو بطيبة ، خاصة مشهد الأيدى وأعضاء التناسل المقطعة للأسرى .. كان يعكس - أكثر من الجميع - هول المأساة التى تحرق روحه ، كما تحرق أصابعه أعقاب السجائر وهو لا يتنبه .

هكذا كان ضميرا حساسا لمصر وعاشقا لها ، هو الذى عانى فيها كل ما عانى ، حتى اللحظة التى فارق فيها الحياة ، على يد طبيب ناشيء في قسم الاستقبال بمستشفى مجانى بمدينة ريفية ، ومن حوله بضعة قليلة من محبيه .

○ من ينقذ الغريب ؟

إن مطاوع تجسيد صارخ لقضية اضطهاد الفنان بمصر ، ولأوضاعه المتردية ، لو لم يلتزم بمغير الفن والصدق ، أو كان عاجزا عند التكيف الاجتماعى ، (وهى الكلمة المهذبة التى تقابل النفاق أو الشللية أو علاقات المصالح) . وكانت مأساته هى نتيجة لهذا الاضطهاد .. لكن .. إذا كانت قد ارتكبت في حقه كل تلك الجرائم في الماضى ، فإن أفحشها ما يحدث اليوم ، من دفن ذكراه ، وتبديد أعماله بين عشرات البيوت والأماكن .. وتلف الباقى ، لولا ما استطاع انقاذه منها صديقه الوفى عصمت داوستاشى (إننا على سبيل المثال لا نعلم شيئا عن مصير اللوحات التى انجزها في مرسم الأقصر من ٦٥ - ١٩٦٦ ، وكذلك اللوحات التى عرضها بمعرضه في نقابة الصحفيين بالقاهرة في أوائل السبعينيات) .

وتبلغ القسوة ذروتها ، إذا علمنا بأن أغلب زملاء دفعته بالكلية ، الذين جعلوا منه في الماضى ملحمة فلكلورية راحوا يتفنون بها ، قد أصبحوا اليوم في مواقع الصف الأول في الحركة الفنية ، بين أساتذة في الكليات ، وبين مسئولين رسميين ، وبوسعهم لو أرادوا أن يفعلوا من أجله الكثير ، ولكن من ذا الذى يذكر الحلم الغريب وسط حومة المصالح ؟ .. أليس الحى أبقى من الميت ؟

وقد فعل زملاؤه الفقراء في كفر الشيخ . وكذا القائمون على الثقافة بها ما بوسعهم مشكورين لائتشال ذكراه . من الضياع ، ما تبقى من أعماله ، وإصدار عدد خاص من نشرة « إشراقة » عنه ، بأقلام أصدقائه ومحبيه من شعراء وفنانين ، كما استجاب المركز القومى للفنون التشكيلية - مشكورا كذلك - لدعوة أصدقائه لإقامة معرضاً لأعماله ، افتتح فعلاً بالقاهرة ذلك الافتتاح السيريالى الصامت الذى لم يحضره أحد عام ١٩٨٤ ، لان المعرض كان مجرد رقم في برنامج إدارة المعارض ، لم يسبقه إعلام عنه ، ولم تصاحبه ندوة للتعريف به ، علما بأنه يقام في مدينة لا أحد فيها يعرف الفنان وليس له بها شلة أو أهل أو أصحاب يحضر الناس لمجاملتهم كالعادة ! .. وإذا كان كل ذلك قد حدث بحسن نية ، فكيف نفسر عدم قيام لجنة المقتنيات بزيارة المعرض لاقتناء شيء من أعمال مطاوع حتى يكون له مكان بمتحف الفن الحديث ، أسوة بأى فنان عادى من الأحياء على الأقل ؟

ما هكذا يكرم الخالدون ، إذا أردنا حقا أن نكرمهم أو نخلدهم !

إن أقل عمل تقوم به وزارة الثقافة - إبراء لساحتها - هو أن تقوم بحملة واسعة لجمع لوحات عبد المنعم مطاوع ، وأن تعمل على ترميمها ووضعها في إطارات لائقة ، وأن تقيم بهذا التراث معرضا شاملا يتنقل بين القاهرة والاسكندرية والمحافظات الأخرى ، وأن يقتنى عدداً من أعماله لمتحف الفن الحديث بالقاهرة ومتحف الفنون الجميلة بالاسكندرية ، ثم يصدر كتاب عنه يتضمن أكبر عدد ممكن من لوحاته بالألوان ، بينما يجهز له متحف لائق به في كفر الشيخ أو دسوق ، وليكن هذا كله إنجازا وطنيا تتعاون فيه الثقافة الجماهيرية والمركز القومى للفنون وكلية

فنون الاسكندرية ، وفاءً لابن بار من أبناء مصر العظام ، الذين أعطوها عصارة عمرهم دون أن يحظى حتى بلمسة حنان ..

ولنسرع فى ذلك ، قبل أن يقول التاريخ عن هذه الفترة : تلك أمة قتلت فنانيها !!

القاهرة : عز الدين نجيب

ب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أغنية العاشق "مطاوع"

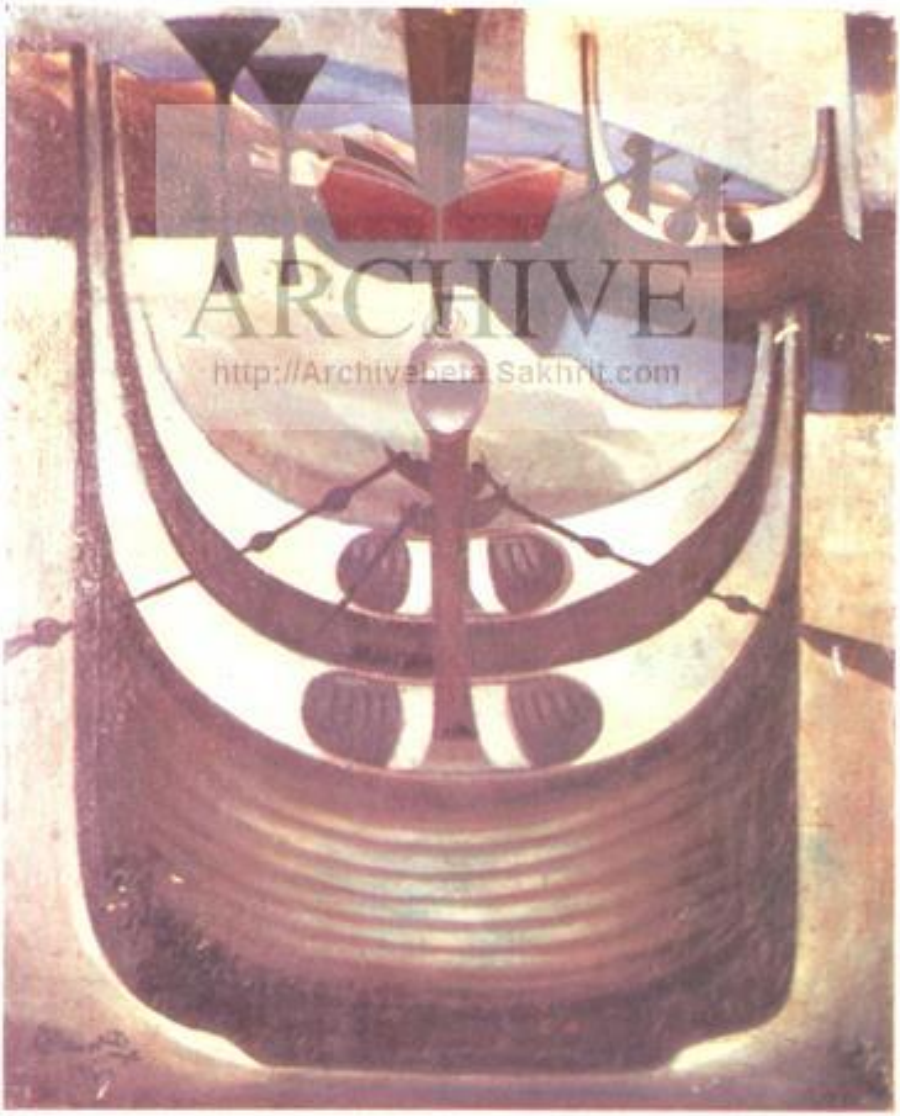
ARCHIVE
http://Archive.beta.Sakhrit.com

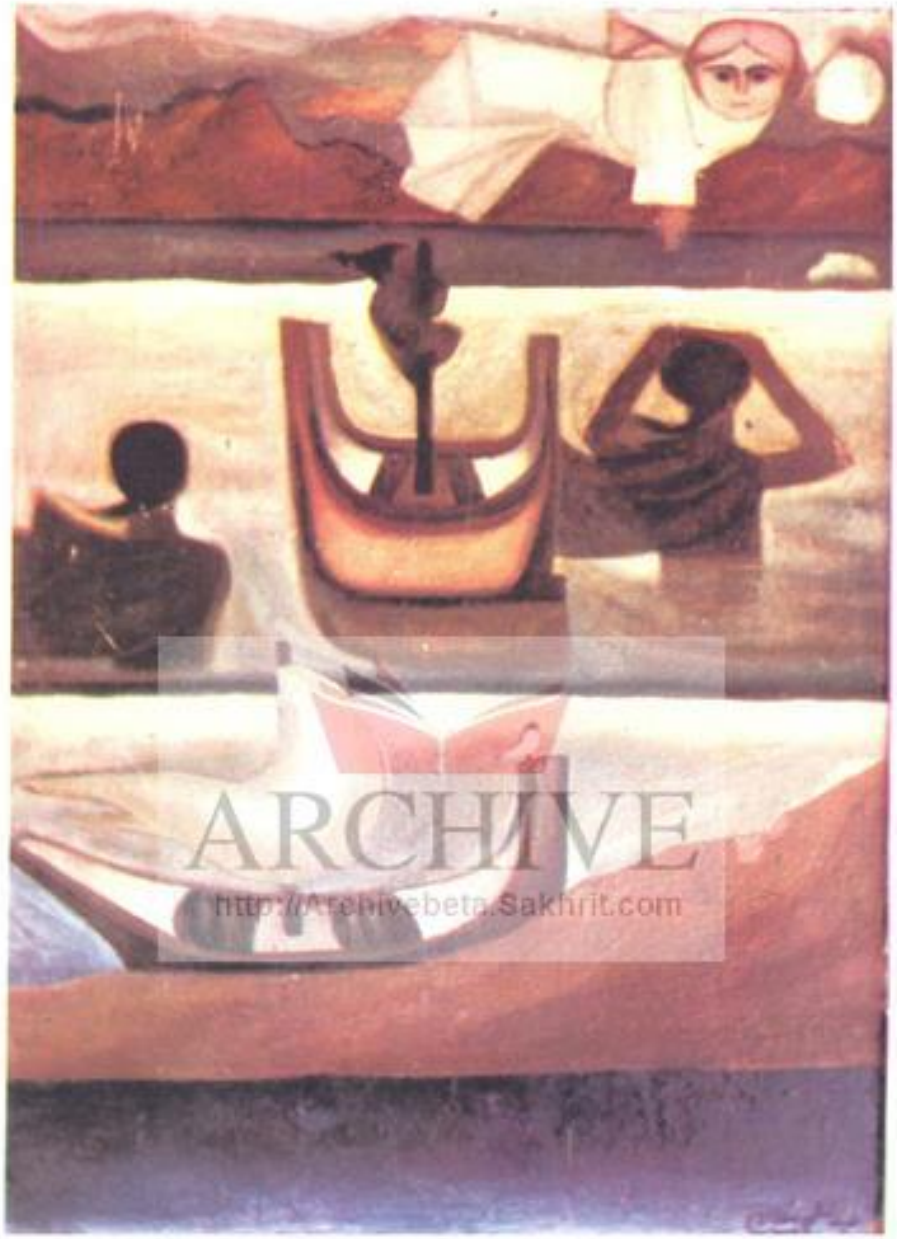
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

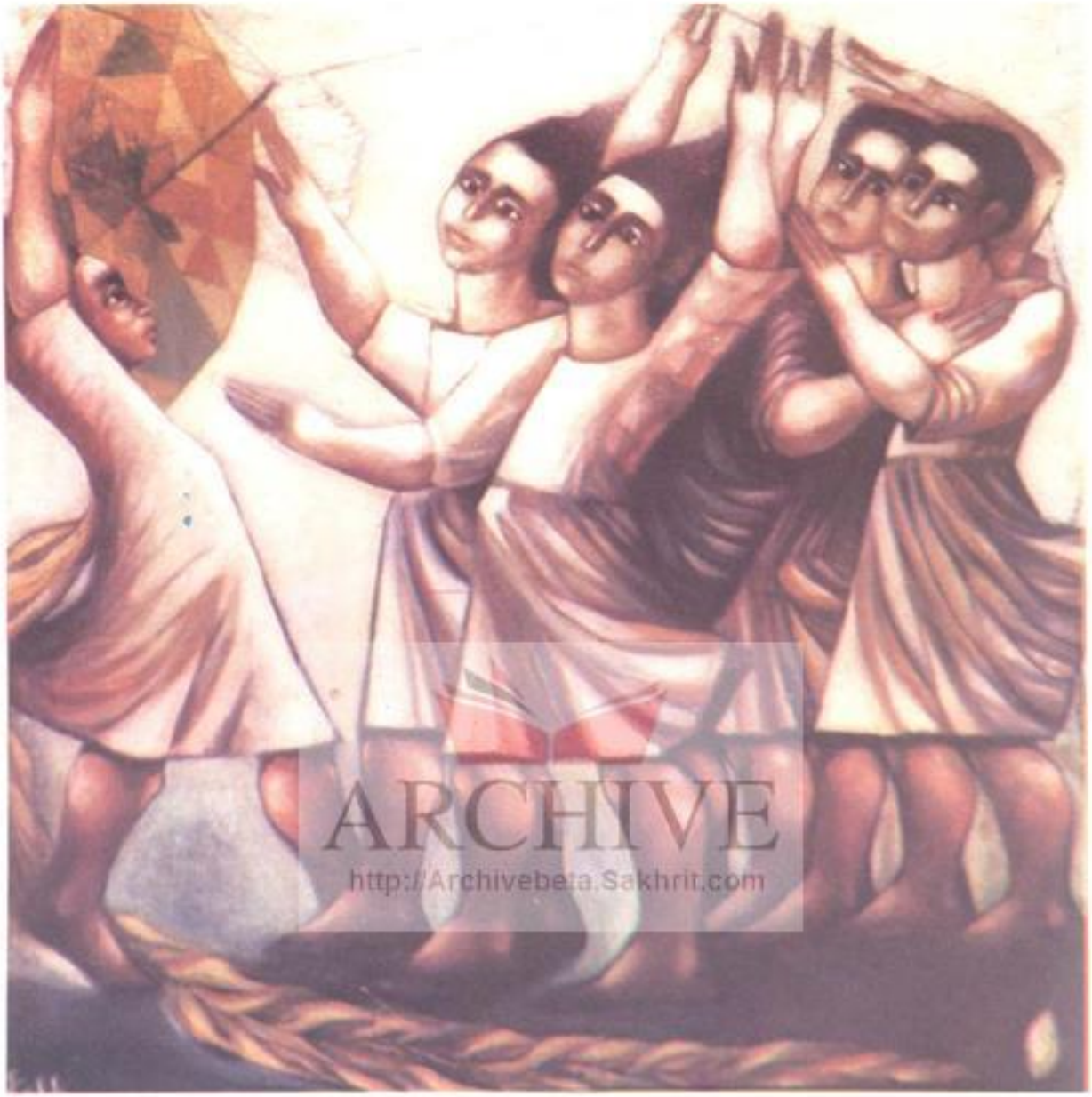
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

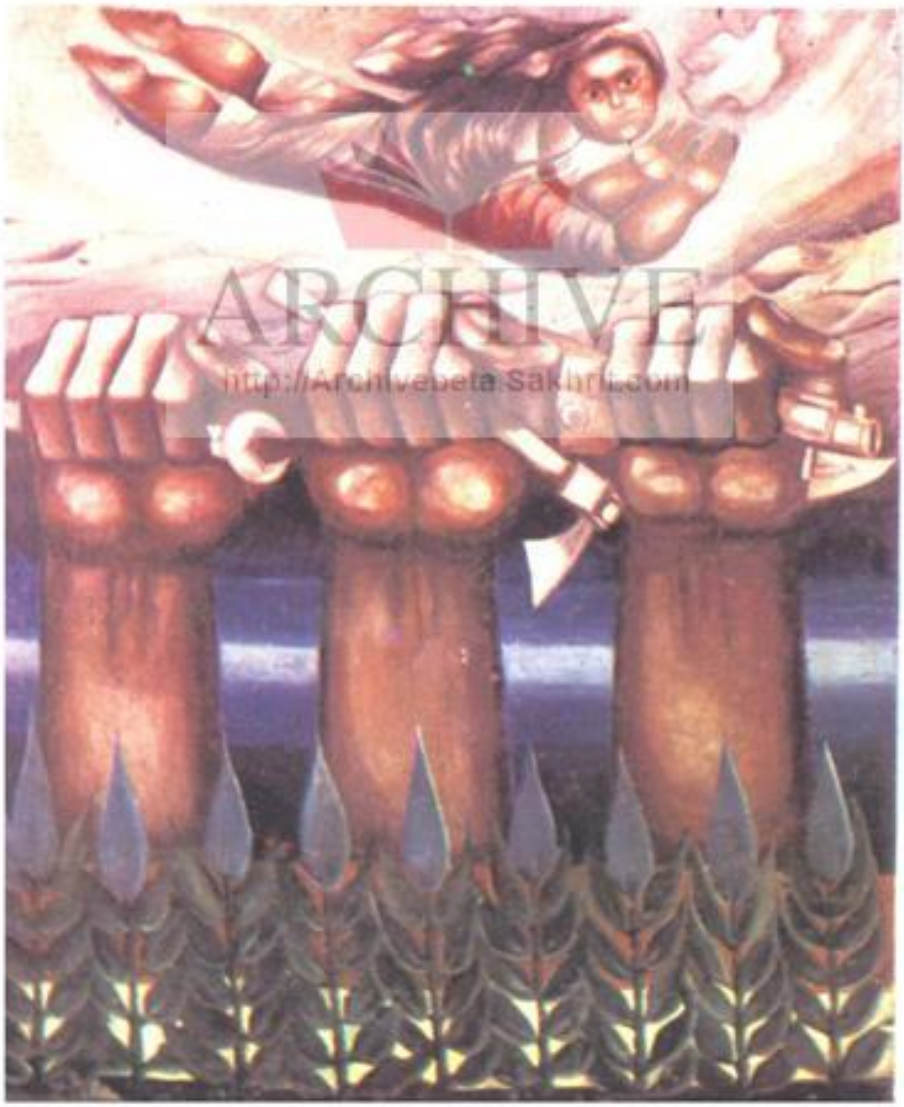
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صورتا الغلاف للفنان عبد المنعم مطاوع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طباعة الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٦١٤٥ - ١٩٨٧